الماركسيّة اللينينيّة ونظريّة الحزب الثوري

منير شفيق

دار الطليعة-بيروت

مُنير شفيق

الماركسيّة اللينينيّة
ونظريّة الحزب الثوريّ

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الماركسيّة اللينينيّة
ونظريّة الحزب الثوريّ

الفصل الأول

الحزب لدى ماركس وانجلز

لم يضع ماركس وانجلز اطروحة نظرية متكاملة حول حزب البروليتارية ، ولكنهما لم يهملا هذا الموضوع ، وقد تعرضا له ، بشكل او بآخر ، في مناسبات عديدة . لذلك ، فان ما نستطيع ان نجده عند ماركس وانجلز حول موضوعة حزب البروليتارية ، هو عبارة عن افكار متناثرة ، ولكنها ، رغم ذلك ، تشكل منطلقات اساسية يمكن اعتبارها احجاراً هامة في ارساء الاساسات لبناء الحزب . اما تلك الاساسات فهي :

اولا : النظرية الثورية :

لقد ارسى ماركس وانجلز نظرية ثورية تناولت الفلسفة المادية والمنهج الديالكتيكي والقوانين العامة للمادية التاريخية ، وكشفت القوانين العامة للصراع الطبقي والقوانين الخاصة للصراع الطبقي في المجتمع الرأسمالي ، وارست القوانين العلمية للاشتراكية العلمية الخ .. وبكلمات اخرى ، وضعا اسس النظرية الثورية التي تشكل شرطا اساسيا لتكوين حزب

الطبقة العاملة . «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية» (١) .

ثانيا : الوعي والعفوية :

على الرغم من ان ماركس وانجلز قد شددا على اهمية القوانين الموضوعية واستنتجا موضوعة **حتمية** زوال النظام الرأسمالي . **وحتمية** الانتقال الى المجتمع الاشتراكي . الا انهما لم يريا ان تحقق هذه الحتمية يتم بصورة تلقائية عفوية . دون تدخل ارادة البشر . او خارج الصراع الطبقي الذي يشمل الصراع الاقتصادي والسياسي والايديولوجي. وبالتالي اعتبرا ان تحقيق هذه الحتمية يتطلب تنظيم الطبقة العاملة . وسائر فئات الجماهير . وتشكيل حزب الطبقة العاملة المستقل القائد . وخوض النضال السياسي والاقتصادي والنظري . على مدى طويل من الزمن . وقد رايا هذه المسيرة عملية تاريخية . وعبارة عن سلسلة من المعارك الصغيرة . والكبيرة . تستخدم فيها كل اشكال النضال ابتداء من العريضة والمنشور . ومرورا بالنضال الانتخابي والبرلماني ، وانتهاء بالثورة المسلحة والمعارك العسكرية . وهذا كله يتطلب نضالا **واعيا** تخوضه الطبقة العاملة وفي مقدمتها حزبها القائد (٢) ولهذا :

١ ــ انتقد ماركس وانجلز عفوية النظرية التطورية ــ التي مثلها برنشتاين فيما بعد ــ والنقابية الانكليزية اذ اعتبرا ان الثورة هي طفرة نوعية (كيفية) . ويستشهد لينين في دراسته «حول كارل ماركس» ، برسالة بعثها ماركس لانجلز ، حول ضرورة عدم النظر الى كل بلد ، او الى كل المجتمعات بحالة جمود . وانما بحالة حركة ديناميكية ، بحيث لا نقيم هذه الحركة من وجهة نظر تطورها السابق فحسب ، وانما ايضا من

---

(١) لينين : «ما العمل ؟» الطبعة العربية ــ موسكو ــ ص ٣١ .

(٢) كارل ماركس وفردريك انجلز : «خطاب الى اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين» ص ١٠٦ ــ ١١٧ (الاعمال المختارة المجلد الاول ــ باللغة الانكليزية ــ موسكو ــ ١٩٦٢) .

وجهة نظر تطورها اللاحق ، شريطة ان يقوم هذا التقييم على اساس معيار ديالكتيكي لا على اساس مقياس التطوريين المبتذل . ويقـــول ماركس : «ان عشرين سنة ليست اكثر من يوم واحد في تطور عظيـــم مثل هذا» ويتابع «ومع ذلك ستأتي ايام تكون فيهـــا العشرون سنة مكثفة» (١) . وركزا على ان **الاهداف النهائية** للحركة لا يمكن ان تتم الا باستيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية .

ب ــ انتقد ماركس وانجلز عفوية الفوضوية والبلانكية (نسبة للويس بلانك) ، اذ اعتبرا ان الثورة لا تقوم على التآمر ، او علـى نشاط بضعة افراد ثوريين ، وانما يجب ان تقوم بالاعتماد علـى حركة الطبقة العاملة والجماهير الواسعة : «الجماهير هي صانعة التاريخ» . وقد حذر ماركس بعد انتهاء الفترة الثورية ١٨٤٨/١٨٤٩ من «اللعب بالثورة» وضرورة العمل بطريقة «سلمية» والتحضير للثورات القادمة . وقد وبخ موست Most لعباراته «الثورية» في فترة الافادة من الشرعية ، كما وبخ الانتهازية في قيادة الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني لتهالكها وراء الشرعية وعدم اظهار الحزم والتصميم والروح الثورية والاستعداد للنضال غير الشرعي(٢).

كان ماركس قد لخص موقفه من مسألة العفوية والوعي في رسالته لسكويتزر Schweitzer في ١٣ شباط (فبراير) ١٨٦٥ : «الطبقـــة العاملة اما ثورية واما لا شيء» . ولم يستبعد احتمـــال انحطاط الطبقة العاملة والمجتمع الرأسمالي كله الى مستوى الهمجية ، في حالـــة غياب الوعي الثوري والتنظيم الثوري ، والروح الثورية .

في الواقع ، ان كتابات لينين وماوتسي تونغ فيما يتعلـق بمسألة علاقة الوعي بالعفوية ، هي عبارة عن تطوير واغناء للمنطلق الماركسي حول هذه القضية .

---

(١) لينين : «حول ماركس وانجلز والماركسية» ، باللغة الانكليزيـة ، موسكو ١٩٥١ ، ص ٥٠ .

(٢) لينين : المصدر السابق ص ٥٢ ــ ٥٥ .

ثالثا : الحزب والطبقة :

خرج ماركس وانجلز باستنتاج رئيسي ، في اثناء دراستهما للثورات البرجوازية التي حدثت في المنتصف الاول من القرن التاسع عشر ، وخاصة ، ثورات الاربعينات . حيث لاحظنا ان البروليتارية لعبت دورا رئيسيا في تلك الثورات ، ولكنها كانت تعمل تحت لواء البرجوازية . وقد خرجا بالاستنتاج القائل ان من الضروري للطبقة العاملة «ان تعمل لحسابها» وليس لحساب البرجوازية . وهذا يعني ان عليها ان تعمل كطبقة مستقلة تعي ذاتها وتتخطى وضعها المعطى ولن تستطيع ان تحقق ذلك ما لم تنظم في حزب **مستقل** (١) . فالحزب هو اداة توعية الطبقة . واذا راجعنا خطاب كارل ماركس وفردريك انجلز «للجنةالمركزية لعصبة الشيوعيين»(٢) فسوف نراهما يطرحان قضايا تتعلق بالحزب وهي :

١ ــ يبدآن باعطاء سمتين هامتين للعصبة ، وهما :

أ ــ وقوفها في مقدمة النضال الثوري في الثورات المسلحة ١٨٤٨ و ١٨٤٩ اي طليعيتها .

ب ــ صحة تحليلاتها وبرنامجها وخطها السياسي والنضالي . اي **اهمية البرنامج والخط الاستراتيجي والتكتيكي الصحيح .**

٢ ــ يركزان النقد على بدء تميع تنظيم الحزب . في فترة الشرعية . وينتقدان الكوادر التي ظنت ان عهد العمل السري قد ولى . وان العمل العام الجماهيري العلني هو كاف ، وهو وحده العمل المناسب ، وبدأوا يحلون اتصالهم باللجنة المركزية بل انقطعت الصلات نهائيا ، وهذا يعني :

أ ــ ان النضال الجماهيري العلني لا يغني عن العمل التنظيمي .

---

(١) ماركس وانجلز : قرارات «مؤتمر جمعية العمال الاممية ــ لندن ١٨٧١» . الاعمال المختارة المجلد الاول ــ باللغة الانكليزية ــ ص ٣٨٦ ــ ٣٨٨ .

(٢) ماركس وانجلز : المصدر السابق ص ١٠٦ ــ ١١٧ .

ب ـ ضرورة تماسك تنظيم الحزب وتقوية ربط الفروع والاعضاء بالمركز .

لذلك على الحزب :

(أ) «ان يعمل بافضل شكل **تنظيمي** ممكن » .

(ب) «ان يكون **موحدا** على افضل شكل ممكن» .

(ج) «ان يكون **مستقلا** على افضل شكل ممكن» .

اي يجب ان يكون **منظما موحدا مستقلا** . « اذا كان لا يريد ان يستغل ويجر مرة اخرى من قبل البرجوازية كما حدث عام ١٨٤٨» .

٣ ـ يؤكدان على ضرورة ان يكون الحزب حزبا **مقاتلا** ويطبق **المركزية الصارمة** «اذ ان من واجب الحزب الثوري الحقيقي ان يطبق المركزية الصارمة» (١) .

٤ ـ ضرورة **تنظيم** الطبقة العاملة وتشكيل فرق الميليشيا المسلحة وتحقيق **مركزية** لكل مؤسساتها .

٥ ـ التأكد من **اطلاق مبادرة** العمال في كل مكان **وعدم تقييدهم** والتأكد من وجودهم كقوة مستقلة في مقابل البرجوازية في كل موقع .

٦ ـ التعاون مع الاحزاب البرجوازية الصغيرة عندما تكون مضطهدة (٢) هي الاخرى ، اذ على الحزب ان يتعاون معها ضد الطبقة التي يجري العمل على اسقاطها ، ولكن على ان يمنع تلك الاحزاب من الاستيلاء على السلطة وابتلاع كل شيء (٣) .

٧ ـ على الحزب ان يكون قادرا على النضال تحت كل الظروف وعلى استخدام كل اشكال النضال .. الثورة المسلحة ، والنضال البرلماني ، فترات الركود والتحضير ، وفترات الغليان والانفجارات (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ١١٥ .

(٢) بفتح الهاء .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٤) انجلز مقدمة ١٨٩٥ لكتاب «الصراع الطبقي في فرنسا» ـ المصدر السابق ص ١١٨ ـ ١٣٨ .

٨ ــ ان العمال يتميزون بكثرة العدد ولكن ليس للعدد قيمة عند اقامة توازن القوى الا اذا كان العدد **موحدا ويقاد بالمعرفة** .

٩ ــ استهدفت كتابة «البيان الشيوعي» ١٨٤٨ «وضع **نظرية مفصلة وبرنامج عملي للحزب** » (١) .

١٠ ــ حدد ماركس وانجلز العلاقة بين الحزب الشيوعي وبين احزاب الطبقة العاملة الاخرى في البيان الشيوعي تحت عنوان « البروليتارية والشيوعيون» :

أ ــ لا يشكل الشيوعيون حزبا معارضا لاحزاب الطبقة العاملة الاخرى . وهم يؤيدون كل حركة ثورية .

ب ــ ليست لهم مصالح منفصلة او بعيدة عن المصالح البروليتارية ككل.

جـ ــ يتميزون عن احزاب الطبقة العاملة الاخرى في :

١ ــ الخط الاممي في اثناء نضال البروليتارية القومي .

٢ ــ يعبرون عن مصالح البروليتارية ككل في اثناء الصراع ضد البرجوازية . ويضعون نصب اعينهم تحقيق الهدف النهائي .

٣ ــ انهم من بين الاحزاب العمالية **اكثر** قسم **متقدم وحازم** وهو **يدفع** الاقسام الاخرى الى امام .

٤ ــ من الناحية النظرية . يتميزون برؤية اتجاه التطور ، وتحليل الظروف ، وتحديد الاهداف **النهائية العامة** لحركة البروليتارية .

٥ ــ تشكيل البروليتارية في **طبقة** . والاطاحة بالرأسمالية ،

---

(١) مقدمة البيان للطبعة الالمانية ــ ١٨٧٢ ــ المختارات ص ٤٦ ــ المجلد الاول .

وتسلم السلطة السياسية من قبل البروليتارية (اقامة دكتاتورية البروليتارية) .

قواعد هامة لتركيبة الحزب :

يمكن رؤية خط ماركس وانجلز من ناحية التركيبة التنظيمية للحزب من خلال مراجعة «قرارات جمعية العمال الاممية» (١) ١٨٧١ . حيث يؤكدان على ان واجب الاعضاء الالتزام المسلكي الاخلاقي فيتحلون بصفات الحق والعدالة والاخلاق كاساس لمسلكيتهم تجاه بعضهم البعض وتجاه البشرية جمعاء بغض النظر عن اللون او المذهب او القومية ، وتطبيق شعار «لا حقوق بلا واجبات ولا واجبات بلا حقوق» . اما القواعد العامة للتنظيم فهي :

١ ــ اقامة رباط تنظيمي اممي . (٢) عقد مؤتمر سنوي لبحث قضايا النضال . (٣) كل مؤتمر يعين المكان والموعد للمؤتمر القادم ، وانتخاب مجلس عام ويعطى المجلس العام حق اضافة اعضاء له ، وطلب عقد مؤتمر طارىء ، وتغيير موعد ومكان المؤتمر اذا اقتضت الضرورة . (٤) كل هيئات التنظيم تقوم على اساس الانتخاب . (٥) تأمين اتصال دائم وتزويد كل فرع بمعلومات عن نضال الفروع الاخرى . وتبني خط موحد من قبل كل الفروع في حالة نشوء نزاعات دولية . (٦) يوحد كل فرع منظمات الطبقة العاملة في بلده ويقيم **لجنة مركزية** . اما طريقة تطبيق هذه القاعدة فتعتمد على ظروف كل بلد . (٧) «ان الطبقة العاملة لا تستطيع في نضالها ضد الطبقات الحاكمة ان تعمل **كطبقة** ، الا اذا اسست لنفسها **حزبا سياسيا** معارضا لكل الاحزاب القديمة للطبقات الحاكمة . ان تأسيس الطبقة في حزب سياسي **شرط** لا بد منه لضمانة انتصار الثورة الاشتراكية وهدفها النهائي» . ويجب ان يكون اتحاد الطبقة العاملة رافعة قوية من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية وهذا الاستيلاء هو الواجب الاول الملقى

---

(١) ماركس وانجلز : الاعمال المختارة ــ المجلد الاول : ص ٣٨٦ ــ ٣٨٩ .

على عاتق الحزب . (٨) كل فرع عليه ان يعين سكرتيره منسجما مع المجلس العام . (٩) «كل من يعترف بمبادىء جمعية الرجال العاملين الاممية ويدافع عنها له الحق بعضوية الجمعية . وان كل فرع مسؤول عن اعضائه . (١٠) كل فرع يتلقى الدعم من الاممية . (١١) كل تنظيم اتحد مع التنظيمات الاخرى في الجمعية في رابطة تعاون اخوي يحتفظ بتنظيمه كما هو دون ان يمس .

واذا اضفنا الى هذه القواعد رسالة ماركس وانجلز الى قيادة الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني (بيبل وليبكنخت وآخرين) (١) ؛ فسوف نقرأ فيها : «انها لظاهرة حتمية مغروسة في جذر مجرى التطور ، ان اناسا كانوا ينتمون حتى الان للطبقات الحاكمة ، ينضمون الى البروليتارية المناضلة ويزودونها بالعناصر المثقفة ، ولقد اوضحنا هذا في «البيان الشيوعي» ولكن يجب ان نرى هنا نقطتين : اولا : لكي يكون هؤلاء الناس ذوي فائدة لحركة البروليتارية يجب ان يجلبوا لها عناصر مثقفة حقيقية.. ثانيا : في حالة انضمام اشخاص من هذا الطراز الى حركة البروليتارية ؛ فان الشرط الاول لقبولهم هو الا يجلبوا معهم بقايا برجوازية ، وبرجوازية صغيرة الخ ... ويجب عليهم ان يتبنوا بكل اخلاص وجهة النظر البروليتارية » . ويؤكد ماركس وانجلز في الرسالة نفسها على ضرورة تصفية العناصر الانتهازية من الحزب ، وخاصة من قيادته ، اذ ان دخولها الى قيادة الحزب يعني انتهاء الحزب كحزب بروليتارية . وهذا يعني :

أ ــ حتمية مجيء عناصر مثقفة الى الحركة من الطبقات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة شريطة ان تتبنى باخلاص وجهة نظر البروليتارية وتتخلص من عقليتها البرجوازية ورسوباتها .

ب ــ ضرورة تطهير الحزب من العناصر الانتهازية .

يستشهد لينين في «ما العمل» بنقد ماركس لبرنامج غوتا حيث قرع

---

(١) ماركس وانجلز : «المراسلات المختارة» ــ باللغة الانكليزية ــ موسكو ١٩٥٣ ، ص ٣٩٤ ــ ٣٩٥ .

الانتقائية في صياغة المبادىء وكتب لقادة الحزب : («اذا كان لا بد من ان تتحدوا فاعقدوا اتفاقيات من اجل تحقيق الاهداف العملية للحركة ، ولكن اياكم والمساومة في المبادىء ، اياكم ان تقوموا «بتنازلات في النظرية») (١) وهذا يعني :

أ ــ المرونة في عقد اتفاقيات لتحقيق اهداف عملية .

ب ــ عدم المساومة في المبدأ وتبنـــي موقف مستقيم للغاية بالنسبة للنظرية .

(٢) «On Authority» (٢) يهاجم انجلز في مقالته حول السلطة بعض الاشتراكيين الذين يهاجمون مبدأ وجود سلطة من حيث اتى. ثم يحلل الظروف القائمة التي تفرض جمع نشاط عدة افراد من اجل القيام بعمل مشترك «بيد ان الحديث عن عمل مشترك يعني التنظيم ، ولكن هل يمكن ايجاد تنظيم بدون سلطة ؟» . وكتب انجلز حول هذه النقطة في رسالته الى تيرزاغي : «ان الذي افقـد كومونة باريس حياتهـا هو افتقارها للسلطة والمركزية» (٣) . ان انجلز ينتقـد هنا تسليم اللجنـة المركزية لسلطاتها للكومونة في ثورة كومونة باريس ١٨٧١ . وهذا يعني :

أ ــ ضرورة وجود سلطة للتنظيم الثوري ووجود مركزية .

ب ــ رفض الموقف الليبرالي الذي يعارض بوجـود سلطة ومركزية للعمل المشترك والتنظيم .

تكتيك الحزب :

يبرز لينين في دراسته «حول كارل ماركس» (٤) ان ماركس وانجلز

---

(١) لينين : «ما العمل ؟» ص ٣١ ــ الطبعة العربية .

(٢) ماركس وانجلز : الاعمال المختارة . ص ٦٣٧ ــ ٦٣٩ .

(٣) ماركس وانجلز : المراسلات المختارة ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣

(٤) لينين : «حول ماركس وانجلز والماركسية» ــ باللغة الانكليزية ــ موسكو ١٩٥١ .

قد ارسيا اسسا للتكتيك الصحيح ويمكن تلخيص ذلك بـ :

١ ــ ضرورة اجراء تحليل موضوعي ملموس للعلاقات الكلية للطبقات في مجتمع معطى ، وبالتالي تحديد المرحلة الموضوعية لتطور ذلك المجتمع وعلاقاته المتبادلة مع المجتمعات الاخرى (١) .

٢ ــ كل بلد وكل مجتمع وكل المجتمعات والبلدان يجب ان ينظر اليها انها في حالة حركة ديناميكية ، وضرورة رؤية اتجاه حركة تطورها مستقبلا وعدم الاقتصار على رؤية اتجاه تطورها السابق بحيث يطبق المنهج الديالكتيكي في صياغة هذه الرؤية (٢) .

٣ ــ على تكتيك البروليتارية في كل مرحلة وفي كل لحظة ان يأخذ بعين الاعتبار الديالكتيك الموضوعي للتاريخ الانساني بحيث :

أ ــ تعبأ فترات الركود السياسي او ما يسمى بالتطور «السلمي» من اجل تطوير الوعي الطبقي وتنمية قوة الطبقة المتقدمة ومقدرتها القتالية .

ب ــ تسخير كامل النشاط النضالي الثوري لتحقيق **الهدف النهائي،** من اجل المعارك الكبيرة (٣) . («بؤس الفلسفة» ، و «البيان الشيوعي») وقد كتب ماركس وانجلز في «البيان الشيوعي» : الدفاع عن الاهداف الانية لتقوية الطبقة من اجل تحقيق الهدف النهائي : «انهم في حركة الحاضر يمثلون ايضا مستقبل تلك الحركة ويأخذونه بعين الاعتبار» (٤) .

ج ــ تكيف الحزب لممارسة مختلف اشكال النضال المناسبة حسب الظروف المعطاة في كل لحظة (٥) .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٠ ــ ٥١ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٥ .

خلاصـــة :

اولا : على البروليتارية ان تعمل كطبقة مستقلة بحيث تنظم في حزب طبقي سياسي مقاتل يقف في طليعة النضال ويحمل نظرية ثورية ومبادىء ثورية لا يحيد عنهـــا ، وله برنامج عملي ، ويكـــون منظما موحدا مستقلا ويشكل اكثر فصائل الطبقة العاملة تقدما وحسما ويدفع الفصائل الاخرى ويقاد بالمعرفة . ويرتبط بتنظيم اممي مركزي مع بقية احزاب الطبقة العاملة في البلدان الاخرى .

ثانيا : يمتاز هذا الحزب برؤية اتجاه التطور ودقة تحليل الظروف في كل وضع معطى وتحديـــد الاهداف النهائية العامـــة للحركة (الاطاحة بالراسمالية واقامة دكتاتورية البروليتارية ثم ازالـــة الطبقات) والنضال في سبيلها . واخضاع تكتيكه لخدمة تحقيق الاهداف النهائيـــة ، ويعمد الى توحيد منظمات الطبقة العاملـــة في بلده ويقيم لجنة مركزيـــة لحركة الطبقة العاملة ، ويتعاون مع احزاب الطبقة العاملة الاخرى ويؤيد كل حركة ثورية ويتحالف مـــع احزاب البرجوازية الصغيرة المضطهدة (بفتح الهاء) . ولكنه لا يساوم على المبدأ ، ولا يسمح لحلفائه مـــن الاحزاب البرجوازية الصغيرة التهام الانتصارات ، والعودة لاضطهاد الطبقة العاملة .

ثالثا : ضرورة تنظيم الطبقة العاملة وتحقيق مركزية لكل مؤسساتها ، واطلاق مبادرتها في كل مكان ، وعدم تقييدها باي شكل ، وجعلها تتواجد كقوة مستقلة في كل موقع وتشريبها بالروح الثورية القتالية وتنمية وعيها الطبقي .

رابعا : رفض العفوية التطورية والارهابية والنقابية (التريديونيونية).

خامسا : ضرورة وجـــود مركزية وسلطة للتنظيـــم الثوري وللثورة ولدكتاتورية البروليتارية ورفض الليبرالية وموقفها السخيف مـــن وجود التنظيم **والمركزية والسلطة .**

سادسا : قبول العناصر المثقفة الحقيقية في صفوف الحزب وقيادته شريطة التأكد من اخلاصها لوجهة نظر البروليتارية والتأكد مـــن تخلصها من رسوباتها وعقليتها البرجوازية . وتطهير الحزب من العناصر الانتهازية

التي تحاول جر حزب البروليتارية للتراجع وتبني سياسة برجوازية .

سابعا : «... ان النضال الحزبي يعطي الحزب القوة والحيوية . وان الدليل القاطع على ضعف الحزب هو الميوعة وامحاء الحدود المرسومة بخطوط واضحة . ان الحزب يقوى بتطهير نفسه ...» (١) .

تقييم

كما قلنا في اول هذا البحث ، ان ماركس وانجلز لم يصوغا اطروحة نظرية متكاملة حول حزب البروليتارية ، ولكنهما وضعا منطلقات اساسية لهذا الحزب ، فقد وضعا الملامح الاولية لحزب طبقي سياسي ثوري من ناحية ، ووضعا حدودا فاصلة واضحة لهذا الحزب بالنسبة لنظريته واستراتيجيته وتكتيكه من الناحية الثانية . بيد انهما ابقيا مجموعة من القضايا التي تتعلق بالحزب وتنظيمه ، اما في حالة جنينية ، واما لم يتطرقا لها مطلقا . مثلا : ما هي نوعية العلاقة بين الحزب وبين الطبقة . بمعنى هل هو حزب يتألف من جماهير الطبقة ام هو حزب طليعة ثورية تقود الطبقة وتتشكل من اقلية من العناصر الثورية المتقدمة ؟ وما هي البنية التنظيمية الداخلية للحزب ؟ وما هي العلاقة بين المركزية والديمقراطية في داخل الحزب ؟ وما هي نوعية وحدة الحزب هل هي وحدة حديدية ... وحدة في الرأي والعمل ولا تقبل التكتلات الخ ؟ وما هي علاقة الحزب بسائر منظمات الطبقة العاملة ؟

اذا راجعنا الوضع التنظيمي للاممية الاولى ، في اثناء قيادة ماركس وانجلز لها ، وكذلك الوضع التنظيمي للاممية الثانية في اثناء قيادة انجلز لها . فسوف نجد ان الخطوط الفاصلة بين الحزب وبين الطبقة من الناحية **التنظيمية** تكاد تكون ممسوحة ، او هي خفيفة جدا . فقد كان تنظيم

---

(١) من رسالة وجهها لاسال الى ماركس في ٢٤ حزيران (يونيو) ١٨٥٢ . وقد استشهد بها لينين في مقدمة كتاب «ما العمل ؟» ص ٣ .

الاميتين الاولى والثانية اقرب الى التنظيم الجماهيري الفضفاض ـ من الناحية التنظيمية ـ منه الى حزب الاقلية الثورية الطليعية ـ اللينيني ـ الذي يشكل اختلافا كيفيا عن الطبقة العاملة ، سواء من الناحية التنظيمية او من ناحية الوعي او السمات الثورية . وهذا ما قام به لينين اي احداث تطوير كيفي لمنطلقات ماركس وانجلز حـول حزب الطبقة . ولكـن يجب الانتباه الى ان هذه الملحوظة لا تعني مطلقا ان ماركس وانجلز كانا راضيين على الوضع التنظيمي في الاميتين الاولى والثانية ، فهما كانا دائما ضد الليبرالية بكل اشكالها . وكانا قد وضعا البذور الاساسية للحزب الطليعي الثوري . وليس من حق احد ان يقلل من شأن ما قدما حتى في مجـال الحزب . فقد كان انجازهما ، حتى في هذا المضمار ، خطوة هامه في كثير من النواحي الخاصة بتكوين حزب ثوري من طراز ممتاز . وكان على لينين أن يكمل عملهما ويطوره ليشيد فوق الاساسات بناء ضخما . واخيرا علينا الا ننسى ان ماركس وانجلز كانا اول من داس على ارض التجربة الثورية الجديدة في كفاح البروليتارية المنظمة في جزب طبقـي سياسي يهتدي بنظرية ثورية . ثم يجب الا ننسى انهما كانا قائديـن يمارسان النشاط العملي . وهذا يعني انهما كانا محكومين بالظروف المعطاة تاريخيا وموضوعيا وذاتيا .

لقد شرح لينين في مقالته «مهمات البروليتارية في ثورتنا» كيف اضطر ماركس وانجلز انْ يؤقلما انفسهما ، عن وعي ، مع التعبير الانتهازي غير الدقيق لاسم الحزباي «الديمقراطية الاشتراكية». ويقول ان ماركس وانجلز فهما عصرهما بدقة وفهما الوضع الدولي . لقد فهما ان الطريق الى الثورة الاجتماعية يجب ان يكون بطيئا . « ونحن يجب ان نفهم خصائص العصر الجديد ومهماته . لذلك يجب الا نقلد اولئك الماركسيين الذين قال ماركس عنهم : «لقد زرعت حيتانا وحصدت بعوضا» (١) .

وجاء لينين ليبني حزبا يحصد حيتانا وثورة اشتراكية مظفرة .

---

(١) لينين : «حول ماركس وانجلز والماركسية» ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .

الفصل الثاني

مفهوم الحزب عند لينين

كان لينين مع مطلع القرن العشرين اول ماركسي رأى ان الطبقة العاملة بحاجة لحزب من **طراز جديد** ، وشعر بضرورة تطوير افكار ماركس وانجلز حول حزب البروليتارية ـ فرضيتهما القائلة ان الحزب هو اندماج حركة الطبقة العاملة بالاشتراكية (١) ـ فوضع نظرية متماسكة متكاملة حول الحزب فيما يتعلق بسماته ودوره في حركة الطبقة العاملة والمبادىء الاساسية التي يجب ان يقوم عليها نشاطه ، الى جانب اسسه التنظيمية وعلاقاته التنظيمية الداخلية وعلاقاته بالجماهير ومنظماتها الخ . ولكن قبل ان نتعرض لبسط النظرية اللينينية حول الحزب يجدر بنا ان نمهد بخلفية تاريخية مختصرة لبعض جوانب الوضع في روسيا مع مطلع القرن العشرين اي الظرف الذي قدم لينين فيه أعماله الرئيسية حول الحزب ، مقاله « بم نبدأ» وكراسته «ما العمل» و «خطوة الى الامام وخطوتان الى الوراء» و «رسالة الى رفيق حول مهماتنا التنظيمية» و «رسالة من رفيق

---

(١) تاريخ الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ـ باللغة الانكليزية ـ موسكو ١٩٦٠ ص ٦٠ .

الى لينين» ـ نشرها كملحق لرسالته وقد اعتبرت معبرة عن آرائه ـ كل ذلك في السنوات الاربع الاولى من مطلع القرن العشرين .

خلفية تاريخية :

دخلت روسيا بعد ١٨٦٠ مرحلة تصنيع واسعة . وقد كان عهد القيصر الكسندر الثاني الذي امتد من ١٨٥٥ حتى ١٨٨١ عهد حكم اوتوقراطي امتاز باجراء اصلاحات برجوازية هامة ، ومحاولة دفع روسيا للحاق بدول اوروبا الصناعية . واذا كانت الطبقة العاملة قد نمت في تلك الفترة ، كنتيجة للتصنيع الواسع ، الا انها بقيت ترزح تحت الاضطهاد . وقد منع الكسندر الثالث (١٨٨١ ـ ١٨٩٤) تكوين النقابات وحرم الاضراباتّ وحكم البلاد بالحديد والنار والسجون والمعتقلات وجاء بعده القيصر نيقولا الثاني ليتابع طريق الاستبداد والحكم المطلق .

ظل الفلاحون ، رغم الغاء القنانة ١٨٦١ ، في وضع متخلف يرزحون تحت السياط والاستغلال . وقد ظل الوضع في روسيا مزيجا من ظلام العصور الوسطى مع نشوء برجوازية لم تكمل ثورتها ، ويقف على راسها حكم قيصري اوتوقراطي يضطهد اكثر طبقات الشعب بما في ذلك البرجوازية الصغيرة واوساط من البرجوازية المتوسطة الى جانب اضطهاده للمثقفين بمختلف فئاتهم .

اما الحركة الثورية خلال تلك الفترة ، فقد امتازت بوجود اتجاهين رئيسيين في بادىء الامر :

الاول : اتجاه النارودنيين (الشعبيين) بكل فئاتهم المختلفة .. وهو اتجاه اعتمد الارهاب والاشتراكية الطوباوية وقد انقسم الى فريق سياسي متأثر بالافكار الماركسية، سمى نفسه بالثمانينات الاتجاه «التحضيري»وبقي الاتجاه الآخر متأثرا بالارهاب ، او قل ، بنظرية الابطال الفرديين الذين حلموا بتغيير المجتمع بقواهم الخاصة دون الاعتماد على الشعب ، بينما اعتبر الاتجاه «التحضيري» نفسه ديمقراطي اشتراكي عام ١٨٩٢/١٨٩٣ .

الثاني : الاتجاه الماركسي الذي بدأ بمجموعة «تحرير العمل» ١٨٦٣

بقيادة بليخانوف وتركز في سويسرا لنشر الأفكار الماركسية من هناك . وقد قسم لينين المراحل التي مر بها هذا الاتجاه ، في خاتمة كتاب «ما العمل ؟» كما يلي :

أ ـ المرحلة الاولى من ١٨٨٤ ـ ١٨٩٤ مرحلة نشوء وتوطد نظرية الديمقراطية الاشتراكية وبرنامجها ، وكان انصار هذا الاتجاه داخل روسيا يعدون بالآحاد .

ب ـ المرحلة الثانية من ١٨٩٤ ـ ١٨٩٨ وقد اتسعت الحركة الديمقراطية الاشتراكية وامتازت باندفاع المثقفين نحو الافكار الماركسية ونقد ارهاب الشعبيين ، والتوجه الى العمال . وقد صحب ذلك نهوض في الحركة الجماهيرية العمالية . وكان تشكيل الحزب الديمقراطي الاشتراكي في ربيع ١٨٩٨ «ابرز عمل» لقادة هذا الاتجاه ، «وكان في الوقت نفسه **آخر** عمل لهم» .

ج ـ كانت الاعوام الثلاثة او الاربعة التي تلت ١٨٩٨ هي مرحلة «شرذمة وتفسخ وتأرجح» فمن جهة تخلف القسم الاكبر من قادة الديمقراطية الاشتراكية عن نهوض الحركة العفوية الجماهيرية وانتشار الوعي الثوري بين مختلف فئات السكان (طلبة ومثقفين وفئات اخرى) . وقد تخلف هؤلاء القادة :

١ ـ من الناحية النظرية: بدأوا ينحرفون عن **اسس** النظرية الماركسية تحت شعار «حرية الانتقاد» .

٢ ـ من الناحية العملية : غرقوا في «العمل الحرفي» ـ حلقات مبعثرة سرعان ما تتكون وسرعان ما تنتهي ، خاصة بفعل الاعتقالات والبطش ، ونتيجة فقدان التنظيم الطليعي الموحد والذي يراعي قواعد السرية في العمل الخ .

وكانت نتيجة هذا الوضع ان انحطت الديمقراطية الاشتراكية الى مستوى النقابية (التريديونيونية) مشربة بتحريفية برنشتاين الذي تبنى شعار «الحركة كل شيء اما الهدف النهائي فلا شيء» (١) ، وتحول نضال

---

(١) لينين : «ما العمل ؟» ص ٨٢ (الهامش) .

الديمقراطية الاشتراكية الى نضال ذيلي خلف الحركة العفوية . وجاءت مقالة «بم نبدأ» ثم كراسة «ما العمل ؟» الذي نشر في الشهر الثالث من عام ١٩٠٢ ليعلنا نهاية المرحلة الثالثة وتباشير بداية مرحلة الحزب اللينيني ـ حزب البلاشفة .

عندما كتب لينين «ما العمل ؟» استهدف انهاء حالة «الشرذمة والتفسخ والتأرجح» والذيلية ، وتكوين حزب طليعي من **طراز جديد** يقود حركة الطبقة العاملة والحركة الجماهيرية كلها ، خاصة ، وان الوضع كان يبتر بانفجارات ثورية ضخمة ، وكان لا بد من ان تتوفر القوة القائده التي تستطيع ان تكون بمستوى الاحداث وتقود الحركة الثورية في كل الظروف، سواء فترات الركود السياسي او فترات الانعطافات التاريخية . ولكن ما هو هذا الحزب الذي هو من **طراز جديد** ؟

بداية الدعوة لبناء الحزب :

نشر لينين في الاسكرا ، في العدد الاول ، مقالة «المهمات العاجلة لحركتنا» . ثم نشر في العدد الرابع مقالة «بم نبدأ» ، واعتبرت المقالتان بداية شن المعركة ضد الشرذمة والتفسخ والتأرجح والذيلية ، وبداية انطلاق الاتجاه اللينيني بكل ملامحه الرئيسية. ولنتناول مقالة «بم نبدأ»(١) التي تحوي الخطوط الرئيسية ، ولنستعرضها باختصار .

كان السؤال في اواخر الثمانينات واوائل التسعينات من القرن التاسع عشر : «اي طريق نختار ؟» واصبح السؤال في اواخر التسعينات : ما هي الخطوات العملية التي يجب ان نتخذها في الطريق الذي اخترناه ؟ وكيف يجب ان تؤخذ تلك الخطوات ؟ وبكلمة انه سؤال يتطلب وضع منهاج عمل .. وضع خطة عمل . وبرز اتجاهان :

---

(١) لينين : «الاعمال المختارة» ـ باللغة الانكليزية ـ لورانس ووشارت ـ لندن ١٩٦٩ . ص ٣٧ ـ ٤٣ .

أ ــ اتجاه اقتصادي يريد تضييق نطاق الدعاية والتحريض السياسيين والتنظيم السياسي .

ب ــ اتجاه انتقائي ، غير قادر على التمييز بين الحاجات المباشرة وبين المهمات الرئيسية والحاجات الدائمة للحركة ككل .

وبعد ان يعري لينين هذين الاتجاهين يعرض الافكار الرئيسية التالية:

ــ «تشكيل حزب **قوي منظم جيدا** هدفه تحطيم الحكم المطلق»(١) .

ــ **ان بناء تنظيم مقاتل** والقيام **بالتحريض السياسي** هما شيئان ضروريان تحت اي ظروف «سلامية» وتحت اية فترة تتسم «بجزر الروح الثورية» ، والاكثر من ذلك ان مثل هذا العمل هو ضروري في هذه الفترات وتلك الظروف على التحديد . اذ سيكون تشكيل ذلك التنظيم في اوقات الغليان والانفجارات امرا قد فات اوانه . لانه يجب على الحزب ان يكون في حالة استعداد للعمل فورا في ظرف إنذار لا يزيد على لحظة واحدة (٢) .

ــ ... ولكن من اجل ان تكون قادرا على تغيير التكتيك يجب ان يكون لديك ، اولا ، تكتيك . اذ بدون منظمة **قوية متمرسة في** شن النضال السياسي تحت كل الظروف وفي كل الاوقات فسيكون امرا غير ذي موضوع وجود **خطة عمل منهاجية** مسترشدة **بمبادىء راسخة ، وتنفذ بحزم** ، والتي هي وحدها جديرة بان تحمل اسم تكتيك (٣) .

ــ ... ان الجماهير ضعيفة لانها غير متحدة (٤) .

ــ ان المهمة الملحة المباشرة لحزبنا ليست دعوة القوى المتوفرة الان لشن هجوم فوري في هذه اللحظة . وانما هي الدعوة لتشكيل منظمة ثورية قادرة على **توحيد** كل القوى ، وقادرة على قيادة الحركة الثورية

---

(١) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٩ .

عمليا في التطبيق لا بالاسم فقط . اعني منظمة تكون مستعدة ، في كل وقت لدعم كل احتجاج وكـــل انفجار **وتستخدمه لبناء وتعزيز القوات المقاتلة القادرة على خوض النضال الحاسم (١)** .

ــ لا يكفي ان ندرك بوضوح ما هي طبيعـة المنظمة المطلوبة وهدفها المحدد ، وانما يجب علينا ايضا ان نضع **خطة عملية محددة** لمنظمة يجري تشكيلها من كل النواحي (٢) . اما الخطوة الاولى العملية في تلك الخطة فهي تأسيس جريدة عامة لكل الروسيا كاول اجراء لتوحيد كل المنظمات المحلية في حركة سياسية واحدة . وتقوم تلك الجريـــدة بـ : (١) نشر الافكار ، (٢) التثقيف السياسي ، (٣) حشد الحلفاء السياسيين، (٤) ولا تلعب دور الدعاية الجماعي والمحرض الجماعي فحسب وانما تكـون ايضا **منظما جماعيا (٣)** .

ــ ان الاستعداد المخطط المبرمج لا يعني ان الحكم المطلق سيسقط من خلال «محاصرة منظمة او هجوم منظم» . بل ان ما هو اكثر احتمالا هو سقوطه بسبب احد الانفجارات العفوية ، او بسبب تعقيدات سياسيـة غير منظورة تهدده باستمرار من كل جانب . ولكن يجب الا نعتمـد على ذلك وننتظر مكتوفي الايدي ، وانما يجب «ان نمضي بطريقنا وننفذ عملنا اليومي المنظم **بمواظبة وانتظام** . اذ كلما كان اعتمادنا اقل على ما هو غير متوقع ، كلما كان **سقوطنا** غير مستعدين في اي من المنعطفات التاريخية(٤) اقل امكانية .

وهكذا تكون مقالة «بم نبدأ ؟» التي كتبت في ايار (مايو) ١٩٠١ قد تعرضت لثلاث مسائـل رئيسية وهي : (١) طابـع التحريض السياسي ومضمونه الرئيسي ، (٢) الواجبات التنظيمية ، (٣) مشروع انشاء منظمة

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٣) المصدر السابق ص ٤١ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٢-٤٣ .

قوية واحدة لكل الروسيا . وكانت هذه المسائل محط اهتمام لينين منذ ١٨٩٥ ولكنها طرحت هنا كفاتحة لبدء عمل حاسم حتى ولو ادى ذلك الى انقسام حاسم بين الاتجاه الثوري وبين الاتجاهات الانتهازية في داخل صفوف الحركة الديمقراطية الاشتراكية . وقد وعد لينين في تلك المقالة بعرض تلك القضايا الرئيسية بكراسة منفصلة وهي مشروع «ما العمل ؟» ولكن تأجل صدور ما العمل سنة كاملة بسبب مفاوضات التوحيد التي فشلت فخرج كتاب «ما العمل ؟» موسعا يتناول مجموعة من القضايا الاخرى الى جانب تلك المسائل الثلاث ، وذلك لضرورة الرد على الحملة التي اثيرت ضد مقالة «**بم نبدأ ؟**» .

الجمود العقائدي «وحرية الانتقاد» (١) :

يقول لينين ان ثمة اتجاهين متعارضين في الاشتراكية على النطاق العالمي. احدهما يمثل الاتجاه الثوري والاخر يمثله برنشتاين وميلليران(٢). اما سمات هذا الاتجاه الثاني فهي : تحويل الحزب الديمقراطي

---

(١) سأحاول في الصفحات اللاحقة تقديم كراسة «ما العمل ؟» بصورة مبسطة ومختصرة قدر الامكان ، لان قراءته على شكله الذي كتب فيه عسيرة على القارىء العربي العادي بسبب كثرة الاسماء والجرائد التي يرد عليها لينين وقد اصبحت الان شيئا من التاريخ ، وسنرى من تقديم الافكار الرئيسية في الكراسة انها ما زالت تحمل صفة نظرية حية خلافا للرأي الانتهازي الذي يحاول اعطاء كراسة «ما العمل ؟» قيمة الوثيقة التاريخية فقط ، او القول ان افكاره مناسبة لوضع روسيا ١٩٠٢ فقط .

وقد اعتمدت الترجمة العربية ـ موسكو ١٩٦٨ ، اساسا ، مع بعض التعديلات احيانا طبقا للترجمة الانكليزية ص ٧ ـ ٣٦ .

(٢) من قادة الاممية الثانية ، وهما من ابرز التحريفيين (برنشتاين من الناحية النظرية وميلليران من الناحية العملية) .

أ ــ «لا يمكن ان يخاف من التحالفات المؤقتة ــ ولو مع اناس لا يركن اليهم ــ الا الذين لا يثقون بانفسهم . وانه لمن غير الممكن لاي حزب سياسي ان يعيش بدون مثل هذه التحالفات» .

ب ــ «ولكن الشرط الذي لا بد منه لهذا التحالف هو ان نتوفر الامكانية التامة للديمقراطيين الاشتراكيين ليبينوا للطبقة العامله تناقضها العدائي مع البرجوازية » .

ج ــ «اما البرنشتانية فتنادي بطمس التناقضات ورفض الثورة ودكتاتورية البروليتارية وتحويل النضال الطبقي الى نضال سلمي ضيق في سبيل اصلاحات . وهذا يعني انكار حق الاشتراكية بالاستقلال وبالتالي . الحق في الوجود . ويعني تحويل حركة البروليتارية الى حركة ذيلية وراء الليبراليين» (١) .

وهذا يعني ضرورة الدخول بتحالفات شريطة ان **يحتفظ الحزب باستقلاله ولا يتحول الى حركة ذيلية .**

انعكست افكار برنشتاين على الوضع في روسيا بشكل اتجاه تحريفي سمي «بالاقتصادية» وكان خط هذا الاتجاه :

١ ــ يقوم العمال بالنضال الاقتصادي ، او على الاصح بالنضال النقابي .

٢ ــ يندمج المثقفون الماركسيون (الانتلجنسيا الماركسية) مع الليبراليين لشن «النضال» السياسي ــ والقيام بانتقاد علني **لاسس** الماركسية تنفيذا لهذه المهمة .

هذا هو الشكل ألذي اتخذته التحريفية العالمية (البرنشتانية) على الارض الروسية في ذلك الوقت . «ان الانتهازية العالمية ، والتي تحمل مضمونا اجتماعيا وسياسيا واحدا تعبر عن نفسها بطرق متنوعة تبعا للسمات القومية» (٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ــ٢٢ (النقاط ٢ ، ي ، ح) .

(٢) لينين : «ما العمل ؟» ص ١٨ .

أ ــ «لا يمكن ان يخاف من التحالفات المؤقتة ــ ولو مع اناس لا يركن اليهم ــ الا الذين لا يثقون بانفسهم . وانه لمن غير الممكن لاي حزب سياسي ان يعيش بدون مثل هذه التحالفات» .

ب ــ «ولكن الشرط الذي لا بد منه لهذا التحالف هو ان نتوفر الامكانية التامة للديمقراطيين الاشتراكيين ليبينوا للطبقة العامله تنافضها العدائي مع البرجوازية » .

ج ــ «اما البرنشتانية فتنادي بطمس التناقضات ورفض الثورة ودكتاتورية البروليتارية وتحويل النضال الطبقي الى نضال تعابي ضيق في سبيل اصلاحات . وهذا يعني انكار حق الاشتراكية بالاستقلال وبالتالي . الحق في الوجود . ويعني تحويل حركة البروليتارية الى حركة ذيلية وراء الليبراليين» (١) .

وهذا يعني ضرورة الدخول بتحالفات شريطة ان **يحتفظ الحزب باستقلاله ولا يتحول الى حركة ذيلية .**

انعكست افكار برنشتاين على الوضع في روسيا بشكل اتجاه تحريفي سمي «بالاقتصادية» وكان خط هذا الاتجاه :

١ ــ يقوم العمال بالنضال الاقتصادي ، او على الاصح بالنضال النقابي .

٢ ــ يندمج المثقفون الماركسيون (الانتلجنسيا الماركسية) مع الليبراليين لشن «النضال» السياسي ــ والقيام بانتقاد علني **لاسس** الماركسية تنفيذا لهذه المهمة .

هذا هو الشكل ألذي اتخذته التحريفية العالمية (البرنشتانية) على الارض الروسية في ذلك الوقت . «ان الانتهازية العالمية ، والتي تحمل مضمونا اجتماعيا وسياسيا واحدا تعبر عن نفسها بطرق متنوعة تبعا للسمات القومية» (٢) .

---

(١) المصدر السابق ص ٢١ــ٢٢ (النقاط ٢ ، ي ، ح) .

(٢) لينين : «ما العمل ؟» ص ١٨ .

ويحدد لينين المهمة لكل من يريد مقاومة الانتهازية عملا لا بالكلام فقط :

١ ــ ضرورة استمرار النضال والعمل النظريين .

٢ ــ النضال ضد «انتقاد» اسس الماركسية هذا «الانتقاد» الذي افسد العقول .

٣ ــ النضال ضد الشرذمة والتردد في الحركة الثورية ومقاومة محاولات ابتذال البرنامج والتكنيك .

٤ ــ قبل ان يتم اي اتحاد ، ولكي يصبح الاتحاد ممكنا . يجب توضيح كل الخطوط الفاصلة توضيحا حاسما بين الاتجاهين .

اهمية النظرية (١)

تشدد لينين في رفض الاتجاه الذي ينتقد اسس الماركسية ويقول عنه انه لا يستهدف ابدال نظرية باخرى ، وانما التحرر من كل نظرية كاملة ومفكر بها جيدا ، انه يعني الانتقائية **وانعدام المبادىء** . واستشهد بنقد ماركس لبرنامج غوتا حيث قرع الانتقائية في صياغة المبادىء وحذر من المساومة في المبدأ او احداث التنازلات في النظرية .

ودعا لينين كما راينا اعلاه الى النضال ضد اتجاه «حرية الانتقاد»، لانه يعني التنازل عن المبادىء ، وضرورة الاهتمام بالنظرية ودراستها . ومما يزيد من ضرورة الاهتمام بالنظرية :

١ ــ الحزب ما زال في طور التأسيس ، ودور تحديد سماته ، ولم يصف الحساب بعد مع الميول الثورية الاخرى التي تهدد بحرفه .

٢ ــ حزب الطبقة العاملة هو حركة اممية في جوهره ، ولا بد من ان يفيد من التجربة العالمية ويطبقها تطبيقا خلاقا . وهذا يتطلب احتياطيا من القوى النظرية والتجربة السياسية (والثورية ايضا) وضرورة دراسة

---

(١) لينين : «ما العمل ؟» ص ٢٩ـ٣٦ .

النظرية والتجربة العالمية دراسة تمحيصية معمقة .

٣ ــ لا يستطيع ان يقوم حزب بدور مناضل الطليعة الا اذا كان ذلك الحزب «يسترشد بنظرية متقدمة» (طليعية) .

٤ ــ ضرورة شن النضال على ثلاث جبهات **اقتصادية وسياسية ونظرية** (من مقدمة انجلز لـ «حرب الفلاحين في المانيا» .

ويستشهد لينين بانجلز الذي اعتبر من اسباب تخلف حركة العمال الانكليزية وبطئها «عدم الاكتراث بأية نظرية» . و«واجب القاده ، على وجه الخصوص ، ان يثقفوا انفسهم اكثر فاكثر في جميع المسائل النظريه، اذ تتطلب الاشتراكية بعد ان اصبحت علما ان «تعامل كما يعامل العلم»، أي تتطلب ان تدرس» . و«يجب نشر الوعي بين جماهير العمال بهمة مضاعفة ابدا» ، كما «يجب ان يزداد على الدوام تماسك صفوف الحزب ومنظمة النقابات» . واخيرا يؤكد انجلز في مقدمته المذكورة ، على ان يكون العمال «على استعداد اذا ما ظهرت على حين غرة محن قاسية ، او حوادث عظمى تتطلب منهم مزيدا من الرجولة والحزم والهمة» .

ويتلقف لينين العبارة الاخيرة ليشدد عليها مندرا بالمحن الاشد التي تنتظر البروليتارية الروسية في صراعها مع وحش يؤدي تحطيمه الى تحطيم اقوى حصن للرجعية الاوروبية . ولكن ذلك لا يكون الا «اذا استطعنا ان نبث في حركتنا تصميما وهمة لا يعرفان حدودا» .

ويمكن تلخيص موضوعات لينين حول اهمية النظرية في هذا الفصل:

اولا : ضرورة دراسة النظرية وتمحيصها جيدا ، خاصة من قبل القادة .

ثانيا : ضرورة النضال ضد الانتقائية واية محاولة للخروج على اسس النظرية وتحريفها .

ثالثا : الموقف المبدئي المستقيم من النظرية وعدم التساهل او المساومة فيها .

رابعا : **«لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية»** .

خامسا : الدعوة الى الاهتمام بالنظرية مع **العمل النظري لتطويرها وتطبيقها تطبيقا خلاقا** .

سؤال ؟ :

ان لينين يدعو هنا للتمسك المبدئي المستقيم المتشدد في اسس النظرية مع ضرورة تطويرها وتطبيقها تطبيقا خلاقا . ان النظرية الثورية ليست صيغا جامدة ، انها جوهر ثوري ، انها «دليل للعمل» . ولكن ما هو الخط الفاصل بين التمسك المبدئي المستقيم بالنظرية وبين الجمود العقائدي ؟ وما هو الخط الفاصل بين تطوير النظرية وتطبيقها تطبيقا خلاقا وبين التحريفية والخروج على المبادىء ؟.

لا يجيب لينين عن هذه الاسئلة مباشرة في كراسته «ما العمل ؟» ولكن كل اجزاء كراسة «ما العمل ؟» هي مثال حي يقدمه لينين على التمسك المبدئي المستقيم بالنظرية والمبادىء والتطبيق الخلاق للنظرية وتطويرها ، كما هو مثال حي ضد الجمود العقائدي وضد التحريفية على حد سواء . ولنحاول هنا باختصار وضع ملامح عامة لهذه الخطوط الفاصلة .

ما هو الجمود العقائدي ؟ انه التمسك بصيغ النظرية وحفظها غيبا ومحاولة تطبيق تلك الصيغ قسرا على ارض الواقع دون التأمل بتلك الصيغ ودون اجراء تحليل ملموس لكل وضع معطى في كل مرحلة ، وفي كل لحظة ، والخروج بالحلول المناسبة .

كتب لينين في كراسته (طفولية الجناح «اليساري» وعقلية البرجوازية الصغيرة) :

« سأقول لكم ، يا اصدقائي الاعزاء ، لماذا وقعتم بهذه الورطة !! لانكم تبذلون الجهد الاكبر لحفظ الشعارات الثورية غيبا بدلا من ان تستنتجوها ، وهذا يقودكم لان تكتبوا «الدفاع عن الوطن الاشتراكي» بين اشارات استشهاد» (١) .

ما هي التحريفية اليمينية والخروج على المبادىء ؟ انها رفض الثورة ودكتاتورية البروليتاريا والتخلي عن الموقف الاممي ، والركض وراء الشرعية والطريق «السلمي» ، او قل التخلي عن الهدف النهائي (اسقاط

---

(١) لينين : الاعمال المختارة ـ لورانس ووشارت ـ لندن ، ص ٤٣٧ .

البرجوازية واقامة دكتاتورية البروليتاريا) واستبداله بالنضال البرلماني والاقتصادي والاصلاحات . ولكن علينا ان نلاحظ ان هذه التحريفية كثيرة التلون ، وتتخذ اشكالا مختلفة حسب السمات القومية او سمات العصر ، وان كان مضمونها واحدا وهو التخلي عن الثورة واحداث تنازلات مبدئية للبرجوازية والسير في ذيل الحركة الجماهيرية العفوية .

ان كلا من الانحرافين ـ الجمود العقائدي والتحريفية اليمينية ـ يتكشفان عن عقم نظري فالاول ـالجمود العقائدي ـ ينتهي الى الحد الذي وصلته النظرية ويحجرها معه . اما الاتجاه الثاني ـالتحريفية اليمينية ـ فيقوم بعملية استعارة النظريات البرجوازية ويخلطها ببعض الشعارات العامة في النظرية ، اي يقوم بعملية انتقائية ولا يولد نظرية ثورية جديدة في اي مجال من المجالات او بالنسبة للتطبيق على اي وضع من الاوضاع .

ولكن ما هو الموقف المبدئي القويم مع تطوير النظرية وتطبيقها تطبيقا خلاقا ؟ اجاب لينين عن هذا السؤال في كراسته (ما هي حقيقة «اصدقاء الشعب) ؟ » (١) ، وذلك في معرض حديثه عن المهمة **النظرية** التي تواجه الماركسيين الروس ، اذ يؤكد ان من الضروري ان تقوم تلك المهمة النظرية **«على الدراسة الموضوعية الملموسة للوضع الروسي المعطى»** . وينتهي الى القول «على الرغم من ان الكثير يجب ان يعمل بعد لبناء هذه النظرية ، اي اتمام هذه المهمة من قبل الاشتراكيين ، وهي مسألة مضمونة بسبب انتشار المادية الديالكتيكية بينهم ، التي هي المنهج العلمي الوحيد.. المنهج الذي يطالب بان يكون **كل برنامج عبارة عن صياغة دقيقة لعملية التطور الواقعية»** ، ثم ينفي ان مطالبته باجراء الدراسة النظرية تعني جعلها سابقة على العمل التطبيقي ، ويكتب بالهامش ، «بل على العكس ان العمل التطبيقي للدعاية والتحريض يجب ان تكون له الاسبقية او الاولوية دائما الان : ١ـ العمل النظري يعطي اجوبة للمسائل التي يثيرها النشاط العملي.

---

(١) لينين : حول « ماركس وانجلز والماركسية » ـ الطبعة الانكليزية ـ موسكو ١٩٥١ (الاجابة عن السؤال ترتكز الى الصفحات من ١٠٠ـ١٠٩) .

ولان ٢ــ الديمقراطيين الاشتراكيين يضطرون ، لاسباب خارجة عـــن ارادتهم . ان يميلوا في الغالب الى العمل النظري ، بدل ان يقيّموا عاليا كل لحظة يصبح فيها النشاط العملي ممكنا .

ويتابع تحليله قائلا ما دام الاشتراكيون هم القادة الايديولوجيـون للبروليتارية في نضالها الملموس وضد اعداء ملموسين . فهنا ، في هذه الظروف . **يندمج العمل النظري والتطبيقي في وحدة واحدة** . والتـــي يسميها ليبكنخت «دراسة ــ دعاية ــ تنظيم» . وان المرء لا يمكن ان يكون قائدا ايديولوجيا ، اذا لم يحقق ما سبق ذكره ، تماما كما ان من المحال ان تكون قائدا ايديولوجيا دون ان توجه العمل النظـــري **«ليستجيب لمتطلبات القضية»** ودون نشر نتائج النظرية هذه بين العمال ومساعدتهم على ان يتنظموا .

وهنا، «تنتفي الدوغمائية» (الجمود العقائدي) عندما يصبح معيار اي مبدأ هو مدى انطباقه على التطور الملموس للتطور الاقتصادي والاجتماعي». ولقد اعتبر ماركس ان قيمة نظريته «تكمن في جوهرها النقدي والثوري».

وكتب لينين في «برنامجنا» (١) في اواخر ١٨٩٩ :

أ ــ نحن مع النظرية الماركسية التي كشفت قوانين الصراع الطبقي، وقوانين الاشتراكية العلمية الخ .

ب ــ تنظيم نضال الطبقة العاملة وقيادته لتحقيـــق **هدفه النهائي** باستيلاء البروليتاريا على السلطة وتنظيم المجتمع الاشتراكي .

ولا يمكن ان يكون هنالك حزب اشتراكي قوي بدون نظرية ثوريـة يمكنها ان توحد كل الاشتراكيين تنبع منها معتقداتهم ، ويستقون منهـا منهجهم في التحليل . ولكنه يقول ان «النظرية تعطي مبادىء عامة يختلف تطبيقها من بلد لبلد» . وان «جوهر البرنامج هو تنظيم البروليتاريـــة وقيادة النضال» مختلف اشكال النضال ومجالاته .

نستطيع ان نستنتج مما سبق :

---

(١) لينين : المصدر السابق «برنامجنا» ص ١٢٤ــ١٢٩ .

اولا : ان الخط الفاصل بين الموقف المبدئي القويم وبين الجمود العقائدي ، هو ان الموقف المبدئي القويم يتمسك **باسس** النظرية الماركسية ويطبقها تطبيقا خلاقا على الوضع المعطى من خلال دراسته دراسة موضوعية ملموسة ، ودمج العمل النظري والتطبيقي في وحدة واحدة متفاعلة ويجعل معيار اي شعار واية موضوعة نظرية هو مدى انطباقهما على التطور الملموس للتطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الخ . بينما يحول الجمود العقائدي (الدوغمائية) النظرية الى صيغ جامدة منسلخة عن التطبيق العملي . ويحاول تطبيقها قسرا على كل وضع معطى . فهو يفسر الواقع المعطى حسب الشعار «الثوري» وليس العكس اي ضرورة استنتاج الشعار الثوري من التحليل الملموس للواقع الحي المعطى في كل مرحلة ، وفي كل لحظة .

ثانيا : ان الخط الفاصل بين تطوير النظرية وتطبيقها تطبيقا خلاقا وبين التحريفية اليمينية هو ان الموقف الاول يتمسك تمسكا قويما متشددا في اسس النظرية وجوهرها في اثناء تطويرها وتطبيقها على الوضع المعطى . بينما تتخلى التحريفية عن الاسس النظرية المبدئية وتستورد الايديولوجية والسياسة البرجوازية فتعمد الى افساد حركة الطبقة العاملة بها ، وهي بهذا تقوم بعملية انتقائية في صياغة المبادىء والموضوعات النظرية .

ثالثا : عندما يتحدث لينين «لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية» فهو لا يعني التسليم بالمبادىء العامة للنظرية فحسب ، وانما يقصد ، على التحديد ، الجوهر الثوري النقدي للنظرية الماركسية .. اي ان النظرية الثورية هي التي تقوم على الدراسة الموضوعية الملموسة للوضع المعطى وتصوغ البرنامج الثوري صياغة دقيقة وفقا لعملية التطور الواقعية . فمثلا ان جماعة الجمود العقائدي يسلمون بالنظرية الماركسية ولكنهم لا يستطيعون ان يبنوا حركة ثورية . وكذلك بالنسبة للتحريفية العالمية المعاصرة فهي تسلم ـ بالكلام طبعا ـ بالنظرية الماركسية اللينينية ولكنها لم تعد تمتلك حركة ثورية . لذا يجب ان تفهم عبارة لينين تلك **«لا حركة ثورية بدون برنامج ثوري يقوم على اساس النظرية الثورية»** . والبرنامج

يشمل استراتيجية الحركة وتكتيكها ويشمل هدفها النهائي كما يشمل خطها التنظيمي والجماهيري والنظري ، او قل هو النظرية الماركسية اللينينية في التطبيق في كل المجالات .

٢ ـ العفوية والوعي (١)

قبل ان نستعرض افكار لينين حول العلاقة بين العفوية والوعي ودور كل منهما ، يحسن ان نقدم للموضوع ؛ مع لفت الانتباه الى ان ادراك موضوعة حول الوعي والعفوية مسألة حاسمة لفهم دور الحزب ووظيفته واهميته .

لقد ركز ماركس وانجلز على شرح المادية التاريخية في معرض ارساء قوانينها العامة ، وفي اثناء الرد على التفسير المثالي للتاريخ ، لذلك شددا على الاهمية الحاسمة لتطور قوى الانتاج وتناقضها مع العلاقات الانتاجية؛ او بعبارة اخرى اهمية العامل الاقتصادي في تطوير المجتمع وانتقاله من مرحلة الى مرحلة اخرى وبوصفه البناء التحتي الذي تقوم عليه كل مؤسسات وايديولوجيات البناء الفوقي . طبعا دون ان يقللا من اهمية دور الافكار والابنية الفوقية في الاسراع او الابطاء في حركة التطور . ولكن جل اعمال ماركس وانجلز تركزت في التشديد على الجانب الاقتصادي بسبب انكبابهما على ارساء القواعد الاساسية للنظرية ودحض المثالية التاريخية .

ثم ركز ماركس وانجلز على دراسة القوانين الخاصة للنظام الرأسمالي وكشف التناقض بين الطابع الاجتماعي لقوى الانتاج والمنتجات وبين الطابع الفردي الخاص لملكية وسائل الانتاج والمنتجات ، وكشفا ان هذا التناقض **يحتم** انهيار النظام الرأسمالي وحتمية حلول النظام الاشتراكي مكانه . وقد ارسيا قوانين الاشتراكية العلمية .

---

(١) «ما العمل ؟» ـ الصفحات ٣٧ـ٧٠ .

ونشأت نظريات تحريفية وتأويلات جامدة لنظريات ماركس وانجلز ففسرت الحتمية التي تحدثا عنها تفسيرا ميكانيكيا ، كما فسرت العلاقة بين البناء التحتي (الاقتصادي) وبين البناء الفوقي (الافكار والوعي والمؤسسات الخ) تفسيرا ميكانيكيا ايضا ، بحيث قللت من دور الوعي والايديولوجية ودور الحزب والصراع السياسي للاستيلاء على السلطة . وبالغت بأهمية التطور العفوي والنضال الاقتصادي الصرف ، واحداث الاصلاحات الاقتصادية الخ .

طبعا ان التفسيرات الميكانيكية تلك ، غريبة تماما عن النظرية الماركسية ، اذ ان ماركس وانجلز اعطيا اهمية كبيرة للوعي والنظرية والحزب والصراع السياسي ولكن لم يبحثا الموضوع تفصيلا . بل لم تكن حياتهما مجرد عمل نظري صرف ، وانما كانت ايضا نشاطا عمليا في قلب النضال الثوري نفسه . وقد قادا عصبة الشيوعيين ثم الاممية الاولى ثم الاممية الثانية . وكانا دائما يؤكدان على وحدة النظرية والتطبيق والعلاقة المتفاعلة بين النظرية والتطبيق بحيث يغني كل منهما الاخر بحركة لولبية صاعدة ابدا . فقد اكد ماركس في معرض رده على هيغل ان النظرية تصبح **قوة مادية** حين تعتنقها الجماهير . واكد ماركس وانجلز على ضرورة بناء حزب البروليتاريا المستقل ، والعمل النشط على نشر الوعي بين صفوف البروليتاريا وتنظيمها وتسليحها وتحضيرها لدخول المعارك الحاسمة والاستيلاء على السلطة وبناء دكتاتوريتها . وقد رفضا بحزم النظرية التطورية العفوية والتريديونيونية كما رفضا الفوضوية والبلانكية .

ولكن ضرورة التركيز ، في تلك الفترة ، على ارساء قوانين المادية التاريخية والاشتراكية العلمية ، وحداثة التجربة الثورية البروليتارية اتاح فرصة لترعرع التأويلات الميكانيكية وبالتالي ، افسح الفرصة للانتهازية اليمينية لتحاول تضليل الطبقة العاملة باسم الماركسية ـ طبعا من خلال تشويه الماركسية ونزع جوهرها الثوري النقدي ـ .

وجاء لينين ليحسم الموضوع حسما نهائيا في التشديد على دور النظرية والوعي ودور الحزب وكشف القوانين الخاصة التي تحكم تنفيذ الحتمية الموضوعية التي صاغها ماركس وانجلز ، فبيّن ان هذه الحتمية

تتحقق ليس من خلال تطور القوى الانتاجية وتناقضها مع العلاقات الانتاجية فحسب ، وانما تتطلب ايضا نشر الوعي الثوري وتكوين الحزب والمنظمات الجماهيرية واتقان فن (تكنيك) التحريض السياسي والعمل النظري ، واتقان فن (تكنيك) العمل التنظيمي وفن القيادة والعمل الجماهيري ، واتقان فن (تكنيك) وضع الاستراتيجية والتكتيك ، وفن تعيين اللحظة المناسبة والعمل تحت كل الظروف ، وبكلمة لقد جاء لينين فاكمل عمل ماركس وانجلز نظريا وعمليا ، ولعل كتاب (ما العمل ؟) من اهم أعماله التي طورت النظرية الماركسية ، وخاصة فيما يتعلق بموضوعة العفوية والوعي ودور الحزب . لذلك يجب ان ندرس بتدقيق أفكار لينين حول العفوية والوعي .

أ ـ العفوية :

ثمة طرازان من العفوية او مرحلتان للحركة العفوية :

١ ـ عفوية الحركة العمالية مع نشوء الرأسمالية والتي تتجه الى تكسير الآلات ورؤية التطور الصناعي كشيطان مريد .. والجنوح للعودة الى المرحلة السابقة .

٢ ـ عفوية الحركة الجماهيرية العمالية ـ اضرابات اقتصادية وتحديد مطالب وتكوين عمل نقابي اقتصادي والافادة من دروس الاضرابات والتضامن مع المناطق الاخرى .

ويعتبر لينين ان المرحلة الثانية يمكن وصفها «بالوعي» اذا ما قورنت بالمرحلة الاولى ، ولكنها في الواقع تشكل الوعي الطبقي المتقدم **في شكله الجنيني** اذ تكشف التضاد بين العمال وبين الرأسمالية في المصانع ، بيد انها لا تزود العمال بالوعي للتناقض العدائي بينهم وبين كامل النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ السياسي القائم اي لا تزودهم بالوعي الاشتراكي.

ولهذا يعتبر لينين ان العنصر العفوي يشكل ، في جوهره ، المظهر الجنيني للوعي ، ويصفه :

١ ـ انه يعبر عن فقدان الثقة بالوضع القائم .

٢ ــ **احساس** بضرورة المقاومة ــ احساس وليس **فهما** .
٣ ــ بداية رفض الخضوع الذليل وهو اقرب لليأس والانتقام منه **للنضال الواعي** .

لقد اثبتت تجربة الطبقة العاملة في كل البلدان ان حركتها العفوية لم تولد الوعي الاشتراكي ، بل ان من المحال ان يتولد الوعي الاشتراكي عفويا من قلب حركة العمال . «وان الحركة العفوية لا يمكن ان تولد غير النقابية (التريديونيونية) اي السياسة البرجوازية للطبقة العاملة» (١) «ان تجربة كل البلدان اثبتت ان الطبقة العاملة لا تستطيع ان تكتسب بقواها الخاصة غير الوعي النقابي ــ الانتظام في نقابات ضد الرأسمالية ــ مطالبة بسن قوانين عمل لمصلحة النضال النقابي (لا يعني ان ليس لها اي طابع سياسي او انها لا تقوم بنضال سياسي ولكن ليس سياسة ديمقراطية اشتراكية)، لذلك فان الوعي الاشتراكي يأتي الى العمال من خارج **طبقتهم**، فتعاليم الاشتراكية العلمية وضعها مثقفون ينتمون للانتلجنسيا البرجوازية، يقصد ماركس وانجلز . ويستشهد لينين برأي كاوتسكي ــ قبل ان يرتد ــ الذي يقول ان الاشتراكية تستمد جذورها من العلاقات الاقتصادية الراهنة كشأن النضال الطبقي البروليتاري سواء بسواء ، انها كالنضال البروليتاري تنبثق من الصراع ضد الاستغلال الرأسمالي وافقار العمال . بيد ان الاشتراكية والنضال الطبقي ينبثقان احدهما **الى جانب** الآخر لا احدهما **من** الآخر ، فهما ينبثقان من مقدمات مختلفة ، اذ يقوم الوعي الاشتراكي على اساس معارف علمية والعلم ليس بيد البروليتارية ، وانما بيد المثقفين البرجوازيين ، ولهذا انبثق الوعي الاشتراكي عن طريق بعض فئات المثقفين ونقلوه الى الفئات المتقدمة من البروليتارية التي اخذت تدخله الى النضال الطبقي .

يمكن تلخيص رأي لينين حول هذه القضايا :
١ ــ العنصر العفوي يشكل المظهر الجنيني للوعي .
٢ ــ لا يمكن ان يتولد الوعي الاشتراكي عفويا من حركة الطبقة العاملة.

---

(١) «ما العمل ؟» ص ١٢٧ .

٣ ــ الوعي السياسي الطبقي (الوعي الاشتراكي) لا يمكن حمله الى الطبقة العاملة الا **من الخارج** اي عن طريق المثقفين .

٤ ــ يقول لينين ان النظرية الاشتراكية العلمية «نشأت من النظريات الفلسفية والتاريخية والاقتصادية التي صاغها المثقفون الذين ينتمون للطبقات المالكة» ... ولكن هذا «**لا يعني ان العمال لا يستطيعون أن يشاركوا في وضع النظرية ولكنهم يفعلون ذلك بوصفهم علماء الاشتراكية النظريين اي بعد كسبهم للمعرفة**».

وهذا يقضي :

أ ــ «بضرورة التركيز على رفع مستوى وعي العمال» .

ب ــ «لا يمكن للعمال وضع ايديولوجية مستقلة عبر النضال العفوي، لذا فالمسألة اما ايديولوجية برجوازية وامـــا ايديولوجيـــة اشتراكية ولا ثالثـــة بينهما . لا ايديولوجية خارج الطبقات . وكل انتقاص للايديولوجية الاشتراكية او ابتعاد عنها هو تمكين للايديولوجية البرجوازية» .

اذن يؤكد لينين اهميـــة الوعـــي ودوره الحاسم بالنسبة لنضـــال البروليتارية . هـــذا الوعي الاشتراكي الذي لا يتولد عن الحركة العفوية البروليتارية وانما يجلبه لها المثقفون .

ولكن ، اذا كان المثقفون يأتون الى الطبقة العاملة بالوعي الاشتراكي ، ويبدأون ــ مع الفئات المتقدمة من العمال ــ بشن النضال الطبقي **الواعي** تحت لواء اوسع برنامج وتكتيك للنضـــال . الا انهم سرعـــان ما يمنـــون بالاخفاقات وتلقي الضربات من الشرطة والجهاز الحاكم . لماذا ؟ لانه ينقصهم الاستعداد العملي، والتجربة الثورية والاستجابة لمختلف متطلبات النضال.

ويعلق لينين على ان «هذه الاخفاقات بسبب عدم الاستعداد ظاهرة طبيعية ، ولكن في الواقع هنا ايضا **عفوية** اخرى ، والتي يمكن ان نسميها **عفوية التنظيم الطليعي**»، وهي ما يسميها لينين بالتنظيم الحرفي. اننا هنا امام برنامج ووعي متقدمين على التنظيم الذي بقي عفويا . وسنبحث هذه القضية فيما بعد ، ولكن ما هي نتائج العفوية التنظيمية على الطليعة المتقدمة نظريا وسياسيا ووعيا . ببساطة ان التخلف التنظيمي يقود الى ردة ، الى

العفوية في مجال النضال السياسي والاقتصادي ، اي انتكاسة الوعي والنظرية ، اذ سيبرز اتجاه تقديس العفوية . وهذا بدوره سيجر لجملة من الموضوعات التحريفية الخطيرة التي تطرح كتسويغ للهزائم والاخفاقات. طبعا لا بد من ان يتولد اتجاه اخر ـ الاتجاه اللينيني ـ الذي لا يجعل الاخفاقات ترتد به الى العفوية . وانما على العكس ، يعمد على اكتساب التجربة الثوريه والمهارة التنظيمية والخلاص من العفويه في التنظيم ونشر الوعي والنضال .

نعود الان لنتابع لينين في تحليل الردة الى تقديس العفوية .

منطلقات الردة لتقديس العفوية :

أ ـ تمجيد حركة العمال العفوية والهجوم على القادة المثقفين الطليعيين تحت شعار «اخذ العامل يناضل في سبيل مقدراته بعد ان انتزعها من ايدي القادة» . وهنا يقول لينين «وبدلا من استنهاض الهمم للسير الى امام ، لتوطيد المنظمة الثورية ، وتوسيع النشاط السياسي ، ارتفعت الدعوة للارتداد الى وراء .. الى النضال النقابي وحده» وارتفعت شعارات «النضال للهدف السياسي الاعلى بحجب النضال الاقتصادي» و «العمال للعمال» . ويصف لينين ان هذا الاتجاه تحطيم كامل للوعي من قبل العفوية وتكرار للسياسة البرجوازية المستوردة من النقابية الانكليزية.

ب ـ «السياسة تسير بخنوع خلف الاقتصاد» ويرد لينين : «كون المصالح الاقتصادية تلعب الدور الحاسم ، الا ان المرء لا يستطيع ان يستنتج ، باي حال من الاحوال ، موضوعة الاهمية القصوى للنضال الاقتصادي (= النقابي) ؛ لان مصالح الطبقات الجوهرية الفاصلة لا يمكن ان تلبي الا على اساس تغييرات جذرية بوجه عام ، ولهذا فان مصلحة البروليتارية الاقتصادية ، خاصة مصالحها الاساسية ، لا يمكن ان تلبى الا عن طريق ثورة سياسية تحل دكتاتورية البروليتارية محل دكتاتورية

البرجوازية» (١) .

ج ــ موضوعة «النضال الممكن ؟!» ويقصد بالنضال الممكن ذاك الذي يمكن للعمال القيام به في الظروف الراهنة ، او هو النضال الذي يمارسونه عمليا . ويرد لينين : «اما نحن فعلى العكس غير راضين عن هذا السجود امام العفوية ، اي عبادة ما هو كائن «في هــذه اللحظة» .. اننا نطالب بتغيير التكتيك الذي ساد في السنوات الاخيرة» (٢) . اما القول «انه لم تكن ثمة ظروف للعمل غير النضال في سبيل مطالب صغيرة » فيرد عليه «ان الظروف كانت متوفرة لشن نضال على مستوى اعلى ولكن الذي لم يكن متوفرا انما هو وجود **القادة المستعدين استعدادا كافيا**» . وقد اعتبر لينين ان تلك الاخفاقات نصف مصيبة ولكــن المصيبة الكاملــة فهي عندما بدأ التصميم والوعي يخبوان ونشأ اتجاه يبرر الخضوع الذليل امــام العفوية تبريرا نظريا .

وعندما حلل لينين لماذا تنشأ الاتجاهــات الثورية غــير الماركسية وتنتعش مع نهوض الحركة الجماهيرية ، بدلا من ان يؤدي ذلك النهوض الى تقوية نفوذ الديمقراطية الاشتراكية وترسيخ مكانتها .. اعطى الاسباب التالية :

١ ــ لاننا لم نكن اكفاء للمهمة .

٢ ــ لان نشاط العمال قد فاق نشاطنا .

٣ ــ لم يكن عندنا **قادة ومنظمون** ثوريون **مستعدون** استعدادا كافيا، **ويعرفون** حق المعرفة **مزاج** جميع الفئات المعارضة ، **ويحسنون** الوقوف على راس الحركة ، ويحولــون التظاهرة العفوية الى تظاهرة سياسية .. ويوسعون طابعها السياسي الخ .

٤ ــ اذا استمر الحال على هذا المنوال فسيستغل تأخرنا الثوريون غير الماركسيين الابعد همة والاكثر حركة .

ولكي نفهم منظور لينين الى الحركة العفوية فهما اكثر عمقا ، لا بد

---

(١) «ما العمل ؟» ص ٦١ ــالهامش ــ .

(٢) «ما العمل ؟» ص ٢٨ــ٢٩ .

ان نرى كيف يقيم الطبقة العاملة .

الطبقة العاملة والجماهير

يتبنى لينين منظور ماركس وانجلز من حيث النظرة الى البروليتارية بوصفها اكثر الطبقات ثورية وتقدما ، وتشكل طليعة الجماهير في احداث الانعطاف التاريخي ، اي في اسقاط الرأسمالية وبناء الاشتراكية . اما السبب في ذلك فيرجع الى كونها الطبقة التي تمثل قوى الانتاج الجديدة الصاعدة ، فهي تعمل في ارقى ادوات الانتاج ، وهذا بدوره اكسبها صفات مميزة كالنظام والعمل الجماعي الخ وحملها الرفش لحفر قبر الرأسمالية . ولكن ماركس لم يعتبر ان احتلال البروليتارية هذا الموقع في العملية الانتاجية كاف وحده ليجعلها ثورية بصورة تلقائية ميكانيكية . صحيح ان وضعها المادي في عملية الانتاج جعلها **موضوعيا** اكثر الطبقات ثورية ، ولكن تحولها الى طبقة ثورية عمليا وذاتيا يتطلب تنظيمها كطبقة ووعيها لذاتها وتخطيها لذاتها من خلال ذلك الوعي ، ولهذا ركز ماركس على تأسيس حزب البروليتارية الذي ينظمها كطبقة مستقلة تناضل لذاتها ، وركز على اهمية الدعاية والتحريض ونشر الافكار الثورية بين جماهير البروليتارية لتصبح طبقة تعي ذاتها . ولكن كما قلنا سابقا لم يعتبر ماركس ان الطبقة العاملة ثورية بشكل مطلق : «البروليتارية اما ثورية واما لا شيء» ، كما انه اعتبر ان افكار الطبقة السائدة هي سائدة ايضا على النطاق الاجتماعي، فقد كتب في «الايديولوجية الالمانية» :

«ان افكار الطبقة الحاكمة ، هي الافكار الحاكمة في كل عصر ، اي ان الطبقة التي تشكل القوة **المادية** المسيطرة في المجتمع هي القوة **الثقافية** المسيطرة في الوقت نفسه ايضا . ان الطبقة التي تمتلك وسائل الانتاج المادية لها السيطرة ، في الوقت نفسه ايضا ، على وسائل الانتاج الفكري، ولذلك، وبالتالي تخضع لها ، بصورة عامة ، افكار اولئك المحرومين من

ملكية وسائل الانتاج المادي» (١) .

وجاء لينين ليؤكد على ثورية الطبقة العاملة موضوعيا . ولكنه رآها على ما هي عليه ايضا في ارض الواقع :

١ ــ رأى سيطرة الايديولوجية البرجوازية على الطبقة العاملة ، كما كشف امكانات السيطرة الايديولوجية البرجوازية فهي اقدم من الايديولوجية الاشتراكية ومبحوثة من كل الجوانب بصورة افضل ، وتمتلك وسائل النشر الخ . «صحيح ان الاشتراكية تجذب العمال ولكن مواقع الايديولوجية البرجوازية اوسع انتشارا ، ولهذا فهي تفرض على العامل عفويا اكثر من غيرها» (٢) .

٢ ــ «يستشهدون هنا بـ «الظروف الروسية الملموسة التي تدفع حركة العمال حتما الى الطريق الثوري» ان هؤلاء الناس لا يريدون ان يفهموا ان الطريق الثوري لحركة العمال يمكنه ان يكون ايضا طريقا غير طريق الديمقراطية الاشتراكية» (٣) .

٣ ــ امكانية انقسام صفوف الطبقة العاملة بين عدة ايديولوجيات (يضرب لينين مثال الطبقة العاملة الالمانية المنقسمة الى (أ) نقابات كاثوليكية (ب) نقابات على الطريقة التريديونيونية الانكليزية (اي سياسة البرجوازية للطبقة العاملة) (ج) قسم ديمقراطي اشتراكي) (٤) .

٤ ــ امكانية خضوع جماهير باسرها خضوعا ذليلا للطبقة الحاكمة (٥).

٥ ــ «لا يوجد سلاح بيد الطبقة العاملة في نضالها من اجل السلطة غير سلاح التنظيم» .

---

(١) كارل ماركس ــ مختارات من كارل ماركس ــ بليكان بوك ــ باللغة الانكليزية: ص ٩٣ .

(٢) «ما العمل ؟» ص ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ــ هامش ص ١٢٨ ــ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٤ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٨ ــ الهامش ــ .

«ان الطبقة العاملة بسبب انقسامها نتيجة فوضى الانتاج والمنافسة واضطرارها الى العمل ، يقذف بها ، على الدوام ، الى (القاع) .. قاع الانحلال والهمجية والتفسخ . ان البروليتارية تصبح ، ولا بد من ان تصبح ، قوة لا تقهر ، **فقط** عندما تعزز وحدتها الايديولوجية عن طريق الماركسية بالوحدة المادية عن طريق تنظيم يحول ملايين الكادحين الى جيش للطبقة العاملة .. جيش لا يقهر» (١) .

ومن هنا ، جاء تاكيد لينين الحازم على اهمية الدعاية والتحريض (نشر الوعي) والنضال الايديولوجي والنظري ، ورفض تقديس العفوية .

ولكن ، هل يعني رفض تقديس العفوية والتركيز على اهمية الوعي والحزب والنظرية رفضا لعفوية الحركة الجماهيرية ؟

الحركة الجماهيرية العفوية :

لقد اعتبر لينين ان نهوض الحركة الجماهيرية العفوية مسألة حتمية ، وهي في منتهى الاهمية ، ولكن المسألة تتركز في كيفية النظر الى الحركة الجماهيرية العفوية . وهنا يبرز موقفان :

أ ـ تقديس العفوية وتحويل الحزب الثوري الى تابع للحركة الجماهيرية العفوية .

ب ـ نهوض الحركة الجماهيرية العفوية يفرض على الحزب الثوري **مهام جديدة .. مهام نظرية وسياسية وتنظيمية** معقدة جدا بالقياس الى المهام التي يواجهها الحزب الثوري قبل نهوض الحركة الجماهيرية العفوية (٢) . وهذا هو موقف لينين .

وقد كتب في مقالة «مهماتنا المباشرة» ١٨٩٩ : «ان مهمة الحزب

---

(١) لينين : «حول ماركس وانجلز والماركسية» ـ خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء ـ ص ١٦٥ .

(٢) «ما العمل ؟» : ص ٦٠ .

هي تحويل نضال العمال العفوي ضد المضطهدين ، عن طريق تنظيم العمال والدعاية ، والتحريض بينهم الى نضال لكل الطبقة العاملة ، الى نضال حزب سياسي محدد لتحقيق اهداف سياسية محددة ومثل اشتراكية» . وقدم مشروع قرار لمؤتمر الحزب السادس في براغ ١٩١٢ : «ضرورة تنظيم التحريض السياسي وتوسيعه ، وتقديم كل دعم للحركة الجماهيرية وتأمين توسعها تحت راية شعارات الحزب» .

وكتب في «خطتا الديمقراطية الاشتراكية في الثورة الديمقراطية» ١٩٠٥ حول الانفجارات الجماهيرية الثورية بان الجماهير في تلك اللحظات تجترح العجائب «ولكن يجب على قادة الاحزاب الثورية ان يقوموا بمهماتهم في تلك الفترات ايضا قياما اشمل واشجع بشكل يجعل شعارهم ان يكونوا دائما امام مبادرة الجماهير الثورية» .. ويكونوا للجماهير كالمنارة .

بل ان لينين يؤكد في دراسته حول «حرب الفوار» ضرورة التعلم من تجربة الجماهير ، ويبين كيف ان النهوض الجماهيري العفوي يبدع اشكالا جديدة في النضال يجب على الحزب ان يعممها وينظرها .

ويمكن ان نلخص افكار لينين حول هذه النقطة :

١ ــ الحركة الجماهيرية العفوية بدون الوعي والحزب الثوري القائد تسير في طريق مسدود ، وتنتهي الى تبني الايديولوجية البرجوازية والسياسة البرجوازية .

٢ ــ التشديد على اهمية الوعي والحزب ودورهما الحاسم .

٣ ــ يجب على الحزب ان يسير على راس الحركة الجماهيرية ويقودها ويرفعها الى مستوى شعاراته لا ان يتحول الى ذيل لها .

٤ ــ دعم كل حركة جماهيرية ثورية ، واطلاق مبادرة الجماهير وفعاليتها والتعلم منها وتعميم تجربتها وتنظيرها .

٥ ــ ثمة علاقة ديالكتيكية بين نهوض الحركة الجماهيرية العفوية وبين الحزب الطليعي بحيث يتطلب ذلك النهوض ارتفاع مستوى مهماته النظرية والسياسية والتنظيمية ، بينما يؤدي ارتفاع هذه المهمات بدوره الى زيادة نهوض الحركة الجماهيرية العفوية وتعميقها وتوسيعها .

ما دام لينين قد رفض الاستسلام للعفوية وشدد على اهمية الوعي والحزب ، اي على اهمية العامل الذاتي ، فقد انتقل الى خطوة ارقى ، الا وهي بحث وضع خطة عملية يجري بموجبها العمل اليومي في كل الميادين التحريضية والتنظيمية الخ. فهو من ناحية يعترف مـن حيث المبدأ بكل اشكال النضال واساليبه ، ولكنه يؤكد ، في الوقت نفسه ، على ضرورة وضع خطة عملية ، وضرورة تنفيذها باستقامة . ولكن هذا الامر لا يمكن بحثه «اذا لم توجد منظمة قوية متمرسة بالنضال السياسي وتحسن القيام به في جميع الظروف والمراحل» . وقد اتهم بسبب ذلك بالتقليل من اهمية العنصر الموضوعي او العفوي في التطور والاستعاضة بالخطط الذاتيـة . ونشأ اتجاه يقول ان «وجود خطـة تكتيكية ينـافي روح الماركسية مـن اساسها» . اما لينين فقد وضع القضية على الصورة التالية :

١ ــ الاعتراف بكل اشكال النضال وضرورة وضع خطة عملية لكل حالة معطاة ليس تناقضا ، اذ ان الاعتراف بكل طرق اشكال العلاج يقضي بضرورة اتباع خطة عملية معينة لمعالجة مرض معين .

٢ ــ ان تاريخ الحركة الثورية زاخر بالخطط التي وضعها هذا او ذاك من القادة الثوريين ، اذ يمكن في كـل حالة ، اتخـاذ عدة قرارات ومواقف تجاهها ، وبعض هذه القرارات صحيح وبعضها خاطىء اذن لا بد من خيار بين عدة قرارات ومواقف ، وهذا بالتالي يعنـي ضرورة تحديد موقف عملي مبرمج .

٣ ــ ان معرفة ديناميكية تطور العنصر الموضوعي تعني الوعي ، اي تفرض الوعي من اجل فهم صحيح للتطور الموضوعي .

٤ ــ ان عفوية الجماهير تتطلب من الحزب قدرا كبيرا من الوعي ، **وكلما ارتفع النهوض الجماهيري زادت الحاجة الى الوعي النظري والسياسي والتنظيمي .**

٥ ــ ان مهمـة الحزب الثوري رفع الحركة العفويـة الى مستوى برنامجه ، واذا لم يعمل الحزب على اساس خطة عملية تنفذ يوميا بانتظام ومواظبة واستقامة ، فسيستحيل بناء المنظمة القوية القادرة على الارتفاع

الى مقدمة المد العفوي الجماهيري .

٦ ـ ان الماركسية تحفز نشاط المناضلين ومبادراتهم وهمتهم وتضع قوى الملايين الهائلة امامهم ليعبئوها وينظموها الخ .

٣ ـ السياسة النقابية والسياسة الديمقراطية الاشتراكية (١) :

اوضح لينين ان مصالح الطبقات الجوهرية الاساسية لا يمكن ان تلبى **الا** على اساس تغييرات سياسية جذرية ، اي عن طريق الثورة السياسية والاستيلاء على السلطة السياسية . ان هـذه الموضوعة هي محور تفكير لينين ومنطلقه عند تقييم اي موقف ، او تحديد اية خطوة ، فلماذا يرفض تقديس العفوية ؟ ان ذلك يرجع اساسا لهذا المنطلق ، ولماذا يريد بناء حزب طليعي من طراز جديد ؟ ان ذلك يرجع اساسا لهذا المنطلق . ولهذا السبب بالذات ومن هـذا المنطلـق بالذات رفض لينين النقابية (التريديونيونية) ورفض مـا سُمي «بالاقتصادية» . حقا ان «النقابيـة» الانكليزية او «الاقتصادية» الروسية او «الاصلاحية» البرنشتانية لا تنكـر السياسة انكارا مطلقا ، ولكنهـا تخضع السياسة لخدمة المصالح الآنيـة المحدودة للطبقة العاملة وتتخلى عن النضال من اجل الهدف النهائي . يقول لينين في مقالة «ملحوظات واعية» ١٩١٣ ، «افصلوا النضال من اجل الاصلاحات عن النضال من اجل الهدف النهائي . هذا هو جوهر انجيل البرنشتانية في حقيقـة الامر» . بينما موقف لينين هو «اخضاع النضال مـن اجل الاصلاحات ، بوصفه جزءا من كل ، للنضال الثوري من اجل الحرية ومن اجل الاشتراكية» (لينين : ما العمل ص ٨٣) .

وهنا يختلف الاتجاهان ـ الاتجـاه الاصلاحي والاتجـاه الثوري ـ بالنسبة لمسألة التشهير والتحريض ، كما يختلفان بالنسبة للموقف مـن النضال النقابي . فالاصلاحية تستهدف من النضال النقابي ايجاد ظروف افضل يبيع العمال فيهـا قوة عملهم بسعر افضـل ، بينما لا يستهدف

---

(١) «ما العمل ؟» : الصفحات من ٧٠ الى ١٣١ .

الاتجاه الثوري ذلك فحسب . وانما ايضا يرمي من ورائه الى القضاء على النظام الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ السياسي الذي يرغم المعدمين على بيع قوة عملهم . وكذلك ان الاصلاحية تعمل على التشهير باوضاع العمل . ولكنها لا تستخدمها كجزء من الحملة التشهيرية التحريضية في كل المجالات لتوعية العمال وتعبئتهم ضد النظام باسره . اما لينين فقد اعطى اهمية كبرى لمسألة التشهير والتحريض في كل المجالات ، وضمن خطة عامة . فقد قال باهمية التشهير باوضاع العمل وتعميم الحوادث المشهر بها ، بل قال ان التشهير باي فرع من فروع العمل حتى المندثرة منها ، في البلدان الراسمالية المتقدمة ، حافز ليقظة الوعي الطبقي ولانتشار الاشتراكية . ان التشهير باوضاع العمل ، وكذلك النضال النقابي ، بدون وعي وعمل منظم ينحرفان الى العفوية . ولكن لينين اعتبر ان التشهير لا يجوز ان **يقتصر على الناحية الاقتصادية ، او يستغرق القسم الاكبر** من طاقة المناضلين لان الحزب الثوري من الطراز الجديد لا يمثل الطبقة العاملة من حيث علاقتها مع فئة معينة من اصحاب العمل وحسب ، وانما ايضا ، في علاقتها مع جميع الطبقات الاخرى في المجتمع المعطى ، ومع الدولة بوصفها القوة السياسية ـ العسكرية المنظمة للطبقة الحاكمة .

ولكن ما هو تعريف لينين للتشهير : ان التشهير السياسي هو اعلان الحرب على الحكومة ، كما ان التشهير الاقتصادي هو اعلان الحرب على صاحب العمل : وان ازدياد اعلان هذه الحرب له اهمية معنوية بالغة ، لانه كلما اتسعت حملة التشهير كلما ازدادت اعداد العمال الذين يعلنون بداية الحرب وازداد عزمهم . ان التشهير السياسي : (أ) وسيلة قوية من وسائل تفسيخ النظام الاجتماعي ، (ب) وهو وسيلة لعزل العدو عن حلفائه المؤقتين والطارئين ، (ج) وهو وسيلة لبذر بذور العداء والحذر بين المشتركين الدائمين في السلطة الاستبدادية (ما العمل ص ١٩) .

لم يقصر لينين التشهير في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تتعلق بالطبقة العاملة فقط ، وانما اكد ضرورة توسيع التشهير ليفضح الفظائع التي تحدث **لمختلف الطبقات والفئات** المظلومة ، اي يجب ان يتناول كل مظهر ملموس من مظاهر الظلم بلا استثناء ، وهذا

يعني ان يتخذ طابعا شاملا بحيث يعمد لتوسيع التربية السياسية للطبقة العاملة لتشمل الطبقات والفئات المظلومة الاخرى . وبكلمة فتح مصاريع كل ابواب التحريض في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتعليمية ؛ ابتداء من التشهير باوضاع العمل ، ومرورا بمظاهر الاضطهاد البوليسي؛ وانتهاء باضطهاد الصحافة والمثقفين. وينفي لينين ان التحريض الاقتصادي اقوى جذبا من التحريض في المجالات الاخرى ، بل يؤكد على ضرورة استخدام التحريض الاقتصادي لخدمة التحريض السياسي وليس العكس .

ان التشهير والتحريض باكتسابهما طابعا سياسيا وشمولا يتطلبان ايضا ان ينظما ويمارسا بشكل منتظم وبمواظبة وهمة ضمن خطة عامة محددة . على ان تستخدم وسائل التشهير العام الذي يتخذ طابع العمل الدعائي ــ كتابة كراسات ودراسات وتناول الموضوع بعموميته ــ كما يتخذ طابعا جزئيا عن طريق العمل التحريضي ــ الاعتماد على الكلمة الحية (الخطابة)، وتناول حادثة واقعية حية (موت عائلةعامل عاطل عنالعمل) الخ.

يمكن تلخيص رأي لينين حول شروط توسيع التحريض السياسي وعلاقة التشهير السياسي بتربية النشاط الثوري للجماهير :

١ ــ تنظيم التشهير السياسي في جميع الميادين لان تربية وعي الجماهير السياسي ونشاطها الثوري غير ممكنين الا عن طريق هذا التشهير (اي التشهير السياسي) .

٢ ــ لا يمكن ان يكون وعي الطبقة **وعيا سياسيا حقا** ما لم يتعود العمال الرد على كل حالة من حالات الطغيان والظلم والعنف وسوء التصرف؛ شريطة ان يكون الرد من وجهة نظر الحزب الثوري لا من اية وجهة نظر اخرى .

٣ ــ لا يكون وعي العمال وعيا طبقيا حقا ؛ الا اذا تعلموا الافادة من الوقائع والحوادث السياسية الملموسة والعاجلة ، **ومراقبة كل طبقة من الطبقات الاجتماعية** الاخرى في جميع مظاهر حياتها العقلية والاخلاقية والسياسية .

٤ ــ ان الطبقة العاملة بقيادة حزبها لن تستطيع ان تمارس التحريض

بين كل فئات الشعب المظلومة وتعبئها وقيادتها ما لم تعرف سمات كل طبقة وفئة ، ما لم تعرف الطبيعة الاقتصادية والسمات الاجتماعية والسياسية للملاك العقاري والرأسمالي والفلاح والطالب والمثقف والمعلم والصعلوك الخ ، ما لم تعرف نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم . بل ان معرفة الطبقة العاملة لنفسها مرتبطة ارتباطا لا ينفصم بمعرفتها العميقة الواضحة للعلاقات المتبادلة بين كل طبقات المجتمع الراهن معرفة ليست **نظرية** فقط «بل الاصح ان نقول معرفة ليست نظرية بقدر ما هي مبنية على التجربة الحية الواقعية للحياة السياسية» (ص ٩٢ ــ ٩٣) .

٥ ــ معرفة ما هي المؤسسات والقوانين التي تعكس هذه المصالح او تلك .

ان هذه المعرفة لا تأتي من **قراءة الكتب** ، ولا يمكن ان تصل للعامل الا من الصور الحية ومن التحليل الملموس . ان التشهير السياسي على هذا الشكل **شرط اساسي للتوعية** .

ان تنظيم التشهير وجعله شاملا وحيا يدفع العامل المتخلف ان **يحس** بان الاضطهاد شامل ، بانه واقع كذلك على الطالب والفلاح والكاتب الخ ، ومصدره هو تلك **القوة الظلامية نفسها** التي تسحقه هو الآخر .. وما ان يحس حتى يرغب في ان يرد بنفسه .. فيبدأ بتوقيع عريضة اليوم ، ويشارك غدا في تظاهرة ، ويحمل السلاح بعد غد ، ولكن لن يستطيع ممارسة هذا التشهير الا المناضل العملي الذي يعيش الممارسة الثورية يوميا.

ويتناول لينين نقطة تتعلق بسيكولوجية الجماهير العادية ، وهي توقها لمعرفة اخبار السياسة العامة فهي تريد ان تعرف من الطليعة الثورية ما لا تلمسه من امور السياسة من الجرائد الرسمية ومن تجربتها الجزئية العملية . كما يلفت الانتباه الى ان الجماهير بحاجة الى تحريض سياسي مباشر ، يسهل عليها تناوله وليس الى كراريس مملة وابحاث مطولة .

ويناقش لينين اتجاهين عفويين يلتمسان اسلوب التحريض التهييجي السطحي : الاول «الاقتصادية» التي تدعو الى مسايرة النضال الجماهيري الجاري ، وهي بهذا لا تأتي بجديد في مجال التحريض الجماهيري ، اما الاتجاه الثاني ــ الارهابية ــ وهو يعتمد الارهاب كبرنامج يستهدف :

(١) تخويف الحكومة وتفسيخها بالارهاب ؛ (٢) ايجاد حافز قوي ومهيج للجماهير . ويرد لينين ان مسألة تخويف الحكومة وتفسيخها بالارهاب قد اثبتت التجربة العملية بطلانه ، اما ممارسة الارهاب كمهيج للجماهير ، فيقول عنها «ان الذي لا يهتاج من جراء الطغيان الروسي فسينظر الى المبارزة الدائرة بين الحكومة وبين قبضة الارهابيين وهو «ينكش انفه» .

اما السبب الذي يجعل لينين يسمي الارهابية بالحركة العفوية رغم انها تعتمد على النخبة وتتطلب من الافراد اقصى درجات نكران الذات ، فيرجع ذلك لكونها **تقدس عفوية السخط الحار لدى المثقفين الذين لا يعرفون ، او لا يستطيعون ، ان يربطوا العمل الثوري بحركة الجماهير في كل واحد .** لذلك فان الارهابيين والاقتصاديين ، على حد سواء ، يستصغرون نشاط الجماهير الواعي الثوري .. فالارهاب «مهيج» مصطنع وكذلك الاقتصادية «مهيج» سطحي . ويقول «وهؤلاء واولئك لا يلتفتون التفاتا كافيا الى رفع **نشاطهم انفسهم** في ميدان التحريض السياسي ، وتنظيم التشهير السياسي ، رغم ان ما من شيء يمكن ان يحل محل هذا الامر ، لا في الوقت الحاضر ، ولا في اي وقت آخر» ... «والواقع ان مساوىء الحياة الروسية تهيج جماهير العمال لدرجة كبيرة ، ولكننا لا نحسن ، ان جاز التعبير ، جمع وتركيز قطرات وجداول التهييج الشعبي التي تنضح بها الحياة بكميات اكبر مما نتصور ، والتي ينبغي لنا جمعها في سيل واحد جارف» .

ولكن ، اذا اتفق الجميع على ضرورة تنمية الوعي السياسي للبروليتاريا وممارسة التحريض والتشهير السياسيين الشاملين وتنظيمهما ، فسيبقى السؤال كيف نقوم بذلك ؟ وماذا يجب توفره من اجل القيام بذلك ؟ ويجيب لينين لكي تحمل الطليعة الثورية الوعي السياسي الى العمال لا يكفي «الذهاب اليهم» اذ ينبغي للثوريين من اجل ان يحملوا الوعي السياسي الى العمال «ان يتوجهوا الى كل طبقات السكان .. ينبغي لهم ان يرسلوا فصائل جيشهم الى جميع الجهات» (ص ١٠٥ ما العمل).

على الحلقة التي تعمل بين العمال الا يقتصر عملها على بحث قضاياهم ومشاكلهم ، بل يجب ان تتناول كل جوانب التحريض السياسي المحلي

والقومي والاممي ، ووضع كل طبقة ، وبحث التجربة الثورية الخ . وعلى المناضل المحرض ان يحسن الرد على كل مظهر من مظاهر الطغيان والظلم بصرف النظر عن مكان حدوثه وعن الفئة او الطبقة التي حل بها ذلك الطغيان .. يجب ان يفيد من كل حادثة ، ومن كل مسألة ، ليعرض مبادئه الاشتراكية ، ويفضح كامل النظام القائم . ويمكن تلخيص الخطوط العامة التي وضعها لينين للعمل السياسي :

١ ــ شرح ثوري للنظام المعطى باكمله ولمظاهره الجزئية .
٢ ــ صياغة مطالب العمال المباشرة مع قيادة نشاط مختلف الفئات المعارضة ، ووضع برنامج ايجابي للعمل .
٣ ــ التشهير السياسي بالحكومة والاوضاع .
٤ ــ الدعوة للمبادىء الثورية العامة .
٥ ــ جعل جريدة الحزب جريدة المعارضة الثورية ، والتنديد بالاوضاع التي تصطدم بمصالح مختلف الفئات .

ولكن السؤال ، **كيف يتم التوجه لكل طبقات وفئات السكان ؟**

ويجيب لينين «يجب التوجه لهم بوصفنا نظريين ، وبوصفنا دعاة ، ومحرضين ، وبوصفنا منظمين» . وهذا يقتضي دراسة جميع خصائص الوضع الاجتماعي والسياسي لمختلف الطبقات ، وعدم حصرها بالطبقة العاملة ، هذا من ناحية العمل النظري ، اما من ناحية العمل الدعائي والتحريضي ، فيجب اختيار اهم قضايا الساعة التي تتيح للثوريين العمل مع فئات السكان الاخرى .

ان «الشيوعيين يؤيدون كل حركة ثورية» (١) لذلك يجب «ان نبسط امام الشعب **كله** المهام الديمقراطية العامة ونشدد عليها دون اخفاء عقائدنا الاشتراكية ، اذ ليس بديمقراطي اشتراكي من ينسى عمليا انه ملزم بان يكون اول من يطرح ويشجب ويحل كل مسألة من المسائل الديمقراطية العامة» (٢) وانه «لا يكفي ان نحمل اسم «الطليعة» او «الفصيلة الامامية»

---

(١) ماركس وانجلز ؛ «البيان الشيوعي» .
(٢) لينين : «ما العمل ؟» ص ١١٠ .

بل ينبغي لنا ان نعمل بشكل يحمل جميع القوى الاخرى على ان تـــرى وتعترف باننا نسير في المقدمة» (١) . ان الطليعية تعني «وضع خطة جريئة تنتزع اعتراف الجميع» (٢) . واذا كان الحزب التوري يريد ان يكـــون الطليعة حقا فعليه ان يشرك مختلف الفئات والطبقات لاسقاط الحكـــم القائم ؛ ويجب ان يقود العمل النشط لمختلف الفئات المعارضة . ولكن هل يتم ذلك على اساس الظهور امام الفئات الاخرى بمظهر المشهّر بالاوضاع الراهنة فقط ؛ لا على التأكيد ، وانما :

١ ــ يجب ان يوضح لكل فئة ان النظام **كله** غير صالح .

٢ ــ تنظيم نضال سياسي شامل تحت قيادة الحزب بشكل يجعل كل الفئات تتعاون معه وتساعده وتدعمه .

٣ ــ ضرورة خلق قادة يحسنون قيادة مختلف اوجه هذا النضال الشامل قيادة عملية ، وليس فقـــط من خلال التشهـــــير بالاوضـــاع .

٤ ــ وعلى هؤلاء الكوادر القادة من الحزب ان يحسنوا وضـــــع **« برنامج عملي ايجابي »** ، في اللحظة المناسبة ، لكل فئة ، حين تتحرك وتكون بحالة غليان .

ولكي يستطيع الحزب ان يقوم بهذه المهمة :

١ ــ عليه ان يركز في البدء على تقوية مواقعه بين العمال .

٢ ــ بعد ان يقوى الحزب نسبيا ؛ ويجذب الفئات المثقفة . يجب ان يعرف كيف **ينظم عمل كوادره** والمثقفين ؛ وكيـــف يحسن تشغيل جميع القوى والطاقات وتعيين العمل المناسب لكـــل فرد وخلية ومجموعة .

٣ ــ يجب ان يكون اعضاء الحزب موجودين في كل مكان . وفـــي جميع الفئات الاجتماعية ، وفي جميع المواقع التي توفر معرفة النوابض الداخلية لآلة الدولة .

---

(١) المصدر السابق ص ١١١ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٢ .

٤ ــ يجب على الحزب الا يعتمد على عفوية وجود كوادره في كل مكان . او مجيئهم من كل فئات السكان . وانما يجب ان يعمل لتحقيق ذلك ايضا .

٥ ــ يجب الا تقتصر الافادة من المثقفين ومن مختلف الكوادر الذين ينحدرون من مختلف الفئات والطبقات على الدعاية والتحريض وتوجيه النضالات المختلفة وقيادتها فقط . لان الحزب بحاجة اليهم ليعملوا **في التنظيم** ايضا .

ويلفت لينين النظر ايضا الى نقطتين : الاولى . «لا توجد طبقة اجتماعية او فئة ليس فيها اشخاص وجماعات وحلقات من الساخطين على الاوضاع» . والثانية : «ان افراد وساسة الفئات والطبقات الاخرى اناس اذكياء وعمليون ويعرفون خطورة التشكي . لذلك لن يتوجهوا بشكاواهم للحزب الثوري ويطلبوا دعمه الا اذا تأكدوا من ان دعم الحزب لهم سيكون ذا تاثير فعلا ، وان الحزب يشكل قوة سياسية مرهوبة الجانب . **ولكن الحزب لن يصبح على مثل هذه القوة في نظر الاخرين بمجرد اعلانه عن نفسه بانه «طليعة» ، بل ينبغي «لنا ان نعمل بدأب واصرار على رفع مستوى وعينا ومبادرتنا وهمتنا»** .

ولكن السؤال، هل يعتبر توجه حزب البروليتارية لكل فئات وطبقات السكان تراجعا عن وجهة النظر الطبقية ؟ او كيف يوفق حزب البروليتارية بين النضال على مستوى الشعب كله ، وبين المحافظة على الهوية الطبقية؟ يبين لينين ان لا تناقض بين نضال الحزب كحزب بروليتاري يستهدف تحقيق الهدف النهائي للبروليتارية وبين توجهه لمختلف طبقات الشعب ، ونضاله من اجل القضايا الديمقراطية العامة . بل انه يرى ان **النضال الطبقي الصرف على مستوى البروليتارية ، فقط ، نضال خيالي لن يفيد النضال من اجل اهداف الطبقة العاملة مطلقا . بل ان النضال من اجل توعية البروليتارية ومن اجل تحقيق الاشتراكية مرتبط بالتوجه لمختلف طبقات وفئات السكان وقيادتها والدفاع عنها كما هو مرتبط اشد الارتباط بالنضال من اجل القضايا الديمقراطية العامة .**

اما كيف لا يفقد حزب البروليتارية هويته الطبقية ؟ فان لينين يجيب:

١ ــ تشرح كل القضايا **بالروح الاشتراكية** دون تسامح مطلقا بتشويه الماركسية .

٢ ــ يجري التحريض والنضال من اجل اية قضية بوصفها جزءا من كل لا يتجزأ .

٣ ــ تربية البروليتارية تربية **ثورية وبالروح الاشتراكية والاحتفاظ باستقلالها السياسي** . وقيادة نضالها الاقتصادي والافادة من صداماتها العفوية مع مستثمريها . تلك الصدامات التي تجذب اوساطا اوسع فاوسع من البروليتارية الى صفوف الحزب .

٤ ــ يشن الهجوم على الحكومة **باسم الشعب كله** . وباشراك كل الفئات والطبقات الناقمة ، تحت قيادة حزب البروليتارية .

٥ ــ ضرورة ادخال النضال الطبقي الى القرية وتعزيز جبهة العمال والفلاحين الفقراء وشبه البروليتارية .

لذلك على حزب البروليتارية ان يكون :

أ ــ اول من يعطي التقدير الاكثر ثورية لكل حادث .

ب ــ اول من يسند كل احتجاج **على الاستبداد** .

ج ــ اول من يتدخل في جميع قضايا الحياة الاجتماعية والسياسية .

د ــ **اول من يتقدم الصفوف في كل مكان مستثيرا الاستياء** السياسي في كل الطبقات موقظا النيام ، مستحثا المتاخرين ، **مقدما الحلول لكل القضايا بغية** تنمية وعي البروليتارية السياسي ونشاطها السياسي .

وبعد .

فاذا كان لينين قد كشف سمات العفوية وابعادها . وبيّن ان تقديسها ومجراها التلقائي يقودان الى طريق مسدود . واذا كان قد بيّن الاهمية البالغة لدور الوعي والتنظيم والعمل المخطط المبرمج . واذا كان قد بيّن اهمية التشهير السياسي والتحريض السياسي واشراك كل فئات السكان مع البروليتارية في النضال . واذا كان قد بيّن اهمية النضال من اجل القضايا الديمقراطية العامة، جنبا الى جنب مع نضال البروليتارية الطبقي المستقل .

اذا كان قد اظهر كل ذلك فما هي النتيجة المنطقية التي سيصل اليها ؟ او قل كيف يمكن التحكم في مسير الاحداث قدر المستطاع ؟ كيف يمكن الامساك بدفة السفينة **وتوجيهها وقيادتها بالوعي والارادة والاختيار؟**

جواب لينين : «**منظمة واحدة مركزية** لعامة الروسيا **توحّد** في ضغط واحد عام جميع مظاهر المعارضة السياسية والاستياء على اختلافها .. منظمة تتألف من **ثوريين محترفين يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله**» (١) .

ولكن ، ما هي طبيعة هذه المنظمة وسماتها ؟ وكيف يجب ان تعمل؟

٤ ـ التنظيم العفوي ، وتنظيم الثوريين الواعي (٢)

ينطلق لينين من موضوعة هامة تقول «طابع كل مؤسسة يحدده . بصورة طبيعية محتومة ، **مضمون نشاط** هذه المؤسسة». واذا كان لينين قد حدد ، كما راينا سابقا ، مضمون نشاط حزب البروليتارية وهو تنظيم التشهير والتحريض الشاملين في كل المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وبين كل الفئات والطبقات ، وتنمية وعي البروليتارية والجماهير وتنظيمها وشحذ روحها الثورية وقيادتها ، ابتداء من ادنى اشكال النضال ومرورا بالثورة المسلحة ، وانتهاء باقامة دكتاتورية البروليتارية وتنظيم المجتمع الاشتراكي والغاء الطبقات . لذلك فان رؤية لينين لطابع تنظيم حزب البروليتارية تنطلق من تحديد مضمون نشاطه . وهذا ما يفسر رفضه القاطع لتقديس الاشكال التنظيمية التي تتكون عفويا ، كما يفسر تشديده الحازم على ضرورة الخلاص من تلك الاشكال العفوية في تنظيم الحزب ، وضرورة اعادة تنظيمه على طراز جديد ، اي ضرورة ان يكون طابع تنظيم الحزب في مستوى مضمون نشاطه ومهماته.

---

(١) «ما العمل ؟» ص ١٣١ .

(٢) «ما العمل ؟» الصفحات ١٣١ـ٢٣٤ (عنوان الفصل الرابع في كتاب ما العمل : «عمل الاقتصاديين الحرفي وتنظيم الثوريين») .

أ ـ ضد العفوية في تنظيم الثوريين

ساد التنظيم الديمقراطي الاشتراكي في الروسيا حتى عام ١٩٠١ نوع من التنظيم يسميه لينين «العمل الحرفي» .. تتشكل حلقه طلابية من مثقفين ماركسيين . وتبدأ الاتصال بالعمال . وتقوم باعمال دعايـــة وتحريض وتوسيع صفوفهـــا . بجذب مثقفين وعمال اليها ، وتنظيـــم جريدة سرية محلية . وتدعو للاضرابات والتظاهرات . ثم ينهار العمل كله حين تطبق عليها الشرطة السياسية ، وتلقي القبـــض على عناصرها . ويتوقف النشاط في تلك المنطقـــة او الحي او المصنع ، لبينما تعـــود فتتشكل حلقة اخرى تلقائيا ، لتعاود سيرة زميلتها وتلقى المصير نفسه ؛ وهكذا . لماذا يحدث ذلك ؟ وما هي اسبابه ؟

١ ـ الاستعداد معدوم .
٢ ـ الحلقة لا تربطها صلة ، او تنسيق . مع الحلقات الاخرى .
٣ ـ يجري العمل دون اي تنظيم لمختلف اجزاء العمـــل الثوري ، ودون اي **منهاج عمل** منتظم لفترة طويلة لحد ما .
٤ ـ كانت الشرطة السياسية تعرف الطلبة ، فتترك الحلقة تنشط حتى تنقض عليها في الوقت المناسب . بينما عمل التنظيم يسير ضمن العفوية ، ودون التقيد الصارم بقواعد العمـــل السري ، وتعميم التجربة وارساء تقاليد ثورية لمكافحة الشرطة السياسية وحماية التنظيم .

ولكن تلك الحلقات كانت تقوم بعمل نشط خلال حياتها القصيرة ، وكانت تتوالد باستمرار ، وقد تطورت المعارك ـ الاضرابات والتظاهرات ـ وزاد البطش مع تطور النضال الجماهيري .. واخذت الاعتقالات الواسعة تؤدي الى ابقاء الساحة خالية من الكوادر الثورية ذات الكفاءة العالية . وهكذا اصبحت حلقات العمال بدون كوادر قائدة .. وقد نتج عن ذلـك الوضـــع :

١ ـ دبت الفوضى واصبح تشكيل الحلقات عرضيا ، وعملها عفويا. وانعدم **الاستعداد** .

٢ ــ قلت ثقة العمال بالمثقفين (يسببون الاخفاقات من جراء طيشهم المفرط) اما السبب الحقيقي فيرجع لنقص رباطة جأش المناضلين والنقص في سرية العمل واليقظة .

٣ ــ اخذت حركة العمال العفوية تنمو بسرعة اكبر من نمو المنظمات الثورية .

٤ ــ فقدت الكوادر الثورية السيطرة على الحركة الجماهيرية العفوية والتأثير عليها .

طبيعي ان السبب في كل ذلك يرجع لان حلقات الثوريين لا يربطها **تنظيم واحد** ، ولا تؤلف منظمة **موحدة قوية** تخضع **لنظام محدد** وتتطور اجزاؤها وفقا **لمنهاج** ، وتكتسب **المعرفة في مبادىء العمل السري** ، لذلك لا بد من توحيد كل المنظمات الثورية توحيدا **فعليا** مع **اختيار** اعضائها اختيارا **دقيقا** .

ولعل عدم ادراك ضرورة الحاجة الى مثل هذه المنظمة يشكل الخطورة الحقيقية .. اذ ان النقص في العمل التنظيمي والعفوية في التنظيم امران طبيعيان ملازمان لنشوء الحركة الثورية وقلة تجربتها وتمرسها ، ولكن عدم رؤية الحاجة للخلاص من هذه العفوية وتلك النواقص .. عدم تسليط النار عليها يقود الى السير في الطريق المسدود ، خاصة وان الاتجاه الانتهازي سينبري الى **تقديس عفوية** التنظيم **وهنا تكمن المصيبة الحقيقية** .

اذا كان على المنظمة الثورية ان تربي البروليتارية والجماهير على النضال الحازم العنيد . وتؤمن للحركة الثورية تطورا مطردا ، وتحول دون انزال الضربات القاسية في الكوادر الثورية من قبل الشرطة السياسية ، وتعيد ثقة العمال والجماهير بالمثقفين والطلبة الثوريين والكوادر الثورية ، فيجب عليها ان تدرك ضرورة :

١ ــ تحديد المهمات السياسية بكل وضوح (ص ١٣٧) .

٢ ــ فهم المهمات العملية الالح في كل مرحلة (ص ١٣٩) .

٣ ــ عدم الاستسلام لعفوية التنظيم «الحرفي» وضرورة ادراك **المهمة الحاسمة** : انشاء منظمة ثوريين قادرة على ان **تؤمن**

للنضال السياسي القوة والثبات والاستمرار (ص ١٣٨) .

٤ ــ تسليط النقد على نقص **الهمة والمبادرة** في العمل التنظيمي (ص ١٣٩) .

٥ ــ تسليط النقد على نقص الخطط والبرمجة لعمل جريء واسع (ص ١٣٩) .

وهنا يلقي لينين بموضوعة هامة في اثناء نقده للعفويين : «لا ترون المعجزات التي تستطيع الاتيان بها في العمل الثوري **همه الافراد** فضلا عن **همة المنظمات** بمجموعها» (ص ١٤١) .... «ان الثوري الروسي الذي يسترشد بنظرية ثورية .. ثورية حقا ، ويستند الى طبقة ثورية حقا تستيقظ . بصوره عفوية ، **يستطيع** اخيرا في هذا الوقت بالذات ان ينتصب بكل قامته **ويطلق كل قواه العملاقة**» (ص ١٤١) . ان لينين هنا لا يعلن رفضه للعفوية فحسب . وانما ايضا ، يقيم عاليا دور **الفرد** ودور **المنظمة** ، اذا ما تم الاسترشاد بنظرية ثورية واعتمد على طبقة ثوريه . واذا ما تم التحلي **بالهمة** ضمن تنظيم جيد ، وسياسة صحيحة ، وخطط للعمل الجريء الواسع . في الواقع . ان لينين اعطى دورا حاسما للكوادر **كأفراد وكمجموعة** وكذلك للقادة الى جانب الدور الحاسم للوعي والنظرية والتخطيط والبرمجة . بل انه لم ير العامل الموضوعي ــ المادي ــ يستطيع ان يحقق شيئا دون تدخل ارادة البشر ووعيهم وتصميمهم وتنظيمهم وهمتهم . ولم يطرح هذه القضية طرحا مطاطا ، وانما وضعها بتحديد ودقة ورأى ان آراءه العشرة تلك تعمل ضمن ارادة **نواة من الكوادر والقادة** تجمعهم منظمة ثوريين واحدة . وهو يطرح بهذا الصدد القضايا التالية :

١ ــ «يستطيع العمال والناس العاديون اظهار اعلى همة وتضحية في الاضرابات وقتال الشوارع ضد الجيش والشرطة ، ولكن النضال ضد **الشرطة السياسية** ، يتطلب صفات خاصة .. يتطلب ثوريين **محترفين**» (ص ١٤٤) .

٢ ــ الاضراب والنشاطات الجماهيرية بحاجة الى الدفاع عنها، ونشر اخبارها ، والحيلولة دون قتلها بالصمت والحصار والعزلة ، وهذه المهمة لا يستطيع ان يقوم بها جمهور المضربين او المتظاهرين ، وانما يجب تنظيم

هذا النضال « حسب كل أصول الفن (التكنيك) » من قبل **اناس** يجعلون النشاط الثوري مهنتهم (ص ١٤٦) .

٣ ــ انجذاب الجماهير للنضال **لا يقلل** من الحاجة الى اناس محترفين ينظمون هذا النضال بل على العكس ، فان اتساع النضال جماهيريا **يزيد** الحاجه الى **تنظيمه** (ص ١٤٦) .

٤ ــ ان النضال الجماهيري بحاجة الى ان يبقى في طي الكتمان في اثناء التحضير ، كما هو بحاجة الى الخروج من طي الكتمان عند انفجاره واثنائه وبعده . وهذا يحتم وجود منظمة ثوريين محترفين (ص ١٤٦) .

٥ ــ حمل الوعي الثوري الى الجماهير يتم من **الخارج** .. لذا يجب الا يجري نقل الوعي من قبل الطلبة والمثقفين بصوره تلقائيه وعفوية ، بل يجب ان ينظم ويكسب صفة الثبات والاستمرار والقوة (ص ١٣٨) .

٦ ــ ان الجمهور المستيقظ عفويا يقدم من صفوفه ايضا ، عددا متزايدا من الثوريين المحترفين لانه سيدرك بالتجربة الملموسة اهمية منظمة الثوريين المحترفين (ص ١٤٦) .

حول المنظمات الجماهيرية ومنظمة الثوريين المحترفين

ما دام طابع كل مؤسسة يحدده مضمون نشاطها ، لذلك فان تنظيم الحزب الثوري لا بد من ان يكون من **طراز اخر** يختلف عن تنظيم المنظمات الجماهيرية مثل النقابات والاتحادات الطلابية والنسائية الخ . فمثلا لا بد لنقابة العمال من ان تكون : ١ــ مهنية، ٢ــ واسعة ما امكن ، ٣ــ علنية ما امكن . بينما لا بد لمنظمة الثوريين من ان تضم بالدرجة الاولى، وبصورة رئيسية ، اناسا **مهنتهم** النشاط الثوري . وحيال هذه الصفة المشتركة بين اعضاء هذهالمنظمة يجب **ان ينعدم تماما كل فرق بين العمال والمثقفين،** فضلا عن ضرورة انعدام كل فرق بين مهن هؤلاء واولئك على اختلافها . وينبغي لهذه المنظمة بالضرورة **الا تكون واسعة جدا** ، وان تكون **على اكثر ما يكون من السرية** (ص ١٤٧) . وهذا يعني ان منظمة الثوريين تتشكل من ١ــ اشخاص محترفين للعمل الثوري ، ٢ــ عددهم قليل ، ٣ــ لا فرق

بين عامل ومثقف ، ٤ـ التنظيم سري ،

اذا كان لينين يضع فرقا حاسما بين منظمة الثوريين المحترفين (يقصد حزب الطبقة العاملة) وبين المنظمات الجماهيرية العمالية وغيرها ، فهو يشدد ، في الوقت نفسه ، على ضرورة ترسيخ العلاقه بين منظمة الثوريين المحترفين وبين المنظمات الجماهيرية ، بل يجب ان تكون العلاقة قوية الى اقصى حد وخالية من التعقيد ما امكن ، ولكن يجب **الا تعتبر** ، باي حال من الاحوال ، منظمة الثوريين والمنظمات الجماهيرية **شيئا واحدا** ، ويجب الا **يخلط** بين النشاطين لا في ظروف الاستبداد حين تكون المنظمة الجماهيرية غير «مشروعة» ، ولا في ظروف العلنية حين تكون منظمة الثوريين علنية . فالمنظمة الجماهيرية ـ النقابة مثلا ـ يجب ان تكون دائما واسعة والا تحصر عضويتها بعمال من طراز واحد بمعنى العمال الذين يؤيدون الاشتراكية . وانما يجب ان تكون عامة لكل عمال المهنة التي تمثلها النقابة ، كما يجب ان تنشط منظمة الثوريين في داخلها ، وتعمد الى ترسيخ نفوذها فيها ، ولكن يجب الحذر ان تتحول المنظمة الجماهيرية ـ في ظروف السرية ـ الى مصيدة لاكتشاف الثوريين من قبل الشرطة السياسية . كما يجب ان تعمد منظمة الثوريين في كل الظروف الى ان تمارس عملا نشطا في داخلها، وتركز على كشف المدسوسين ـ عملاء البرجوازية ـ كما تركز على فضح الايديولوجية البرجوازية ، وتحول دون سيطرة العناصر «العمالية» التي اشترتها البرجوازية ، على المنظمة الجماهيرية وتحول دون سيطرة السياسة البرجوازية في عمل المنظمة الجماهيرية او تغلغلها بين العمال . بل يجب استخدام المنظمة الجماهيرية كمحرقة للمخبرين ، وارضا للثوريين يحصدون منها انصارهم ويعززون مواقعهم فيها . «الواجب ايجاد حصادين يحسنون اقتلاع زوان اليوم ، وجني حنطة الغد» (ص ١٥٠ ـ ١٥٢) .

ويقترح لينين على المنظمة الجماهيرية ـ النقابة ـ في ظروف الاستبداد والسرية الا تتخذ شكلا تنظيميا ـ انتخاب هيئات ادارية ، وصندوق مالي الخ ـ وانما تقاد من قبل «نواة صغيرة متراصة تتألف من اشد العمال ثقة وحنكة وتمرسا في النضال لها معتمدون في المناطق الرئيسية ، وتتصل

بمنظمة الثوريين على اساس مراعاة قواعد العمـــــل السري بكل دقة ، تستطيع تماما ، استنادا لتأييد واسع من الجمهور ، وبدون اي شكـل تنظيمي ان تقوم بجميع الوظائف الملقاة على المنظمة المهنية ، وتقوم بها على الشكل الذي تريده منظمة الثوريين» (ص ١٥٧) . لذلك يجب التركيز اولا وقبل كل شيء «على انشاء منظمة ثوريين **وطيدة قوية**» (ص ١٥٧) .

وهنا دفعت آراء ضد موضوعة لينين يمكن تلخيصها :

«لا خير **في** حركة لا تأتي من تحت» لان «لجنة الطلبة غير صالحة.. انها غير ثابتة» ، «ويجب على الحركـــة ان تضرب جذورا في الاعماق» «ضرورة ان تحل الجموع محل القادة . ان القضاء على دزينة من «الاذكياء» اسهل على الشرطة من القضاء على مائة احمق» .

ويرد لينين :

١ ــ ثمة خلط بين مسألة «ضرب الجذور في الاعماق» و«حركة تأتي من تحت» وهي مسألة فلسفية واجتماعية وتاريخية ، وبين مسألة تحسين النضال ضد الشرطة السياسية وهي مسألة تكنيكية تنظيمية (ص ١٥٩).

٢ ــ وجود قادة سيئين يتطلب استبدالهم بقادة جيدين ، امـــــا استبدال القادة عموما بالجموع فهي عملية تستهدف اثارة غرائز الغرور الرديئة في الجموع . وبالتالي حرمان الحركة **متانتها وثباتها** عن طريـق تقويض ثقة الجماهير «بدزينة» الاذكياء (ص ١٥٩ ــ ١٦٠) .

٣ ــ صحيح ان «لجنة الطلبة غير صالحة لانها غير ثابتة» ولكن يجب الاستنتاج ان الامر يتطلب لجنة من ثوريين محترفين .. من اناس **ينمّون** في انفسهم صفات **الثوري المحترف** ، ولا يهم بعد ذلك ان يكونوا عمالا او طلابا (ص ١٦٠ ــ ١٦١) .

٤ ــ بالنسبة للقول «لا خير في حركة لا تأتي من تحت» فيرد لينين ان دفع حركة العمال من الخارج امر ضروري . والخطأ انه لم يتم علـى نطاق واسع من قبل الطلبة والمثقفين ويجب ان يزداد اكثر فاكثر. ويصف الذين ينتقدون «الدفع من الخارج» ويحرضون العمال بعدم الثقة بجميع الذين **يحملون** لهم من **الخارج** المعرفة السياسية والخبـــرة الثورية .. يصفهم **«بالديماغوجيين(الدجالين) وهم شر اعداء الطبقة العاملة»** (ص١٦١).

٥ ــ يتعذر في المجتمع الراهن على اية طبقة من الطبقات ان تناضل بثبات بدون دزينة من الزعماء النوابغ (والنوابغ لا يولدون بالمئات) .. دزينة من الزعماء النوابغ **المجرّبين والمتفقين في الرأي اروع اتفاق والمهيئين فنيا** ، والذين حنكتهم **تجارب الايام** (ص ١٦٠) .

٦ ــ «القبض على دزينة من الاذكياء (الاذكياء في الميدان التنظيمي هم ، فقط ، الثوريون المحترفون سواء ظهروا من الطلاب او العمال) ، اصعب جدا من القبض على مائة احمق» (ص ١٦٣) .

ثم يعود لينين ليطرح مجموعة من الموضوعات حول منظمة الثوريين (١) :

١ ــ لا يمكن ان توجد اية حركة ثورية وطيدة بدون منظمة من **القادة** ثابتة **تحافظ** على **استمرار** الحركة .

٢ ــ بمقدار ما تتسع الحركة الجماهيرية العفوية بمقدار ما تزداد الحاجة لمثل هذه المنظمة وبمقدار ما يصبح من الواجب ان تكون وطيدة اكثر وراسخة اكثر .

٣ ــ يجب ان تتألف ، بصورة رئيسية ، من اناس يجعلون **النشاط الثوري مهنة لهم** .

٤ ــ بمقدار ما نضيّق عددها ونحصره بالثوريين المدربين فنيا على تكنيك (فن) النضال ضد الشرطة السياسية تزداد صعوبة اصطياد هذه المنظمة .

٥ ــ يزداد عدد اعضاء الطبقة العاملة والطبقات الاجتماعية الاخرى الذين تتاح لهم امكانية الاشتراك في الحركة الجماهيرية والعمل النشط فيها .

وعندما يشرح لينين الفقرتين (٤ و٥) اعلاه ينطلق من ان المنظمة الجماهيرية غير ممكنة في حالة ضرورة المراعاة الدقيقة لقواعد العمل السري ، اذ «لا يمكن رفع منظمة جماهيرية الى ذلك المستوى من السرية»، لان الضرورة ، في تلك الحالة ، تقضي بتركيز كل الوظائف السرية في

---

(١) «ما العمل ؟» : الصفحات ١٦٣ــ١٦٤ .

ايدي اقل عدد ممكن من الثوريين المحترفين . وهذا لا يعني ان هـؤلاء «سيفكرون عن الجميع» ، او ان الجماهير لن تشارك في الحركة بنشاط . بل على العكس تماما . ان الجماهير ستولد على الدوام اعدادا اكبر فاكبر من اولئك المحترفين ، اذ ينبغي للجماهير ان تنفق السنين على تنشئة ثوريين محترفين يخرجون من صلبها . ان تركيز الوظائف السرية للمنظمة الثورية لا يعني اطلاقا تركيز جميع وظائف الحركة بيدها . بل يعني ان تشارك الجماهير اوسع فاوسع في مختلف اوجه النشاطات الاخرى التي لا تحتاج الى سرية مطلقة . ان قيام «دزينـــــة» من الثوريين المجرّبين والمدربين فنيا تدريبا لا يقل عن تدريب الشرطة السياسية ، بتركيز جميع النواحي السرية في العمل ــ تحضير المناشير وطباعتها ، وضع خطة ، تعيين هيئة قيادة لكل حي ومنطقة ومصنع ومدرسة ــ ان هذا التركيز سيطلق نشاط المنظمات الجماهيرية لاقصى حد وسيطلق مبادرات الجماهير ومشاركتها في النضال الى اقصى حد ايضا .

ان المنظمات الجماهيرية على اختلافها يجب ان توجد في كل مكان، وعلى اوسع نطاق ، وتضم اكبر عدد ممكن من الجماهير ، وتقوم بوظائف كثيرة التنوع ما امكن ، ولكن من الخطأ والضرر ان نخلط بينها وبين منظمة الثوريين ، او ان نطمس الحد الفاصل بينهما .

ان المنظمات الجماهيرية بحاجة من اجل خدمتها وتطويرها وقيادتها الى كوادر من المنظمة الثورية ، وعلى هذه الكوادر ان **تربي نفسها بصبر واصرار** كثوريين محترفين .

وعندما يميل لينين ليصف الثوري «الحرفي» ــ الذي يعمل بعفوية تنظيمية ــ يقول عنه انه : «ضيق الافق ، ضعيف ومتردد في القضايـا النظرية ، يأخذ من عفوية الجماهير مسوغا لرخاوته ، انه اشبه بسكرتير نقابة منه بمحرض شعبي . انه غير اهل لعرض برنامج جريء ينتـــزع احترام الخصوم انفسهم ، انه قليل الخبرة ، وغبي في الفن الذي اتخذه لنفسه مهنة ــ النضال ضد الشرطة السياسية» . ثم يسأل : «هل هذا يسمى ثوريا من فضلكم ؟!!» (ص ١٦٦ ــ ١٦٧) .

بل ان لينين حين ينتقد العفوية في التنظيم ــ العمل الحرفي ــ

ينقد نفسه ايضا اذ شارك في العمل على الاشلوب «الحرفي» هو نفسه في اول عهده بالنضال (ص ١٦٧) . ويأتي ليناقش الشعار الذي كثيرا ما تردد ايام العمل العفوي في التنظيم «اعطونا منظمة من الثوريين نقلب روسيا راسا على عقب» . ان لينين يريد ان يترجم هذا الكلام الى واقع. لذلك يميل لتوجيه النقد لاولئك الذين يتشكون من قلة الكوادر الثورية : «المجتمع يقدم من صفوفه عددا كبيرا جدا من الاشخاص الاكفاء للعمل ولكننا لا نحسن الافادة منهم جميعا» (ص ١٦٨) . ويجمل الوضع في ذلك الحين : «لا يوجد ناس وتوجد كثرة من الناس !» وبكلمة الكوادر موجودة ولكن «في الوقت نفسه لا يوجد ناس ، وذلك لعدم وجود قادة ، لعدم وجود زعماء سياسيين ، لعدم وجود منظمين موهوبين اكفاء لتنظيم عمل واسع ، بحيث يكون ذلك العمل ، في الوقت نفسه ، موحدا ومنسجما يسمح بالافادة من كل القوى حتى اضعفها» (ص ١٦٨ ــ ١٦٩) .

ويؤكد لينين ان من الضروري توزيع آلاف الوظائف الجزئية في العمل التنظيمي بين مختلف الطبقات ، وتنظيم العمل التنظيمي على اساس التخصص . ولكن لكي يمكن توحيد جميع هذه الاجزاء الصغيرة ــ آلاف الوظائف الجزئية ــ في كل واحد ، ولكيلا تؤدي تجزئة وظائف الحركة واسلوب التخصص الى تجزئة الحركة نفسها . ولكي يشعر القائم بالعمل الجزئي باهمية عمله وضرورته ويسلح بالايمان بما يعمل ــ ذلك الايمان الذي لن يناضل بدونه ــ لكل هذه الاسباب ، يجب ان تكون هنالك منظمة قوية من الثوريين المحترفين » (ص ١٧٠ ــ ١٧١) .

يجب تخطيط العمل النضالي بحيث ينظم عمل كل انسان ابتداء من المناضل الذي يعمل في البريد وانتهاء بالمناضل او النصير الذي يعمل في البلاط القيصري . بل يجب ان تتضمن الخطة زرع الاعضاء والانصار في كل جهاز . كما يجب ان يوجه انتباه جدي **الى العمل بين القوات المسلحة .. وتكوين «منظمات عسكرية» من الجنود والضباط تنتسب لمنظمة الثوريين (ص ١٦٩ ــ ١٧٠) .**

وهنا يعدد لينين بعض فوائد المنظمة الثورية الوطيدة :

١ ــ اشاعة الايمان بقوة الحزب ، ويتسع هذا الايمان بمقدار مراعاة

الحزب لقواعد العمل السري . اذ من المعروف ان احد الامور الهامة جدا في الحرب هو ان يشيع الايمان بقواك لا في جيشك فحسب وانما ايضا، في صفوف العدو ، وفي جميع العناصر المحايدة كذلك . «فالحياد مع التحبيذ يقرر نتيجة المعركة احيانا» (ص ١٧١) .

٢ ــ وقوف منظمة كهذه على قاعدة نظرية راسخة ، تمتلك جريدة مركزية لا يخشى عليها من الانحراف وراء العناصر «الخارجية» المنجذبة اليها (ص ١٧١) .

٣ ــ جمع كل النشاطات الجزئية في كل واحد والافادة من كل القوى والعناصر (ص ١٦٩) .

اذا كان لينين في الفصل السابق قد رفض تقديس البروليتارية ، بمعنى رفض السجود لعفويتها وحالتها الراهنة ، فانه يضع هنا مهمات ايجابية على منظمة الثوريين بالنسبة للعمل بين العمال :

١ ــ ضرورة **تنشئة عمال ثوريين** يقفون على صعيد واحد مع الثوريين المثقفين من وجهة نظر النشاط الحزبي (ص ١٧٢) .

٢ ــ ضرورة اصدار منشورات وكراسات بلغة مبسطة للعمال ، واخرى مبسطة جدا لفئات العمال الاكثر تخلفا (ص ١٧٢) . وكذلك كراسات مبسطة للطلبة .

٣ ــ ان العامل الثوري لكي يكون على تمام الاستعداد للقيام بمهمته، عليه هو ايضا **ان يصبح ثوريا محترفا** (ص ١٧٣) .

٤ ــ وضع كل عامل موهوب في ظروف تضمن تفتح مواهبه على احسن وجه ، والافادة منه على احسن وجه ، اي ضرورة تحويله الى محرّض محترف وتشجيعه على توسيع ميدان نشاطه بنقل نشاطه من محيط العمل الى محيط المهنة ، ومن محيط المهنة الى محيط المنطقة .. ثم الى محيط البلاد باسرها ، وجعله يتعرف على السياسيين البارزين ويتدرب على فن النضال من (تكنيك) العمل الثوري ، ويجمع الوعي الاشتراكي الى جانب معرفته بالبيئة العمالية . ــ هذا هو الطريق الوحيد لتخريج قادة وزعماء من صفوف العمال (ص ١٧٤) .

وبكلمة ، «على منظمة الثوريين رفع العمال الى مستواها لا **الهبوط**

بنفسها الى مستوى «جماهير العمال» (ص ١٧٢) . وعندما تتكون فصائل العمال من قلب مدرسة النضال ومنظمة الثوريين بثقة لا حد لها من اوسع جماهير العمال (ص ١٧٥) .

وهنا واجه لينين اعتراضين :

الاول : ان منظمة الثوريين على الصورة التي رسمها لينين هي منظمة تآمرية . ويرد لينين ان منظمة الثوريين ما دامت تستهدف انزال الضربة القاضية في الحكم المطلق ، فهي لا بد من ان تلجأ الى الانتفاض المسلح . والى كل طريقة اخرى من طرق الهجوم . لذلك فهو لا ينفي صفة التآمر عن منظمة الثوريين ، بمعنى من المعاني ، اي بمعنى سعيها لانزال ضربة قاضية بالعدو ، ولهذا يجب على جميع الشروط الاخرى ــ عدد الاعضاء ، طريقة اختيارهم ، ووظائفهم وتدريبهم الخ ــ ان تتلاءم مع التآمرية بهذا المعنى (ص ١٧٨ ــ ١٧٩) .

الثاني : «ان من الممكن لمنظمة قوية وسرية جدا تجمع في يديها كل خيوط النشاط السري ، وتقوم بالضرورة على المركزية .. من الممكن ان تندفع بطيش الى شن هجوم قبل الاوان وبالتالي اجهاض الثورة» . ويرد لينين ان وضع المسألة على هذه الصورة من ناحية تجريدية ، امر محتمل الوقوع : «لا يصح ان ننكر انه من الممكن ان تشن المنظمة الكفاحية معركة تنتهي **الى هزيمة غير محتمة مطلقا في ظروف اخرى** ولكن هذا الاحتمال هو وارد اكثر في حالة الانفجارات العفوية. هذا من ناحية ، اما من الناحية الثانية :

١ ــ «ما من وسيلة لتقليل هذا الاحتمال غير الاستعداد للمعركة بصورة منظمة» (ص ١٧٩) .

٢ ــ لهذا السبب ان منظمة الثوريين «امر ضروري اطلاقا ، وذلك لاعطاء الحركة طابع الثبات ، ولوقايتها من احتمال شن هجمات طائشة » (ص ١٧٩) .

ويناقش لينين نقطة اخرى تتعلق بمبدأ الانتخاب داخل منظمة الثوريين وهو يعتبر ان هذه «الديمقراطية»سخيفة في ظل العمل السري، فهي من ناحية ضد قواعد السرية ، وهي من ناحية تفترض ان يعرف

اعضاء الحزب بعضهم بعضا ، ويعرفوا نشاط بعضهم بعضا ، ليكون لامكان اجراء انتخابات للجان والهيئات القائدة ، في حين يتطلب العمل سري ان يخفي العضو هويته وطبيعة نشاطه عن تسعة اعشار الاعضاء . ن هذه «الديمقراطية» الواسعة خدمة للدرك وعودة للعفوية التنظيمية . لكن ، ما البديل في ظروف العمل السري ؟ يجيب لينين : اولا ، المراعاة لدقيقة لقواعد العمل السري . وثانيا ، الاختيار الدقيق للاعضاء . ثالثا ، اعداد الثوريين المحترفين . واذا ما وجدت هذه المزايا حصلت نظمة الثوريين على ما هو اكثر من «الديمقراطية» :

١ ــ حصلت على الثقة الرفاقية التامة بين الثوريين .

٢ ــ لا مجال للرقابة العامة على نشاط الاعضاء . ولكن الثقة المتبادلة بين اعضاء الخلية تجعل «الديمقراطية الحقيقية لا الديمقراطية الصبيانية تدخل ، كجزء من كل ، في مفهوم الرفاقية» .... اذ حين يشعر كل الاعضاء «بمسؤوليتهم اعمق الشعور ، ويتأكدون ، في الوقت نفسه ، من تجربتهم ان منظمة الثوريين الحقيقيين لا تعدم وسيلة للخلاص من العضو الفاسد » (ص ١٨٥ ــ ١٨٦) .

ان لينين يرفض السجود امام الديمقراطية الشكلية ويستبدلها ، **في حالة العمل السري** ، بالروح الرفاقية الثورية . فهو حين ينتقدها او و حين يضع بديلها يأخذ بعين الاعتبار الظروف المعطاة ولا يبحث الموضوع جريديا . ولهذا فقد انتقد ايضا «الديمقراطية» البدائية القائلة بضرورة شتراك الجميع بادارة المنظمة وبتحرير الجرائد ، ويهاجم الذين ينادون التشريع الشعبي المباشر ولا يفهمون ان تطبيق ذلك مسألة نسبية في لمجتمع الراهن . واخيرا يهاجم المفهوم القائل «من الضروري ان تطوف قرارات اللجان على جميع الحلقات وحين ذاك فقط تصبح شرعية» (ص ١٨٦ ــ ١٨٧) .

ان نقد لينين لعفوية التنظيم ــ التنظيم «الحرفي» ــ الذي هو في حقيقة الحال عبارة عن عمل على النطاق المحلي ، او بكلمة اخرى شرذمة، قاده ــكما رأيناــ الى المطالبة بقيام منظمة ثوريين محترفين واحدة مركزية

لكل الروسيا ، ونقل مركز الثقل في النشاط الثوري من النطاق المحلي الى نطاق البلاد باسرها ، ونقل النضال الاقتصادي «الحرفي» الى نضال سياسي شامل . ولكن هل يعني هذا اهمال النضال المحلـــي والنقابي يجيب لينين ، ان المسألة على العكس تماما اذ يؤدي وجود المنظمة الواحدة المركزية الى تطوير النضال المحلي والنقابي وتخليصه من الشرذمة والفوضى وعدم الاستقرار ، وفقدان الثبات المبدئي ، من خلال ربطه بعمل **مركزي ذي ثبات مبدئي** . وبهذا يسيّر العمل في كل المجالات ، في وقت واحد، وبانسجام تام . اذ «ان الجهاز السري الجيد يتطلب من الثوريين اعداد فنيا جيدا ، ويتطلب تقسيما للعمل ينفذ بمنتهى الدقة» (ص ١٩١) . حقـ ثمة حاجة ، مثلا ، لجرائد محلية ومنطقية وعامة لروسيا كلها ، ولكن مـ الضروري ايضا «التفكير في ظروف الزمان والمكان ما دمنا نواجه مسألـ تنظيمية ملموسة» (ص ١٩٢) . لهذا يقترح لينين ضرورة الجريدة المركزيـ العامة ورفع مستواها بينما تعتمد المواقع المحلية على الاكثار من اصدار النشرات المحلية . وتقوم الجريدة المركزية بـ :

١ ــ نشر المساوىء الفاضحة حقا ، **والنموذجية** . اي عدم نشر مـــ هب ودب (ص ١٩٤) .

٢ ــ المبدئية في طرح المسائل الاساسية التـــي تواجه الحركـــة والتحريض السياسي الشامل (ص ١٩٦ ــ ١٩٧ الهامش) .

٣ ــ تربط جميع الجرائد والنشاطات المحلية ضمن خط واحـــد (ص ١٩٨) .

٤ ــ لا تلعب دور المحرض الجماعي والداعية الجماعـــي فحسب ، وانما ايضا دور **المنظم الجماعي** ، «بحيث تربط فعلا جميـ اللجان برباط **عملي** ، وتربي **فعلا** فريقا من القادة للحركـــة بمجموعها» (ص ٢٠٨) .

اما بالنسبة للعمل النقابي فيقترح لينين ان تحدد نسبة صحيحة للعمل النقابي بحيث لا يشغل حيزا كبيرا جدا ، ولا صغيرا جدا من مجمل العمل الثوري لمنظمة الثوريين (ص ٢٠٠ ــ ٢٠١) . وهنـــا يعود لينين ليعطي مهمة اضافية تتعلق بفضح جهاز الدولة وحياة المدن والوضـــ

الصحي والتعليمي الخ الامر الذي يتطلب اجراء الدراسات وجمع المعلومات وتنسيقهـــا ، اي يتطلب «هيئة اركـــان من اختصاصيين ــ مراسلين اختصاصيين وجيشا من عناصر الرصد الاشتراكيين يتسللون الى كـل الكواليس في الدولة ويجمعون المعلومات .. جيشا من اناس تلزمهـــم «وظيفتهم» بان يكونوا في كل مكان ويعرفوا كل خفي» (ص ١٩٦) .

مرة اخرى ما هي هذه المنظمة الثورية ؟ انها «حزب النضال ضد كل ظلم اقتصادي وسياسي واجتماعي وقومي» (ص ١٩٦) . انها «منظمة من الثوريين لعامة الروسيا لا تحيد مطلقا عن وجهة النظر الماركسية الراسخة تقود النضال السياسي باكمله، ولها هيئة اركان من المحرضين المحترفين» (ص ٢٠١) .

بيد ان لينين لا يكتفي باطلاق هذه الدعوة ، لان ذلك يشكل **الحل المبدئي** ، ولان ثمة حاجة ملحة ايضا الى «**الحل العملي** ، اذ ينبغـــي ان نوضع على الفور خطة معينة للبناء ، لكي يستطيع الجميع الشروع بالبناء فورا ومن جميع الجهات» (ص ٢١١) . ويعتبر لينين ان **السؤال** الاهـم ليس موضوعة «تربية منظمات سياسية قوية» ، وانما **كيفية** تربيتهـــا **وكيفية** انجاز ذلك (ص ٢١٢) .

٥ ــ الحل العملي ، وخطة للعمل (١)

اعتبر لينين ان مسألة تنفيذ مشروع جريدة مركزية عامة تشكل الخطوة الاولى في طريق الحل العملي . اما نقطة انطلاقه فيمكن تلخيصها :

أ ــ لن تتعلم الجماهير القيام بالنضال السياسي ما لم نساعد على ان يتربى القادة لهذا النضال من عمال مثقفين ومن المثقفين سواء بسواء. ولا يمكن لهؤلاء القادة ان يتربوا تربية ثورية شاملة الا على اساس تقدير منهاجي مستمر لكل **جوانب** الحياة السياسية ، ولكل محاولات الاحتجاج والنضال من طرف كل الطبقات والفئات وفي مختلف المناسبات (ص ٢١٢).

---

(١) يسمي لينين هذا الفصل («خطة» جريدة سياسية لعامة روسيا) الصفحات ٢٠١ـ٢٣٥ .

اي **لا تنظيم ثوري بدون خط سياسي صحيح** . وهذا يتحقق من خلال جريدة مركزية .

ب ـ تطوير التنظيم ليصبح قادرا على مساندة حركات الاحتجاج والنضال لمختلف الفئات والطبقات المعارضة ، ودعم قضايا المثقفين والقوميات . وتستطيع الجريدة المركزية تحقيق هذا الامر الذي سيدفع الناس الى التفكير بكل تلك المواضيع ويدفعهم الى جمع وتلخيص كل مظاهر الغليان والنضال النشط (ص ٢١٣) .

ج ـ لا تحريض سياسي **حي** وعمل سياسي **حي** بدون جريدة عامة تصدر بانتظام وتوزع توزيعا صحيحا (ص ٢١٣) .

د ـ ان تأسيس الجريدة هو **الخيط الاساسي** الذي يمكننا اذا امسكناه من تطوير هذه المنظمة وتعميقها وتوسيعها باستمرار . انها مثل خيط البنائين واهميته للبناء (ص ٢١٣ ـ ٢١٤) .

«الحياة السياسية باكملها عبارة عن سلسلة لا نهاية لها تتألف من عدد لا يحصى من الحلقات . وتتلخص براعة السياسي كلها في ايجاد الحلقة ، وفي التمسك بها بقوة ، اي الحلقة التي هي اشد الحلقات استعصاء على انتزاعها من بين يديه ، والتي هي اهم الحلقات في ظرف معين ، انها الحلقة التي تعطي الحائز عليها الضمانات بحيازة السلسلة كلها . ربما كان بامكاننا ان نمسك بحلقة ثانية ، في الوقت نفسه ، لو وجدت عندنا فصيلة بنائين ماهرين» (ص ٢١٤ ـ ٢١٥) .

هـ ـ ضرورة تجميع وتنظيم كل قوى الثوريين لشن الهجوم العام على الحكم المطلق ولقيادة النضال الموحد (ص ٢١٨) . وتستطيع الجريدة ان تقوم بهذا الدور بوصفها ١ـ **محرض جماعي** ، ٢ـ **داعية جماعي** ، ٣ـ **منظم جماعي** .

و ـ مد ذلك الخيط الى القرى ونشر كل ما يصل منها وعنها من اخبار من اجل بناء مواقع فيها (ص ٢١٩) .

ولكن دائما السؤال، كيفية الشروع بقضية التوحيد وكيفية تحقيقها؟ لا يكفي حمل اسم اتحاد ، بل يجب العمل المشترك حقا ـ تبادل المواد والخبرة والقوى وتوزيع المهمات والوظائف الخ .. (ص ٢٢٠) .

بعد ان يقترح لينين مشروع الجريدة العامة كخطوة اولى ، فما هي الخطوة الثانية التي يجب ان تسير جنبا الى جنب مع الخطوة الاولى :

١ ــ كل حلقة محلية تفرز على الفور جزءا من قواها ، ولنقل الربع، للعمل النشط في القضية العامة .

٢ ــ ربط كامل النشاط في كل واحد ، كل جزء منه يعمل كجزء من آلة كبيرة واحدة ، ضمن خطة منهاجية .

٣ ــ تبادل الخبرات وتعميمها ونقل الكوادر من منطقة الى منطقة .

٤ ــ التفاعل الحي بين المركز والمواقع المحلية ، واحكام الربط بينهما.

٥ ــ تعبئة كل القوى وتلافي النواقص والسلبيات .

٦ ــ ضرورة تعلم المناضلين في العمل العام المنظم كيف يلائمون بين قوة هجوم معين والحالة المعينة لقوة هذا الفصيل او ذاك من فصائل الجيش العام .

٧ ــ اعتياد المناضل العيش على نفقة الحزب يجعله يغدو من الثوريين المحترفين ويساعده على ان يخلق من نفسه قائدا سياسيا حقا .

٨ ــ تأجيج المنافسة بين المناطق لحفز كل واحدة على الا تتاخر عن الاخرى (١) .

واخيرا يطرح لينين مجموعة من الموضوعات تتعلق بطراز منظمة الثوريين وتكتيكها وخططها :

١ ــ **التكتيك والخطة :** يستهدفان «تنظيم حصار محكم حول حصن العدو» او بعبارة اخرى يتلخصان في العمل «لتوجيه كل الجهود لحشد جيش دائم ولتنظيم هذا الجيش وتعبئته» (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) .

٢ ــ الشغل الشاغل للتنظيم ، في الواقع ، هو التحريض السياسي الشامل والمتعدد الوجوه اي العمل لحشد قوة الجماهير التدميرية **العفوية، في كل واحد** ، مع قوة منظمة الثوريين التدميرية **الواعية** (ص ٢٢٨) ، وضرورة جعل التحريض السياسي بين الشعب كله حجر الزاوية في

---

(١) النقاط السابقة مقتبسة من الصفحات ٢٢٠ــ٢٢٥ .

البرنامج والتكتيك والعمل التنظيمي (ص ٢٢٩) .

٣ ــ يجب ان يكون اعضاء منظمة الثوريين خبراء في التحريض وفي مساندة كل احتجاج ويحسنون توجيه الحركة العفوية وصيانتها من اغلاط الاصدقاء ومن احابيل الاعداء سواء بسواء (ص ٢٣٠) .

٤ ــ ضرورة توفر المرونة الضرورية اي المقدرة على التكيف فورا وفقا لمختلف ظروف النضال المتغيرة بسرعة ، بحيث تجعل تلك المقدرة منظمة الثوريين قادرة ، من ناحية ، على تجنب المعركة في ارض مكشوفة مع عدو متفوق بالعدد وجمّع في نقطة واحدة كل قواه . وقادرة ، من ناحية ثانية ، على الافادة من عدم مرونة هذا العدو لمهاجمته من حيث لا يتوقع (ص ٢٣٠) .

٥ ــ اذا كنا لا نحسن وضع تكتيك سياسي ومشروع تنظيمي يعدان، بالضبط ، **لفترة عمل طويلة جدا** ، ويضمنان للحزب ان يكون متأهبا لاحتلال مركزه والقيام بواجبه في جميع الاحوال المفاجئة ، ومهما بلغت سرعة سير الاحداث ، فسنكون عبارة عن مغامرين سياسيين يرثى لهم (الهامش ص ٢٣٠ ــ ٢٣١) .

٦ ــ يجب ان يكون الحزب مستعدا للعمل في كل الظروف سواء في اوقات الانفجارات وقتال الشوارع او في اثناء سير العمل العادي او في فترات الركود (ص ٢٣١) .

٧ ــ يجب على الجريدة المركزية ان تكون مستعدة لكل شيء ابتداء من انقاذ شرف الحزب وسمعته واستمرار عمله في اشد فترات «الضغط» على الثوريين وانتهاء باعداد الثورة الشعبية المسلحة وتحديد زمنها وانجازها (ص ٢٣٢) .

٨ ــ يستطيع عضوان او ثلاثة ، في حالة اعتقالات جماعية ، اعادة تنظيم المواقع المضروبة وربطها بالمركز (ص ٢٣٢) .

٩ ــ التنظيم لا ينتظر مكتوف الايدي تحقيق شعار الثورة المسلحة، **بل عليه ان يقوم بعمل منتظم يضمن للثورة المسلحة اكبر امكانات النجاح.** ان هذا العمل المنتظم يوثق الصلات بالجماهير وبكل فئات الساخطين . وان ملكة التقدير الصحيح للوضع السياسي العام تنمو من خلال هذا

العمل المنتظم بالذات ، وبالتالي تنمو ملكة اختيار الساعة المناسبة للثورة المسلحة (ص ٢٣٣) .

١٠ ــ على التنظيم ان يدرب كل المنظمات المحلية على النهوض **في وقت واحد** للرد على المسائل الحاسمة . ويجب ان يكون هذا النهوض ، باكثر ما يمكن من النشاط والتجانس والعقلانية . وما الثورة المسلحة . في الجوهر ، الا «جواب» الشعب كله على الحكومة باكثر ما يكون من النشاط والتجانس والعقلانية (ص ٢٣٣) .

١ ــ على جميع المنظمات في روسيا ان تقيم بينها الروابط المنتظمة جدا والسرية جدا ، في آن واحد . ان هذه الروابط هي التي تنشىء وحدة الحزب الفعلية .

١٢ ــ مشروع الجريدة السياسية هو «مشروع عملي جدا يعطينا امكانية الشروع بالاستعداد من جميع الجهات وعلى الفور من اجل الثورة المسلحة العامة ، دون ان ننسى ، في الوقت نفسه ، ولو للحظة واحدة ، عملنا اليومي المعتاد (ص ٢٣٤) . اي الجمع بين التحضير لتحقيق الهدف النهائي وبين العمل اليومي المعتاد .

١٣ ــ من المهم للحركة الثورية انتقاد التيارات التي ترفع البدائية، ومحدودية الاشكال الدنيا للحركة الى درجة المبدأ» (ص ٢٤٣) .

١٤ ــ **اقتراح** بضرورة اصدار : أ ــ مجلة علمية ، ب ــ جريدة سياسية ، جـ ــ مختارات مبسطة وكراريس مبسطة .

***

وبهذا نكون قد استعرضنا افكار لينين الاساسية كما ظهرت في كراسة «ما العمل ؟» ولكن قبل انهاء هذا الفصل بتلخيص تقييمي عام يحسن ان نكمل متابعة لينين في خطته التنظيمية التي وضع اساساتها في مقالة «بم نبدأ ؟» وفي «ما العمل ؟» واكملها في «رسالة لرفيق حول مهماتنا التنظيمية» ١٩٠٢ ، ومعها رسالة بعثها رفيق اليه وقد نشرها بكراسة مع رسالته ، واعتبرت معبرة عن آرائه . وهاتان الرسالتان هما

موضوع بحثنا في خطة لينين التنظيمية لاكمال الصورة .

الخطة التنظيمية

يشبه لينين بناء الحزب بعملية بناء عمارة حيث يتطلب مهندسين يصممون البناء وبنائين (او هم المهندسون) او اعضاء مركز الحزب . والاعضاء وهم واضعو لبنات مختلف الاجزاء لبناء من طراز جديد لم يسبق له مثيل . فما هي العلاقة بين قيادة الحزب (المركز) وبين الاعضاء؟

العلاقة بين مركز الحزب وبين الاعضاء

ان لم يكن المركز مصمم البناء ، فهو ، على الاقل ، الخبير الفني (التكنيكي) المسؤول عن عملية البناء وواجبه «مد الخيط الذي يساعد الاعضاء لوضع كل لبنة في مكانها الصحيح ، ويحدد الهدف النهائي للعمل المشترك الذي يساعد الحزب بكل كوادره ليس على الافادة من كل لبنة فحسب ، وانما ايضا ، من كل قسم من اللبنة الذي يتصل باللبنات السابقة واللاحقة مشكلا صفا كاملا شاملا» (ما العمل ص ٢١٣-٢١٤) .

ويشبه المركز في «رسالة الى رفيق» بقائد الجوقة الموسيقية : «لكي يستطيع المركز ان يقود الجوقة فعلا ، فان من الضروري ان يعرف بدقة من يلعب على كل كمان واين ، وكذلك من يلعب على اية قطعة واين تعلم ان يعزف ، واين يتعلم ان يعزف ، ومن يعزف خطأ اين ولماذا ؟ ومن يجب ان ينقل كيف واين ، وذلك من اجل تصحيح النشاز» (١) .

ولكي نرى خطة لينين المتعلقة بتنظيم الحزب لنتابعه في البناء الهرمي للحزب :

---

(١) لينين : الاعمال الكاملة ـ المجلد السابع ـ موسكو ـ ١٩٥٩ ص ٢٢ .

قمة الهرم (القيادة النظرية والسياسية)

أ ــ « مجموعة من الناس مهمتهم :

١ ــ اعطاء الحزب افكاره القائدة .

٢ ــ تطوير الحقائق الثورية .

٣ ــ تقديم الخطوط التكتيكية .

٤ ــ وضع الخطة التنظيمية العامة والافكار التنظيمية العامة .

٥ ــ تحديد المهمات العامة لكل الحزب في كل لحظة معطاة» (١) .

وهؤلاء يشكلون **هيئة تحرير الجريدة المركزية** وقد سميت فيما بعد بالمكتب السياسي . ويعتبر لينين ان **النضوج والاستمرارية** صفتان يجب ان تتوفرا بهذه المجموعة من القـــادة النظريين ، وهما **ضرورة اساسية** لنجاح العمل . ولكن : «اذا توقف هؤلاء القادة عن ان يكونوا **مستقيمين في المبدأ** واصبحوا **انتهازيين** فيجب **حرمانهم من مواقعهم** واستبدالهم بمجموعة اخرى» (٢) . اما كيف ينفذ هذا فان لينين قد اجاب عليه عمليا: أ ــ بالطرق الحزبية ــ من خلال المؤتمر مثـــلا ــ واذا لم يتم ذلـــك ف ب ــ بالانقسام عنهم . وهنا علينا ان نلحظ موضوعة هامة جدا وخطيرة، وهي ان كل تشديد لينين على وحدة التنظيم وحديديته وتماسكـــه **مشروطة** بعدم انحراف قيادة الحزب عن **المبدأ** . فالوحدة غير مقبولة مع **خط انتهازي (٣)** .

ب ــ القيادة العملية المباشرة (اللجنة المركزية)

ويضع لينين شروطا لهذه القيادة العملية المباشرة للحزب :

١ ــ لا يمكن ان تمارس مهامها الا من خلال مجموعة مركزية خاصة (اللجنة المركزية) تضم افضل العناصر الثورية في الحزب .

٢ ــ مسؤولة عن كل العمل الموكل للحزب مثل طباعـــة الكراسات

---

(١) المصدر السابق ص ٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

(٣) لينين : «ما العمل ؟» ص ١١ــ١٢ وص ٢٧ــ٢٩ .

وتوزيع المنشورات وتوزيع القـــوات ، وتعيين الاشخـاص والمجموعات للقيام بمهمات محددة والتحضير للتظاهرات على نطاق البلاد كلها والتهيئة للثورة المسلحة العامة .

٣ ــ يجب ان يكون هنالك تضامن كامل بين اللجنة المركزيـة وبين القيادة النظرية السياسية «حول كل النقاط الاساسية» ويجب ان يضمن هذا التعاون :

أ ــ من خلال برنامج الحزب **الموافق** عليه من الجميع .

ب ــ من خلال تشكيلة كلا المجموعتين اذ يجب ان يكون افراد اللجنة المركزية .وافراد القيادة النظرية ــ السياسية معوديـن تماما على التحدث **بصوت واحد** .

ج ــ من خلال الاستشارات الدائمة الكثـيرة المستمرة بين المجموعتين .

٤ ــ يجب ان تكون اللجنة المركزية حرة الى الحد الكافـي للادارة المباشرة لكل الجوانب **العملية** للحزب» (١) .

ج ــ المجموعتان الاقليمية والوظائفية

يتشكل الجهاز تحت اللجنة المركزية من مجموعتين :

ج١ ــ المجموعة الاقليمية Territorial .

وتتشكل كل مجموعة اقليمية من لجنة محلية مسؤولة عن الاقليم كله (مدينة كبيرة مثلا) وتتشكل تحتها لجان احياء (او لجان منطقية اذا كانت المدينة مقسمة الى مناطق) ولجان مصانع ويجب الا يكون اكثر من لجنة مسؤولة واحدة في اي موقع (٢) .

ان اللجنة المحلية تقود كل جوانب الحركة المحلية وتدير كـــل

---

(١) «رسالة الى رفيق» ص ٨ــ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ .

المؤسسات المحلية وكل القوى ، وتوفر الحاجات المادية للحزب (١) .

اما كيف **تكوّن اللجنة المحلية** فهو امر يتم من خلال التعاون بين الكوادر المحليين وبين اللجنة المركزية . هذا طبعا في مرحلة التوحيد ، ولكن فيما بعد : «**يجب الا تكوّن لجان محلية جديدة الا بمشاركة وموافقة اللجنة المركزية**» (٢) .

يجب الا يكون عدد **اعضاء اللجنة المحلية** كبيرا ، ولكن يجب ان يكون كافيا للقيام بالعمل وانجاز المهمات . اما اذا كان العدد كبيرا فمن المنصوح به تشكيل سكرتارية (مكتب اللجنة المحلية) ويتألف من اربعة او خمسة اشخاص يضم سكرتير اللجنة المحلية ، على ان يكون اعضاؤه من الاشخاص القادرين على ادارة العمل ككل وقيادته عمليا . ولكن هذه السكرتارية او مجموعة الاداريين العمليين لا تكون اعلى من اللجنة المحلية ، وانما هي محاسبة امام الاجتماع الموسع للجنة المحلية (٣) .

اما الشروط التي يجب ان تتوفر باعضاء اللجان المحلية فقد اوضحه لينين في كراسة «ما العمل ؟» «لجنة مشكلة من ثوريين محترفين بغض النظر عما اذا كانوا طلابا او عمالا » المهم ان يكون العضو «قادرا على ان يصنع من نفسه ثوريا محترفا» (٤) .

لجان الاحياء والمصانع

وكما قلنا تتشكل لجان الاحياء والمصانع تحت اللجنة المحلية في المدينة وهذه اللجان خاضعة كليا للجنة المحلية سواء في تشكيلها او قيادة العمل وهي «لا تتمتع باستقلاليةالا في مسائل تكنيك التوصيل والتوزيع». ويجب ان تكون اللجنة المحلية على اطلاع دقيق على كل نشاط هذه

---

(١) المصدر السابق ص ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠

(٤) «ما العمل ؟» ص ١٦١ .

اللجان . اذ تعين اللجنة المحلية واحدا او اثنين من اعضائها (او من غير اعضائها) كوكلاء عنها لتشكيل تلك اللجان ومجموعاتها (الخلايا التي تحتها) ولكن يجب ان تعود اللجنة المحلية وتوافق على اعضاء اللجان والخلايا ، وذلك انطلاقا من ان كل عناصر مجموعة المصنع او الحي هي فرع من اللجنة المحلية وتستمد سلطاتها منها فقط (١) . ان مجموعة المصنع او الحي لها لجنتها القائدة ، وهي مشكّلة من عدد صغير من الثوريين ، وتأخذ سلطتها وصلاحياتها وتوجيهها مباشرة من اللجنة المحلية : «كل اعضاء لجنة المصنع يجب ان يعتبروا انفسهم وكلاء للجنة المحلية ملزمين بالخضوع لاوامرها واطاعة كل انظمة وتقاليد الجيش في الخدمة العملية ذلك الجيش الذي انضموا له ، والذي لا يحق لهم تركه في زمن الحرب بدون اذن المسؤولين عنهم« (٢) .

وبالمناسبة ، لقد اهتم لينين اهتماما خاصا بايجاد تشكيلة مناسبة للجنة المصنع وقد شرح بالتفصيل طرق الاختيار والاختبار عن طريق تشكيل لجنة خاصة معينة من اللجنة المحلية . وكان احد الشروط في الاختيار ان لا يكون لاي عضو فيها ارتباط مع ممثلي التنظيم الاخر للديمقراطية الاشتراكية : «يجب ان نقطع علاقاتنا تماما بتقاليد تنظيم الديمقراطية الاشتراكية السابق اي طراز العامل الصرف ، او التقيد بحرفة واحدة ، نزولا حتى يشمل قطع العلاقات هذا حلقات المصنع . بل من الانسب احيانا ان تعين اللجنة المحلية بدل لجنة المصنع مندوبا عنها ومرشحا ليحل محله في حالة الطوارىء» (٣) .

ج ٢ : المجموعات الوظائفية (Functional)

اهتم لينين بهذه المجموعات وجعلها تشكل شبكة من الاعضاء المتفرغين الذين يشكلون عمودا فقريا في داخل الحزب ، ووظيفتهم توحيد نشاط كل المجموعات والافراد الذين يمكن ان يكسب تعاونهم . «ان كل فن التنظيم

---

(١) «رسالة الى رفيق» ص ١٢-١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦-١٧ .

السري يجب ان يتضمن **استخدام الجميع وكل شيء** ، وفي اعطاء **عمل للجميع بلا استثناء** ، مع المحافظة ، في الوقت نفسه ، على وحـــدة الحركة ، وقيادة نشاطها» (١) .

ان اهم شيء بالنسبة للمجموعات الوظائفية هي كونها « شبكـــة وكلاء مركز الحزب» انها شبكة الوكلاء الذين «يكونون على صلة وثيقة دائمة مع بعضهم البعض ، ويعرفون الوضع العام ، ومتمرسين على تنفيـــذ لوظائف التفصيلية للعمل العام الوطني (لكل الروسيا) ، وتختبر قوتهم في نظيم مختلف انواع النشاطات الثورية» (٢) .

ويقارن لينين «الدرجة المطلوبة من الاستعداد العسكري» لهـــذه لشبكة من الوكلاء بالمستوى المطلوب من جيش نظامي .

ثم يأتي لدور مختلف المجموعات الوظائفية التي تدير الفن (التكنيك) لتآمري Conspiratorial ، ومؤسسات الطباعة ، والمواصلات، والتموين والامداد بالسلاح ، ومجموعات الدعـــاة والمحرضين **المتنقلة** ، و«مكاتب الجوازات» ، ومجموعات الرصد ومكافحة الجواسيس والاستفزازيين ، ومجموعات العمل بين الجنود والضباط (الجيش) ، وادارة المشاريـــع الاستثمارية ، ومجموعات توزيع المنشورات والمطبوعات ، وقيادة الحركة لنقابية والنضال الاقتصادي ، والمجموعات المسلحة المقاتلة الخ . ان هذه لجموعات يجب ان تتألف من اعضاء الحزب الملتزمين بنظـــام الحزب ، يفضل «ان يكونوا من المحترفين الثوريين» اما قيادات المجموعات فهي من الاعضاء الثوريين المحترفين المتفرعين (٣) .

وبكلمة ، يمكن ان تسمى شبكة تلك المجموعات كما اصطلح حديثـــا الجهاز السري المحترف المتفرغ) .

شرح لينين تفصيل تنظيم احدى تلك المجموعات وهي **مجموعـــة لدعاية :**

---

(١) المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

«من الصعب تنظيمها **منفصلة** حسب كل حي في المدينة ، اذ ان الدعاية يجب ان تقاد بروح واحدة من كل اللجنة المسؤولة (مثلا اللجنة المحلية) ويجب ان تكون مركزية جدا ، بحيث تكلف اللجنة ـ المحلية مثلا ـ عددا من اعضائها لتنظيم مجموعات الدعاة (التي تكون فرعا تابعا للجنة او احدى مؤسسات اللجنة) . ويجب ان تفيد هذه المجموعة من تعاون مجموعات لجان الاحياء والمصانع في كل منطقة محلية تحت سلطة اللجنة المحلية . واذا اقتضت الضرورة تستطيع مجموعة الدعاية تنظيم مجموعات مساعدة ، او مندوبين كجزء من وظيفتها على ان يخضع هذا لموافقة اللجنة » .

وتنظم على هذا الطراز بقية المجموعات الوظائفية (١) .

ولنتذكر هنا ان «مركزة هذه الوظائف السرية لمنظمة الثوريين لا تعني ، باي حال من الاحوال ، مركزة كل وظائف الحركة» ... «ان مركزة اشد الوظائف سرية بيد منظمة الثوريين لا تضعف ، بل على العكس ، تغني وتوسع مضمون نشاطات كامل المنظمات الاخرى التي قامت على اساس جماهيري واسع والتي هي لذلك اقل مركزية وسرية قدر الامكان ، اي منظمات نقابات العمال ، وحلقات العمال للتثقيف الذاتي وقراءة الكتابات الثورية الممنوعة ، والحلقات الاشتراكية والديمقراطية المنتشرة بين مختلف فئات السكان : اذ ان هذه المنظمات الجماهيرية من الضروري جدا ان تشكل في كل مكان وباوسع شكل ممكن بحيث تقوم بمختلف الوظائف العديدة » (٢) .

طبعا ، ليس ضروريا ان يكون اعضاء المنظمات الجماهيرية اعضاء في منظمة الثوريين ولكن يجب ان يكون في كل مجموعة عضو واحد ، على الاقل ، من الحزب لقيادة نشاط المجموعة الجماهيرية . وهذا العضو

---

(١) المصدر السابق ص ١٣ـ١٤ .

(٢) ترجمت عن الطبعة الانكليزية ، انظر «ما العمل ؟» بالعربية (ص ١٦٥ـ١٦٦) .

يكون من جهاز المجموعات الوظائفية . اذ يجب ان يكون للجنة الحزب حق غير مشروط في ارسال مندوبين عنها الى اية مجموعة ، او مجموعة مساعدة ، او حلقة مرتبطة بشكل او بآخر ، بالحركة» (١) ، وليس من الضروري ان يكون اولئك المندوبون معروفين بصفتهم الحزبية الرسمية «قد توجد مجموعة من الطلبة او الضباط او الموظفين المدنيين منخرطة في حلقة تثقيف آلي بمشاركة عضو او اثنين من الحزب ، ويجب ، احيانا ، الا يعرف افراد تلك المجموعة حتى انتماء ذلك العضو الى الحزب» (٢) .

ولكن ، علينا ان نلاحظ هنا ان شبكة المجموعات الوظائفية ليست جهازا قائما بذاته ، وانما هي شبكة يقف على راسها اعضاء من لجان الحزب من اللجنة المركزية واللجان المحلية الخ . وهؤلاء تابعون للجنة الحزب ، ومحاسبون امامها ، بل ان نشاطهم هو جزء من نشاط لجان الحزب التنظيمية وكلما هنالك انهم يقومون بوظائف ومهام محددة تقتضي التخصص . وهنا يجب ان ندرك ان لينين كان دائما حريصا على وحدة الحزب وعدم تولد اي ازدواجية ، عند بحثه لاي شكل تنظيمي وفي توزيع المهمات والوظائف . اذ يجب على كل المجموعات الوظائفية ان تربط باللجنة المحلية او لجنة المصنع او الحي ، وقد يربط بعضها مباشرة باللجنة المركزية تبعا لطبيعة ظروف العمل ، او لاعتبارات اخرى قائمة . ولكن ثمة شرطين يجب ان يتوفرا :

١ ــ «كل عضو حزبي مشارك في تلك المجموعات هو مسؤول رسميا عن سير عملها» ، ويجب عليه : ٢ــ ابلاغ المسؤولين عنه في الحزب او لجنته المسؤولة عن «تشكيلة هذه المجموعات وكل سير آلية عملها وكل محتوى عملها» (٣)

ليس من الضروري ان ينظم كل الوكلاء في لجان وخلايا اذ يمكن تنظيم بعضهم فرديا في البناء العام للجهاز بالنسبة للذين لا يستطيعون

---

(١) رسالة الى رفيق ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠ .

الانضمام لاحدى اللجان او المجموعات ـ لاسباب السرية والامن مثلا ـ . المهم مسالة توزيع آلاف الوظائف الجزئية للعمل التنظيمي على ممثلين فرديين من مختلف الطبقات . بل ان لينين لا يستثني من خطته العملية التنظيمية امكانية الافادة حتى من الذين لا يميلون للتعاون مع الحزب من المحايدين وسواهم (١) .

المركزيـة

ان القاعدة الهامة التي يقيم لينين عليها كامل بناء الحزب هي ترسيخ مركزية الى ابعد الحدود فيما يتعلق **بالقيادة** الايديولوجية والعملية للحزب وللنضال الثوري . لذا فان مركز الحزب يجب ان يمتلك كل المعلومات عن الحزب ويجب ان توصل اليه كل المعلومات . وان قيادة الحزب ـ المركز ـ يجب ان تتشكل من عدد محدود من الافراد **المنسجمين** غاية الانسجام ، وكذلك يجب ان يكون كل الحزب المشكل من ثوريين محترفين مجربين منسجما غاية الانسجام . اما المشاركة في الحركة الجماهيرية فيجب ان توسع الى اقصى حد ، وتضم اكبر عدد من ابناء الطبقة العاملة والشعب كله ولا بأس من ان تكون تلك الحركة (المنظمات الجماهيرية) مشكلة من اتجاهات وعناصر متناقضة سواء من البروليتارية او من الطبقات الاخرى (٢) .

كل السلطة في الحزب تكون مركزية وتوزع قيادة الحزب واللجنة المركزية الصلاحيات على بقية مجموعات الحزب بقدر ما هو مطلوب في كل حالة وتسند لعدد كبير من وكلاء المركز المنفذين .

لا ولاء غير الولاء للحزب . ولا قادة من داخل الحزب يتمتعون بصلاحيات من عندهم . ان كل الصلاحيات بيد لجنة القيادة كلجنة فجميع اعضاء اللجنة متساوون تماما وهذا ينطبق على كل اللجان من لجنة القيادة

---

(١) رسالة الى رفيق ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

النظرية ــ السياسية ومرورا باللجنة المركزية وانتهاء باللجان المحلية (١) .

وقد انتهى التنظيم اللينيني الى ترتيب الصلاحيات كما يلي :

١ ــ مؤتمر الحزب اعلى سلطة .

٢ ــ اللجنة المركزية والقيادة النظرية السياسية (المكتب السياسي) اعلى سلطة ــ اجتماع اللجنة المركزيـــة الموسع ــ فيما بين المؤتمريـــن .

٣ ــ المكتب السياسي اعلى سلطة فيمـــا بين الاجتماعين الموسعين للجنة المركزية .

واخيرا لقد قاوم لينين ثلاثة اتجاهات اعتبرها متعارضة مع الحزب من الطراز الجديد او لا لزوم لها :

الاول : الغاء «حلقات المناقشة» او «اللجان الاستشارية» فهي غـير ضرورية ومربكة ، لان كل اعضاء لجان الحزب والخلايا يتمتعون بحـــق المشاركة في العمل واخذ القرارات او التعبير عن اقتراحاتهم وآرائهم وذلك ضمن لجانهم وخلاياهم . ولهم الحق بايصال آرائهم واقتراحاتهم كافراد او كلجنة او خلية الى اللجنة المركزية او قيادة الحزب . واذا ما طبق هذا فستتحقق مسألة التشاور بين كل اعضاء الحزب بدون خلق مؤسسات خاصة للبحث والمناقشة والاستشارات . («يجب اتخاذ كل الاجراءات التنظيمية لمنع المناقشات المستقلة واية محاولات «لقيادة» الحزب «مـــن تحت ») (٢) .

الثاني : لا ضرورة لعقد اجتماعات عامة لممثلي حلقـات المصانع لان ارتباط اولئك «الممثلين» هو بالحزب وليسوا هيئة منفصلة او سلطـــة اخرى . اما الاجتماعات العمالية فيجب ان تأخذ طابعا جماهيريا عاما لا طابعا حزبيا ويحضر لها بدقة باشراف اللجان الحزبية المسؤولة . ولكن تلك الاجتماعات يجب الا تأخذ صفة رسمية حزبية. ويجب على الحاضرين فيها الا يعرفوا بعضهم بعضا «كممثلي الحلقات العمالية» ، «وهذا ما يفسر

---

(١) ما العمل ص ١٦٩ ــ ١٧١ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠ــ١١ .

لماذا انا لست ضد «مجموعات البحث» فحسب وانما ايضا ضد «اجتماعات المثلين» كذلك » (١) .

الثالث : لا ضرورة لوضع انظمة وقوانين حرفية ، فهذه ذات اهمية ضئيلة وانما يجب الاستعاضة عنها بتقاليد للعمل : «في الواقع نستطيع العمل بدون قانون ، بحيث نحل محله تقارير منتظمة عن كل حلقة وكل مهمة وعن سير كل عمل» .

يجب علينا ان نلاحظ هنا :

١ ــ استبدال الديمقراطية الشكلية بالثقة المتبادلة بين اعضاء الحزب والتفاهم والانسجام الكامل ومعالجة كل القضايا بالروح الرفاقية.

٢ ــ تقوم المركزية على اساس صارم وتضمن للحزب وحدة الارادة ووحدة الفكر ووحدة العمل .

٣ ــ يقوم التنظيم على اساس الديمقراطية المركزية ، ولا يسمح بالازدواجية او الانقسامية او التكتل ، ويقضي بخضوع المنظمات الدنيا للمنظمات العليا وبخضوع الاقلية للاكثرية .

٤ ــ القيادة جماعية على كل المستويات .. وسلطة كل لجنة بيد اعضاء اللجنة المتساوين في الحقوق والواجبات والصلاحيات ضمن اللجنة . وصلاحية كل فرد تستمد بقرار من اللجنة وللجنة الحق بنزع تلك الصلاحية . فالعضو مسؤول امام لجنته وهو ولجنته مسؤولان امام اللجنة المسؤولة الاعلى . فالمسؤولية والتنظيم يقومان على اساس هرمي من اعلى الى اسفل .

واخيرا لقد اكمل لينين اعماله حول التنظيم لتلك المرحلة في كراسته «خطوة الى امام خطوتان الى الوراء» حيث سدد في ايار (مايو) ١٩٠٤ ضربة قاضية الى الانتهازية التنظيمية في كراسته تلك ، والتي جاءت كدراسة تنظيرية ، وكتسجيل للصراع الذي خاضه البلاشفة بقيادة لينين في المؤتمر الثاني للحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي ضد كل الاتجاهات

---

(١) المصدر السابق ص ١١ــ١٢ .

الانتهازية من ناحية المسألة التنظيمية ، حيث كرس لينين في هـــذه الدراسة المبادىء التنظيمية للحزب الثوري البروليتـــاري . فكان اول ماركسي يكشف وجه الانتهازية ويسلط عليها نقدا حاسما في مجـــال التنظيم . وقد بيّن ان «الانتهازية في البرنامج مرتبطة بصورة طبيعيـــة بالانتهازية في التكتيك ، **وبالانتهازية في التنظيم**» (١) ، واظهر ان «الجناح الانتهازي ، في اي حزب ، يدافع عن ، ويبرر دائما ، كل تخلف سواء في البرنامج او التكتيك او التنظيم» (٢) . وكشف خطورة التقليل من اهمية التنظيم بالنسبة لحزب الطبقة العاملة .

اولا : يشدد لينين في هذه الدراسة على تعرية الاتجاه الانتهازي في تحديد شروط العضوية في حزب البروليتارية . ذلك الاتجاه الذي يطالب ان يعتبر عضوا في الحزب كل مؤيد للبرنامج وكل عامل يشارك فـــي اضراب ، وكل مثقف يعلن عن نفسه انه عضو في الحزب ، دون ان ينتمي لاحدى منظمات الحزب، ويسمي لينين هذا الاتجاه بعقلية المثقفين البرجوازيين الذين يريدون لتنظيم حزب البروليتارية ان يكون تنظيما ليبراليا (٣) ، بينما اعتبر لينين شروط العضوية في هذه الكراسة وفي كتاباته الاخرى:

أ ـ ضرورة الموافقة على البرنامج .

ب ـ ضرورة الانتماء الى احدى منظمات الحزب ، والعمل من خلالها ضمن خط الحزب ، والخضوع لنظام الحزب الداخلي .

جـ ـ ضرورة المساهمة المالية ـ دفع الاشتراك .

واعتبر لينين مسألة الخلاف حول شروط العضوية خلافا هاما الى حد انه «مسألة حياة او موت بالنسبة للحزب» (٤) .

وهنا تجدر الاشارة الى ان الفقرة الاولـــى من شروط العضوية لا

---

(١) لينين : «خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء» ـ باللغة الانكليزية ـ موسكو ١٩٦٩ـ ص ١٩٤ .

(٢) لينين : المصدر السابق ص ١٩١ .

(٣) لينين : المصدر السابق ص ٦ـ٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٥٣ .

تعني فهم البرنامج واستيعابه لان هذا يتطلب درجة من الوعي عالية . انها تشترط مجرد الموافقة فقط كمرحلة اولى ثم تأتي مسألة فهم البرنامج واستيعابه في اثناء انخراط العضو في التنظيم . كما تجدر الاشارة الى ان الفقرة الثانية لا تعني الانضمام الى احدى الخلايا واللجان فقط ، اذ بالامكان ان يتم الانضمام ، في بعض الحالات الاستثنائية ، من خلال التنظيم فرديا اي في خلية مؤلفة من عضو واحد ومن عضو اخر يقوم بدور المسؤول ، او همزة الوصل التنظيمية ، بين ذلك العضو وبين الحزب . ولكن في كل الحالات لا بد من موافقة لجنة حزبية على قبول العضو .

اذا كان لينين يشدد على ضرورة التفريق بين المؤيد وبين العضو ، فهذا التفريق لا يعني الغاء دور المؤيد الذي لا ينضم مباشرة لاحدى منظمات الحزب ، وانما يكون مربوطا باحدى المنظمات اللاحزبية المرتبطة بالحزب، وبهذا لا يلقى خارج حلبة النضال او تلغى فعاليته . ويقول لينين : «بل على العكس ان وجود الحزب المنظم الثابت وغير المتأرجح يؤدي لان يكون تأثيره اقوى واوسع واغنى على العناصر والجماهير المؤيدة العاملة حوله» (١) . اما اعتبار كل مضرب ومتظاهر ومؤيد عضوا في الحزب فهذا يعني «تضييق مفهوم المنظمات الجماهيرية التي يجب ان تحشد فيها كل الاتجاهات ، وهذا يؤدي بالتالي الى اضعاف وحدة الجماهير» . اما من الناحية الثانية ، فان ذلك يؤدي الى فتح ابواب الحزب للغموض والهلامية والتأرجح (٢) .

ثانيا : يجب على الحزب ان يكون جماع منظماته اي ان يكون الكل المركب لهذه المنظمات (وليس مجرد المجموع العددي لمنظماته) . ويفسر معنى كلمة تنظيم بانها تستخدم بمعنيين : أ- معنى ضيق اي خلية فردية تضم مجموعة من الناس يوحد بينهم حد ادنى من شكل متماسك على الاقل . ب- معنى واسع اي جماع هذه الخلايا متحدة في كل واحد .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٦١ .

لذلك فان الحزب يجب ان يكون تنظيما **بالمعنى الواسع** كما يجب ان يتالف في الوقت نفسه ، من كل منظماته المختلفة **بالمعنى الضيق** ايضا (١) .

ويمكن ان نفهم رأي لينين بعمق اذا راجعنا تحليله للتنظيم الحرفي اي التنظيم بالمعنى الضيق فقط ، حيث يستطيع اي فرد الانتقال من خلية (او حلقة) الى اخرى بناء على رغبته الخاصة وجهده «الحميد» ، ويرجع سبب هذه الفوضى لعدم وجود الصيغة المعبرة عن **ارادة الكل** . ان النزاعات داخل الحلقات لا تصفى وفقا لقواعد وتقاليد تنظيمية راسخة وانما تصفى من خلال «الصراع والتهديد بالاستقالة» (٢) ، فمثلا يقول لينين «عندما كنت عضوا في حلقة فقد كنت ابرر رفضي للعمل مع س من الاعضاء على اساس انعدام الثقة ، دون وضع اسباب ودوافع ، اما الان فقد اصبحت عضوا في حزب ، وليس لدي الحق في الادعاء بانعدام الثقة، بصورة عامة ، لان هذا سيفتح الباب لكل النزوات والثغرات ايام الحلقات القديمة .. انني ملزم الان باعطاء اسباب محددة «لثقتي» او «عدم ثقتي». اي ان احدد اسبابي على قاعدة وفقا للبرنامج والتكتيك ونظام الحزب (دستوره) . وليس لي ان اعلن «ثقتي» او «عدم ثقتي» فقط ؛ دون اعطاء اسباب ، وانما يجب ان ارى قراراتي ــ وقرارات اي جزء من الحزب عموما ــ محاسبة امام الحزب ككل . انني ملزم ان ادعمها باجراء رسمي محدد .... » (٣) لذلك فان لينين يطالب بوضع **قواعد ومبادىء تنظيمية** تربط كل الخلايا واللجان في كلّ مركب واحد تقضي على صيغة الحزب المؤلف من خلايا منفصلة لا رابطة تنظيمية بينها . اي تشكيل حزب منظم ترتبط كل حلقاته **بنظام عام واحد** . ومن هنا شدد لينين على اهمية وجود نظام داخلي للحزب يؤسس الحزب على رابطة حزبية كلية متينة (٤) ولهذا :

---

(١) المصدر السابق ـالهامشـ ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٨ ــ (كذلك «رسالة الى رفيق») .

(٣) المصدر السابق ص ١٨٩ـ١٩٠ .

(٤) المصدر السابق ص ١٨٨ـ١٨٩ .

ثالثا : يجب تبني قواعد ومبادىء تنظيمية كشرط اساسي الى جانب البرنامج والتكتيك من اجل تأمين وحدة الحزب، ومركزة عمل الحزب(١). ولكن وجود الحزب الموحد المنظم يتضمن :

رابعا : تأسيس سلطة مركزية ، وهذا يعني تحويل قوة الافكار الى قوة سلطة قيادية ، واخضاع المنظمات الادنى الى المنظمات الاعلى (٢) ، وخضوع الاقلية الى الاكثرية ، وخضوع العضو للجنته او خليته او اللجنة الاعلى ، وخضوع الجزء للكل اي المركزية الديمقراطية . ولهذا فان لينين يشدد علـــى اهمية المركزية وضرورة تحديد صلاحيات اللجنة المركزيـــة وضرورة هيمنتها على كل مؤسسات الحزب (٣) . لذلك فان الحزب يجب ان يبنى من فوق الى تحت ابتداء من مؤتمر الحزب الذي هو اعلى سلطة في الحزب وهو الذي ينتخب الهيئات المركزية القيادية ، وتقوم اللجنة المركزية بتمثيل المؤتمر وتكون اعلى سلطة في الحزب وتشرف على كـــل شيء وتقود الحزب **بين المؤتمرين** .

ولكن تجدر الاشارة الى ان تحديدات لينين هنا تتناول الحزب في مرحلة تأسيسه الاولى ، خاصة ، في ظل العمل السري ، وتحت ارهاب الطبقات الحاكمة . ولكن هذا الوضع سيختلف بعد ترسيخ الحزب مـــن الطراز الجديد ، اذ سيصبح من الضروري في ظل العلنية ، او في ظل دكتاتورية البروليتارية ، ان تنتخب كل مؤسسات الحزب من ادنى الى اعلى بما في ذلك المؤتمر نفسه ، مع الابقاء على **جوهر المركزية الديمقراطية** ــ ضمن ديمقراطية واسعة من تحت ــ وسنرى هذه الصورة بوضوح اكثر في الفصل الذي سيتناول الحزب اللينيني لدى ماوتسي تونغ .

ان كل النقاط الاربع السابقة تعني **التنظيم والانضباط** ، وان هذين الامرين شديدا الوطأة على المثقف البرجوازي ، كما يقول لينين ، وهما سهلا التناول بالنسبة للبروليتارية لان «الطبقة العاملة مدربة على النظام

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٥٢ .

من خلال حياتها كلها . فهي اكثر جذرية بكثير من المثقف المتعجرف» (١). ان الماركسية تعلم التمييز بين المصنع كوسيلة للاستغلال والمصنع كوسيلة تنظيمية (نظام قائم على العمل الجماعي موحد من خلال شكل انتاجي متطور تطويرا تكنيكيا عاليا) ويسمي لينين هـذه الوسيلة التنظيمية «مدرسة» التنظيم بالنسبة للطبقة العاملة . ويقول « ان الخوف المميت من هذه المدرسة ، والفشل الذريع في فهم اهميتها بوصفها عاملا تنظيميا ، هما سمتان من سمات طرق التفكير التي تعكس اسلوب حياة البرجوازية الصغيرة ، والتي تولد كل انواع الفوضوية ....» (٢) ويرد لينين على الذين يهاجمون المركزية ويهاجمون التنظيم والانضباط متشدقين «بالديمقراطية»، يرد عليهم بان التنظيم هو السلاح المحدد بيد البروليتارية في الصراع الطبقي انه السلاح الذي سيغتنمها ، اما بالنسبة للمفهوم الليبرالي الذي يتبناه المثقفون البرجوازيون حول «الديمقراطية» . فيستشهد بفقرات من كاوتسكي ـ قبل ان يرتد ـ «الديمقراطية لا تعني غياب السلطة ، والديمقراطية لا تعني الفوضوية» .... (٣)

بقيت مسالة اخيرة يجدر لفت الانتباه اليها وهي ان المركزية الديمقراطية في الحزب اللينيني ـ خضوع الاقلية للاكثرية ، وخضوع المنظمات الادنى الى المنظمات الاعلى ، وخضوع الجزء للكل ـ تقوم على اساس المشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرارات وفي اعادة النظر في القرارات ، وفي تقييم التجربة . وتقوم على اعطاء الاقلية والمنظمات الادنى والجزء ، حق المعارضة وتسجيل تلك المعارضة والاحتفاظ بآرائهم الى حين الاحتكام الى نتائج التطبيق العملي ليتضح بشكل قاطع صحة او عدم صحة تلك المعارضة . ولكن يجب ان ننتبه هنا الى مسالة حاسمة جدا وهي ان خضوع الفرد او الاقلية او المنظمات الادنى او الجزء الى الارادة الموحدة للحزب اللينيني مقصورة على مسائل التكتيك ، اما فيما

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٨٧ـ١٨٨ .

(٣) المصدر السابق ص ١٩٦ .

يتعلق بالبرنامج او حتى الاهداف الاساسية والمبدئية فان المعارضة بها او عدم الاقتناع بها لا يلزم بالتقييد مع الارادة الموحدة في الحزب ، لان ذلك يعني سقوط العضوية اصلا ، اي افتقاد شرط اساسي واولي للعضوية في الحزب الا وهي **الموافقة على البرنامج** . وفي هذه الحالة يسقط الالتزام شريطة ان تنهي العضوية مع سقوط الالتزام . ولهذا فقد جعل لينين العضوية طوعية في الانضمام واثناء البقاء في الحزب مع حق الخروج من الحزب شريطة اشعار الحزب بذلك .

اما وقد وصلنا الى هذا الحد بعرض نظرية لينين حول الحزب ، فان من المستحسن قبل تقديم الخلاصة العامة ان نناقش قضية تشغل بال الكثيرين كما يسيء الكثيرون فهمها ، خاصة ، وان المثقفين الليبراليين يثيرون حولها غبارا كثيفا . وتلك القضية هي : هل يعني وجود الانسان في حزب يقوم على المركزية الديمقراطية .. ويلزم اعضاءه وخلاياه ولجانه من القمة الى القاعدة بالعمل وفق ارادة واحدة ، بما في ذلك اولئك الاعضاء الذين عارضوا هذه الخطوة او تلك ، هذا القرار او ذاك ، في اثناء بحثه او بحثها ، ديمقراطيا ، فكانوا الاقلية ، وما زالوا غير مقتنعين بقرار الاغلبية ، ومع ذلك ، عليهم ان يعملوا بارادة موحدة وفق قرار الاغلبية . هل يعني هذا الغاء حرية الفرد والتضحية بها؟ هل يعني خضوع المنظمات الادنى الى المنظمات الاعلى الغاء تلك الحرية ؟ او بكلمة اخرى هل يعني اندماج الانسان في عضوية حزب من الطراز اللينيني تعليق حريته والتضحية بها في سبيل القضية العامة او في سبيل الكل ؟

حرية الفرد والحزب اللينيني

كان انجلز في مقالته حول السلطة On Authority (١) قد شن هجوما عنيفا على الاشتراكيين الذين يهاجمون مبدأ وجود سلطة من حيث

---

(١) ماركس وانجلز : الاعمال المختارة ـ المجلد الاول ـ باللغة الانكليزية ـ موسكو ١٩٥٨ ص ٦٣٦-٦٣٩ .

أتى ، اي ما ان يقال هذا العمل يعني ممارسة سلطة حتى يدينوه ، ان وجود السلطة بمفهومهم يعني فرض ارادة انسان اخر علينا ، وهي تعني من ناحية اخرى الخضوع . ثم يقول انجلز لا شك ان وقع هاتين الكلمتين ـ فرض ارادة اخر علينا والخضوع ـ كريه على الاسماع .

يحلل انجلز الظروف القائمة في المجتمع الانساني ، والتي تعني في كل المجالات جمع نشاط عدة افراد ـ في الصناعة والزراعة والادارة الخ ـ لتعمل عملا مشتركا يحل محل العمل الفردي ولكن الحديث عن عمل مشترك يعني التنظيم . وهل يمكن ايجاد تنظيم بدون سلطة ؟؟.

اذا اردنا ان ننتج ونخضع الطبيعة فلا بد لكل فرد ان يتقيد بالوقت والعمل المخصص له ، بغض النظر عن رايه الخاص ، وهذه القضية تصبح اكثر الحاحا كلما تطور المجتمع اكثر وزادت سيطرة الانسان على الطبيعة، واصبحت الآلة اكثر تعقيدا . ويقول انجلز «ان الغاء السلطة في الصناعة يعني الغاء الصناعة نفسها» ويقول : «اذا كان الانسان بمعرفته وعبقريته الاختراعية قد اخضع قوات الطبيعة ولكن الاخيرة تنتقم لنفسها باخضاعها له ، وبالقدر نفسه الذي يخضعها به ، الى طغيان محدد مستقل عن اي تنظيم اجتماعي» . فالمسألة هنا ليست مسألة رغبات واختيار انها نتاج ديناميكية العملية الانتاجية نفسها . انها مسألة مستقلة عن الارادة ومفروضة علينا من طبيعة الظروف التي ننتج فيها ونوزع الانتاج. لذا من الخطأ الحديث عن مبدأ السلطة كشر مطلق ومبدأ الإستقلالية كخير مطلق.

عندما يواجه المثقفون الليبراليون بهذه الحقائق يحاولون تغيير الاسماء او قل يحاولون ان يزوغوا عن هذه المسألة ، ويعمدون الى التفريق بين عملية الانتاج وتنظيم حياة المجتمع المادية وبين تنظيم النشاط السياسي والايديولوجي . فهم يقبلون اندماج الفرد مع الكل في العملية الانتاجية ضمن ارادة موحدة وسلطة مركزية ، ولكنهم يرفضون اندماجه مع كل موحد في حزب ثوري .

كان انجلز في مقالته المذكورة قد كتب «لو قالوا ان السلطة يجب ان تحصر بقدر ما تحتم ظروف الانتاج ، فهنا نستطيع ان نتفاهم . اما ان يهاجموا السلطة من حيث اتت ، فلا» .

يمكن تطبيق موضوعة انجلز هذه على الحزب ايضا ، اي حصر المركزية والسلطة بقدر ما تحتم ظروف العمل الثوري في كل مرحلة وفي كل حالة . ولكن لا مفر من العمل ضمن ارادة واحدة ذات سلطة .

ان لينين لا يعتبر ان اندماج الانسان في عضوية الحزب البروليتاري ذي الارادة الواحده تعليق لحريته الفردية ، او الغاء لها ، او تضحية بها . على العكس ان لينين يعتبر ان **الارادة الجماعية هي الشرط لتحقيق الحرية الفردية .**

والسؤال الان ، كيف يمكن ان تتحقق حرية الفرد ؟ كيف يمكن للفرد ان يخضع النظام الاجتماعي بشكل يجعل حرية الفرد تتفتح وتزدهر وتخلص من آلية التطور العفوي اللاواعي الذي يجعل الفرد والمجتمع تحصى يجرفها تيار همجي ؟ او بعبارة ادق كيف يستطيع الفرد ان يؤثر على تطور التاريخ ؟ كيف يستطيع ان يزيل العقبات .. ان يقضي على استغلال الانسان لاخيه الانسان ، ان يقضي على كل قوى الظلام والرجعية التي تدوس على المجتمع والفرد ؟ كيف يستطيع الفرد ان يصبح انسانا فعالا يمارس ارادته في الاختيار واحداث التغيير ؟

نحن هنا امام خيار واحد اما ان نرى حرية الفرد بمعزل عن حرية الافراد الاخرين ، وفي هذه الحالة سيجد كل فرد نفسه معزولا سلبيا ضعيفا غير قادر على احداث شيء ، وغير قادر على التأثير في مجرى الامور وفي التطور التاريخي .. لان حرية الافراد بهذه الحالة ستتبعثر وتختزل بعضها بعضا وتنتهي الى درك الانحطاط والهمجية . انها حرية الاميبا في جسم قام تكوينه على جماع عمل خلاياه بصورة منظمة محددة. واما ان نرى حرية الفرد جزءا من ارادة جماعية تعمل على تحويل العالم واخضاعه لارادة الانسان ، وبهذه الحالة لا مفر من العمل الجماعي المشترك اي لا بد من التنظيم والسلطة اللذين لا يحققان فقط المقدرة الجماعية على احداث التغيير والفعل الايجابي ، وانما ايضا هما اساس حرية الفرد لان الفرد سيجد من خلالهما وسيلة التعبير عن ذاته . ان وجود الفرد في الحزب اللينيني يجعله يعيش الواقع ويؤثر فيه وبالتالي هي عملية اعطاء معنى عميق لحياة الفرد .. انها اجراء حرية وليست الغاء استقلالية الفرد

وحريته . ان انضمام الفرد الى حزب الطبقة العاملة من الطراز الجديد يقوم على اساس الحرية والاختيار ، اولا وقبل كل شيء ، ان عمليـــة الانضمام نفسها ممارسة لحرية الفرد واستقلاليته ، وان ديناميكية عمل الفرد ضمن ارادة الحزب الموحدة هي وسيلة التعبير عن الذات من خلال المشاركة النشطة في اتخاذ القرارات والمشاركة النشطة في تنفيذ الارادة الموحدة التي اسهم الفرد في تكوينها والتي تعطي لفرديته صفة عالمية كلية، وتنقذه من العزلة واليأس والعجز وتجعله يمتلك المعرفة معرفة قوانين التطور الاجتماعي ، وتتيح له تطبيق تلك المعرفة تطبيقا ايجابيا فعالا . وهذه كلها قفزة نوعية في مجال الحرية سواء حرية الفرد او حرية المجتمع الانساني كله .

يشرح ماركس في «الايديولوجية الالمانية» ان الحرية الفردية لـــم تمارس في المجتمعات الطبقية الا من قبل الافراد الذين ينشأون فـــي صفوف الطبقة الحاكمة وبالقدر الذي هم اعضاء فيه في تلك الطبقة . ويقول ان الحرية الفردية (الشخصية) غير ممكنة الا من خلال الجماعة . «ان من خلال العمل مع الاخرين فقط يستطيع كل فرد ان ينمي مواهبه بكل الاتجاهات» (١) .

خلاصة :

حافظ لينين على الجوهر الثوري للنظرية الماركسية وطورها واعطاها ابعادا جديدة سواء في مجال النظرية او في مجال التطبيق . كما انقذها من كل التأويلات الميكانيكية ، وحال دون تحولها الى مسوغ لكل اشكال الانتهازية والارتداد الى الايديولوجية والسياسة البرجوازية .

لقد بيّن لينين ان قوانين التطور الموضوعي لا تستطيع ان تحقـق شيئا وحدها دون تدخل ارادة البشر . ولكنه بيّن ايضا ان تدخل ارادة البشر في عملية الانتقال التاريخي من النظام الراسمالي الى النظـــام

---

(١) ماركس : «الايديولوجية الالمانية» ـ مختارات من ماركس ، بليكان بوك ، ص٢٥٣ .

الاشتراكي لا تتحقق الا بوجود منظمة ثورية قائدة من طراز خاص ، وبيّن ان على هذه المنظمة ان تشكل على طراز معين وتستند الى نظرية معينة وتنتهج خطا استراتيجيا وتكتيكيا صحيحا في كل المسائل السياسية والاقتصادية والتنظيمية الخ .

وبيّن لينين ان التطور العفوي للحركة الجماهيرية لا يولّد غير النقابية (السياسة البرجوازية للعمال) ، ومن المحال ان يولد الوعي الثوري الاشتراكي الذي يتطلب الارتكاز الى معارف علمية وفلسفية واقتصادية وتاريخية ، وهذه المعارف بيد المثقفين الذين ينتمون الى البرجوازية . ولهذا فقد تكون الوعي الاشتراكي عن طريق بعض اولئك المثقفين ، وكان لا بد من ان ينقل الى الطبقة العاملة من الخارج .. اي عن طريق المثقفين والطلبة . وان نقل هذا الوعي لا يتم دفعة واحدة والى الابد ، وانما هو عملية تاريخية تحتاج الى عمل طويل نشط من اجل نشر الوعي الطبقي بين البروليتارية تقوم به منظمة الثوريين. ولكنه اظهر ايضا ان الطريق ليست ممهدة ، وانما هي معركة صراع مع الايديولوجية البرجوازية هذه الايديولوجية الاوسع انتشارا والاقدم والتي تمتلك امكانات اكبر للتغلغل والسيطرة . ولهذا فالامر يتطلب من منظمة الثوريين جهودا ضخمة ، ومقدرة على اتقان كل فنون (تكنيك) النضال السياسي والتحريض السياسي والتنظيم الخ .

لم يسجد لينين امام عبارات «ثورية الطبقة العاملة» ، «الطبقة العاملة اكثر الطبقات ثورية» الخ . طبعا هو لم يرفض هذه الموضوعات ، بل رأى ان الطبقة العاملة هي فعلا اكثر الطبقات ثورية ـ من الناحية الموضوعية ـ ولكنه رآها ايضا على مستوى متدن من الوعي والتنظيم .. رآها فريسة للشرذمة والسياسة البرجوازية والايديولوجية البرجوازية ، رآها بحاجة الى تنشئة ثورية وتثقيف سياسي . حقا ان هذا الوضع ليس ذنب البروليتارية ، فان الطبقات المالكة تريدها «طبقة» لها وليست طبقة مستقلة واعية تناضل من اجل مصلحتها اي لا تريدها طبقة لذاتها ، ولهذا ضربت عليها حصارا ايديولوجيا يستهدف زيادة تفسخها وانحلالها وانحطاطها الى جانب السياسة التجهيلية .. الى جانب الارهاب والقهر

والبطش . وهكذا رأينا لينين ينظر الى قوانين التطور الموضوعي على اعتبار انها جعلت من الطبقة العاملة حفار قبر الراسمالية ، كما ان هذه القوانين حين تستطيع الطبقات الحاكمة ان تبطيء تطورها تخلق ازمة اقتصادية اجتماعية سياسية ولكن هل هذه الازمة تتطلب تدخل البروليتاريا مباشرة لاسقاط الراسمالية والاستيلاء على السلطة السياسية («مصالح الطبقات الاساسية لا يمكن ان تلبى الا على اساس تغييرات سياسية جذرية» اي عن طريق الثورة السياسية والاستيلاء على سلطة الدولة) . ان هذا يقودنا مرة اخرى الى السؤال ولكن كيف تستطيع البروليتارية ان تنجز مهمتها التاريخية تلك ؟ الطريق الوحيد هو منظمة ثوريين من **طراز جديد** تاخذ على عاتقها توعية البروليتارية ومعها الشعب كله ، وتعمل على تنظيم الجماهير والتحضير في كل المجالات للمعركة الحاسمة التي تحدث التغييرات السياسية الجذرية . فما هي هذه المنظمة؟ **منظمة تتالف من ثوريين محترفين يقودها زعماء سياسيون حقيقيون للشعب كله** . ويجب على هذه المنظمة ان تكون :

١ ــ ذات نظرية ثورية وبرنامج ثوري ومحتوى اممي ، شديدة التمسك بالمبادىء ، ولا تساوم في النظرية .

٢ ــ **موحدة ، ومركزية** على نطاق البلاد باسرها ، ولا تسمح بالتجنحات والتكتلات داخل صفوفها .

٣ ــ ذات تنظيم حديدي جيد .

٤ ــ ذات **قادة نوابغ** مجرّبين ومتفقين في الراي اروع اتفاق ومهيئين فنيا . يتحلون **بملكة** التقدير السياسي الصحيح ، **وملكة** تعيين اللحظة الحاسمة بدقة متناهية .

٥ ــ طليعة الطبقة العاملة والجماهير وتكون شديدة الالتحام بالحركة الجماهيرية والشعب كله . وتقود النضال الثوري للشعب كله ، وهي حزب طبقي .

٦ ــ عملها مركزي يتصف **بالثبات المبدئي والتصميم والاستمرارية ويجمع في كل واحد النضال على كل الجبهات ويفيد من كل القوى ويجمع كل مظاهر الاحتجاج في سيل واحد جارف** . انه الشبكة التي تمسك بكل

الخيوط وتحركها جميعا وتوحدها وتجعلها كلا واحدا منسجما .

٧ ــ مرنة قادرة على العمل تحت كل الظروف ــ ركود ، ارهاب ، غليان وثورة ــ وتستطيع استخدام كل اشكال النضال العلني والسري ، العنيف وغير العنيف ــ من توزيع منشور حتى الثورة المسلحة ــ . ويجب ان تعمل دائما لتكون حزبا مقاتلا مستعدا لكل الاحتمالات .

٨ ــ تمارس التحريض السياسي الشامل وتمارس كل نشاطاتها وعملها التنظيمي من خلال **وضع خطط عملية منهاجية مسترشدة بمبادىء راسخة وتنفذ بحزم ومواظبة واستقامة وانتظام .**

٩ ــ لها جريدة مركزية تكون محرضا جماعيا وداعيا جماعيا ومنظما جماعيا .

١٠ ــ تطوير النظرية وتطبيقها تطبيقا خلاقا من خلال الدراسة الموضوعية الملموسة للوضع المعطى . ويجب ان يكون عملها النظري اجابة للمسائل التي يثيرها النشاط العملي ، ودمج العمل النظري والتطبيقي في وحدة واحدة .

١١ ــ شن النضال النظري الحازم ضد كل الاتجاهات الانتهازية والتحريفية . ورفض طريق المصالحة والمهادنة والاصلاحية .

١٢ ــ تتحلى منظمة الثوريين بتصميم وهمة لا يعرفان حدودا ، وتشريب اعضاء المنظمة والجماهير بالروح الثورية القتالية .

١٣ ــ رفع مستوى العمال الى مستوى المنظمة الثورية لا الانحطاط بالمنظمة الثورية الى مستوى «العمال العاديين» . وهذا يتطلب العمل باصرار على تربية العناصر المتقدمة من العمال وتثقيفهم في مدرسة النضال الثورية والعمل في منظمة الثوريين ليصبحوا ثوريين محترفين ويخرج منهم قادة نظريون وزعماء سياسيون للبروليتارية وللشعب كله .

١٤ ــ انها حزب النضال الطبقي وحزب النضال ضد كل ظلم اقتصادي وسياسي واجتماعي وقومي ، ولها هيئة اركان من محرضين محترفين وهذا يتطلب ان تدرس سمات كل طبقة وفئة اجتماعية وعلاقاتها بالبروليتارية ، وتستشف المزاج الجماهيري العام الى جانب مزاج كل طبقة وفئة .

١٥ ـ اخضاع النضال من اجل الاصلاحات من اجل الحرية والاشتراكية (لخدمة تحقيق الهدف النهائي) والمبدئية في طرح المسائل الاساسية التي تواجه الحركة .

١٦ ـ اكتشاف الحلقة الرئيسية في كل مرحلة تلك الحلقة التي يؤدي الامساك بها الى الامساك بالسلسلة كلها .

١٧ ـ ضرورة النضال من اجل الاهداف الديمقراطية العامة ، وضرورة تجميع وتنظيم كل قوى الشعب وقيادة النضال الموحد ، لشن هجوم عام واسقاط الحكم .

١٨ ـ وضع تكتيك سياسي ومشروع تنظيمي يعملان لمدة طويلة .

١٩ ـ اطلاق مبادرة مناضلي المنظمة وهمتهم وشحنهم بالروحية الثورية والحماسة بحيث يجترحون المعجزات منفردين ومجتمعين .

٢٠ ـ تنظيم كل اشكال النضال في كل المجالات حسب اصول الفن (التكنيك) وفقا لكل شكل وكل مجال .

٢١ ـ المراعاة الدقيقة لقواعد السرية والاختيار الدقيق للاعضاء .

٢٢ ـ الاعداد الفني الجيد للمناضلين وتقسم عمل المنظمة فيما بينهم بكل دقة ، وتسيير العمل العام والمحلي في كل المجالات بوقت واحد وبانسجام تام .

١٣ ـ اشاعة الايمان بقوة المنظمة وقدرتها ليس في صفوف الاعضاء والجماهير فحسب وانما في صفوف العدو والمحايدين ايضا .

١٤ ـ تضييق عدد المنظمة الثورية وحصرها بالثوريين المدربين فنيا على كل الوان النضال السري وتركيز الوظائف السرية بيد المنظمة .

١٥ ـ تنظيم العمل الواسع وتشغيل آلاف الافراد واعطائهم مهمات جزئية واشعارهم باهمية عملهم ، وابقاء كل اجزاء العمل موحدة ومنسجمة حتى تمكن الافادة من كل القوى حتى اضعفها .

١٦ ـ المنظمة الثورية تقوى بتطهير نفسها من العناصر الانتهازية او المتخاذلة .

هذه هي الملامح العامة للحزب اللينيني(١) وبعض ملامح استراتيجيت وتكتيكه. وقد اثبت هذا التنظيم صلاحيته بانتصار ثورة اكتوبر والدفاع عن النظام الاشتراكي في بلد واحد، ثم اثبت صلاحيته، بصورة غير مباشرة، بفشل مختلف اشكال التنظيم الاخرى التي ناقشها لينين ، كما اثبت صحته مباشرة بانتصار عدد من الاحزاب الشيوعية ـ من الطراز اللينيني ـ في عدة بلدان الصين وفياتنام وكوريا الشمالية والبانيا . ولكن ثمة جوانب سلبية اظهرتها التجربة العالمية لهذا التنظيم في مجموعة من البلدان التي تواجدت فيها احزاب شيوعية ، ويمكن تلخيصها في نقطتين رئيسيتين :

ا ـ مرحلة ما قبل انتصار الثورة وتسلم الحزب مقاليد الحكم . حيث تشكلت عشرات الاحزاب الشيوعية ـ الاممية الثالثة ـ في عشرات البلدان ، تشكلت على اساس التنظيم اللينيني ، بعضها استطاع ان يتطو وينتصر كما حدث مع حزب لينين نفسه في روسيا وكما حدث في الصين وفياتنام وكوريا الشمالية والبانيا ، وبعضها (الاغلبية) كان مصيره اما الارتداد الى التحريفية اليمينية او الوقوع في العزلة ، او التخبط بين عدة تكتلات داخلية ، فضلا عن سيادة البيروقراطية والذيلية وراء الاتحاد

---

(١) حدد ستالين السمات الخاصة للحزب اللينيني في كراسته «اسس اللينينية» كما يلي

ا ـ الحزب بوصفه فصيل الطليعة للطبقة العاملة :

١ ـ الفصيل المتقدم من الطبقة .

٢ ـ هيئة اركان حرب الطبقة .

٣ ـ القائد السياسي للطبقة .

٤ ـ جزء لا يتجزأ من الطبقة .

ب ـ الحزب بوصفه الفصيل المنظم للطبقة العاملة .

جـ ـ الحزب بوصفه اعلى اشكال تنظيم الطبقة .

د ـ الحزب هو اداة دكتاتورية البروليتارية .

هـ ـ الحزب بوصفه تجسيدا لوحدة الارادة والعمل ، وهذه الوحدة لا تسمح بالتكتلا داخل صفوفها .

ستالين اسس اللينينية ـ باللغة الانكليزية ـ بكين ١٩٦٥ ص ١٠١ـ١١٧ .

السوفياتي .

ب ـ مرحلة ما بعد الانتصار وتسلم الحزب اللينيني مقاليد الحكم والسير في عملية البناء الاشتراكي ، حيث ظهرت مجموعة من الامراض مثل البيروقراطية والتسلط الفردي والانحراف الى الطريق الراسمالي في كثير من المجالات ، والتناقض مع الجماهير والتخلي عن الموقف الاممي اللينيني الخ .

ولكن قبل بحث هذه النقاط ومن اجل بحث هذه النقاط لنعرض مقارنة حول الحزب بين لينين وبين روزا لوكسمبورغ ، وبين لينين وبين غرامشي، وبين لينين وبين ستالين، واخيرا بين لينين وبين ماوتسي تونغ.

الفصل الثالث

لينين ومفهوم الحزب لدى روزا لوكسمبورغ وغرامشي وستالين

لينين وروزا لوكسمبورغ

لاقت دعوة لينين لتشكيل حزب الطبقة العاملة على طراز جديد معارضة من عدة جهات . ولم تقتصر المعارضة على الانتهازيين اليمينيين الذين انحرفوا عن اسس الماركسية وتبنوا وجهة نظر البرجوازية . وانما شملت تلك المعارضة ماركسيين مخلصين وثوريين عظاما مثل روز لوكسمبورغ ، اذ لم يستطع هؤلاء ان يدركوا المغزى العميق وراء افكار لينين حول بناء الحزب ، وظلوا متمسكين بطراز الحزب على زمن ماركس وانجلز . فهم من ناحية تبنوا وجهة النظر الماركسية القائلة ان الحركة البروليتارية الجماهيرية بحاجة **لقيادة قوة مبدئية منظمة** . ولكنهم لم يوافقوا على الصيغة اللينينية لبناء هذه القوة المبدئية المنظمة . اذ ظلت صيغة بناء الحزب عندهم متأرجحة بين المنظمة الجماهيرية وبين الحزب الطليعي . وكان يكفي ان يسمعوا : **منظمة ثوريين محترفين ـ فلائل ـ**

تمسك بيديها كل وظائف العمل السري وتقوم على اساس المركزية الصارمة وتقود المنظمات الجماهيرية والحركة الجماهيرية العلوية ، ولا تسمح بالتكتلات داخل صفوفها وتتميز بوحدة الارادة والعمل ، لكي ينتفضوا فزعا .

ووصل الحد بروزا لوكسمبورغ في كراستها «المركزية والديمقراطية» ان اتهمت لينين بالبلانكية ، وبالابتعاد عن المفهوم الماركسي للحزب ، ووصفت صيغة لينين للحزب بانها اقرب للفرقة الدينية المنظمة عسكريا بعيدا عن الجماهير . وهاجمت المركزية كما رسمها لينين كما هاجمت انتقال لينين بالمعركة ضد الانتهازية من الميدان الايديولوجي والنظري الى الميدان التنظيمي ، رغم انها اكدت ضرورة وحدة الحزب ووحدة قيادته السياسية والتنظيمية والنظرية .

ولكن ، اذا عدنا للجذور النظرية للخلاف بين روزا لوكسمبورغ ولينين حول مسألة الحزب فسنجدها تنطلق من موقعين مختلفين في تقدير دور العامل الذاتي (الحزب والوعي والنظرية الخ) وفي تقدير دور العامل الموضوعي .

اذا كانت روزا لوكسمبورغ قد وافقت على وجود حزب الطبقة العاملة المستقل الطليعي الا انها قالت ان وجود الحزب الطليعي لا يعني ان الجماهير لم يعد لها دور ، بل على العكس تظل الجماهير هي المادة الحية للتاريخ الانساني (١) ، وركزت على القوة الخلاقة للطبقة العاملة وقللت من اهمية القيادة ودورها في الصراع ، خاصة ، في لحظات الانفجار الجماهيري . اما في خطابها في المؤتمر التاسيسي للحزب الشيوعي الالماني ١٩١٩ ، فقد قللت من اهمية دور الحزب في تثقيف الجماهير «النشاط نفسه يثقف الجماهير وليس النشرات والكراسات والمحاضرات» (٢) بل انها قالت ان اخطاء تركب من قبل حركة عمالية ثورية

---

(١) روزا لوكسمبورغ ـ نشر الاشتراكيين الاممين الطبعة الاولى . باللغة الانكليزية ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ـ ص ٤٢ .

اصيلة ، افضل كثيرا، من الناحية التاريخية ، من عصمة احسن لجنة مركزية (١) . اما في كراستها «اللينينية ام الماركسية» فقد رأت ان ثمة حاجة لان تتخطى الجماهير الحزب وتخرج عن مداه في مرحلة متقدمة جدا.

وعلى الرغم من انها كتبت في كراستهـا «الاضراب الجماهيري» ان «الديمقراطيين الاشتراكيين هم الطليعة الاكثر وعيا طبقيا واستنارة من بين البروليتارية ، لذلك لا يستطيعون ، ولا يجرؤون ، ان ينتظروا بطريقة قدرية ، وباذرع مكتوفة تطور الوضع الثوري» (٢) . فانها مع ذلك اكدت على ان دور الحزب يجب الا يكون كبيرا . ولم تخف تحفظها تجاه المركزية وانزعاجها منها .

ولعل اهم ما يوضح منطلق روزا لوكسمبورغ : «اللاوعي يسبـــق الوعي ويتقدم عليه ، ان منطق التاريخ يتقدم المنطق الذاتي للبشر الذين يشتركون في العملية التاريخية . ان الاتجاه يسير لدفع الهيئات الموجهة في الحزب الديمقراطي الاشتراكي لتلعب دورا محافظا» (٣) .

اننا نواجه هنا في الواقع ثلاث موضوعات ;

اولا : مسألة الوعي والعفوية . وقد راينا عمق تحليل لينين لهذه الموضوعة . وواضح ان روزا لوكسمبورغ قد قللت من قيمة الحـــزب الطليعي ودوره في نشر الوعي وفي قيادة الحركة الجماهيرية العفوية . وان تأكيد لينين على قيمة العامل الذاتي ودوره لا يقلل لديه مطلقا مـن شأن اهمية المبادرة الجماهيرية وحركتها العفوية ، بل ان الغاية من الحزب هي دفع الحركة الجماهيرية الى اقصى مدى وتفجير مبادراتها الى اقصى مدى ولكن مع تحديد هدفها النهائي وجعلها تكتسي بالوعي الاشتراكي ، واقامة علاقة ديالكتيكية بين تطور الوعي وبين الحركة الجماهيرية العفوية واغتناء بعضهما من بعضهما الاخر .

ثانيا : ان ملحوظتها ان الامور تسير باتجاه جعـــل قيادة الحـزب

---

(١) المصدر السابق ـ ص ٤٢ .

(٢) المصدر السابق ـ ص ٥٧ .

(٣) «اللينينية ام الماركسية» باللغة الانكليزية ـ ص ٩٢ .

الاشتراكي تلعب دورا محافظا يجب أن تؤخذ بتدقيق وبصورة نقدية :

أ ـ لقد اثبتت التجربة التاريخية ، في حالات عديدة ، ان قيادة حزب الطبقة العاملة اصبحت تلعب فيما بعد دورا محافظا.

ولكـــن

ب ـ اثبتت التجربة التاريخية ايضا أن حركة الطبقة العاملة العفوية يمكن ان تتحول هي الاخرى لتلعب دورا محافظا . بينما

ج ـ اثبتت التجربة التاريخية ان ثمة قيادات ظلت ثورية وامام الحركة العفوية حتى اخر لحظة ـ لينين وماوتسي تونـــغ وهوشي منه الخ ..

اذن ، ان هذا يجب الا يدفعنا للتقليل من اهمية القيادة ، وان كان يجب ان يفتح عيوننا ضد القيادات التي تصبح محافظة، وبالتالي، ان يدفعنا الى تجديد شباب قيادة الحزب باستمرار .

ثالثا : تحفظ روزا لوكسمبورغ من مسالة المركزية وفزعها مـــن البيروقراطية والتسلط . وهذه اخطار واردة بلا شك ، وكان لينين نفسه متنبها لها ومنزعجا منها ، خاصة ، بعد انتصار ثورة اكتوبر . ولكن مـا الحل ؟ ان المركزية مسألة ضرورية ولا مجال للتفكير باي شيء سواها اذا اراد الحزب ان يكون قادرا فعلا على انجاز مهمته التاريخية في قيـــادة البروليتاريةوالجماهير حتى النصر. فالمسالة ليست رفض المركزية خوفا من البيروقراطية وانما هي توسيع الديمقراطية ضمن المركزية ، والعمل على محاربة البيروقراطية بلا هوادة وبطرق فعالة ناجعة .

في الواقع ، ان روزا لوكسمبورغ تشخص المرض او امكانية المرض ولكنها بدلا من ان تبحث عن حل عملي القت بنفسها في احضان العفوية . وقد دفعها الى ذلك توقعها اختناق الرأسمالية العالمية تحت ازمة لا خلاص لها منها ، وحتمية تطور الوعي الاشتراكي مع الازمة (١) .

واخيرا ، لم تستطع روزا لوكسمبورغ ان تزعزع صحة آراء لينين حول الحزب ودور الوعي واهمية المركزية الديمقراطية . وقد ظلت افكارها

---

(١) روزا لوكسمبورغ : «تراكم رأس المال» ـ لندن ١٩٥١ .

طرازا من نظريات تمجيد العفوية رغم انها كانت من اشد معارضي البرنشتانية والتطورية ، فهي ماركسية ثورية ، اساسا ، وظلت مخلصة دائما للثورة الاشتراكية ، ولكنها لم تدرك ان انجاز الثورة الاشتراكية يتطلب اتقان فن التنظيم ، وكل انواع فنون النضال . وبالمناسبة ان من الاسباب الرئيسية التي ادت الى فشل انتفاضة هامبورغ ١٩٢٣ في المانيا ، هي ضعف الاعداد السياسي للجماهير ، وفقدان القيادة (١) ، وهذا ما يؤكد صحة آراء لينين ويثبت عمليا اهمية دور الحزب من الطراز الجديد واهمية دور القيادة .

لينين وغرامشي

كان غرامشي من القادة الشيوعيين القلائل الذين فهموا لينين باصالة لا كصيغ وشعارات . او على الاصح كان من القلائل الذين رفضوا فهم لينين على الطريقة الستالينية ولهذا جاءت افكار غرامشي حول الحزب وقضية الوعي والعفوية اغناء للينينية .

لقد انطلق غرامشي من نظرية ماركس حول الثورة بوصفها قفزة نوعية ، وانطلق من النظرية اللينينية حول دور العامل الذاتي (الحزب والوعي) بوصفه **شرطا لحدوث القفزة النوعية** ! وطرح مجموعة من القضايا استنادا لهذين المنطلقين (٢) ، ان العفوية في نظر غرامشي لا توجد في التاريخ كله **كعفوية صرف** اذ لا بد من وجود **عناصر** من الوعي في «اشد» الحركات عفوية ولكن هذه العناصر لا تكون منضبطة ، او متماسكة ، في الحركة العفوية . ويعمق غرامشي هذا الرأي في كتابه «الامير الحديث» فيقول ان ما من انسان ليست لديه فكرة او مفهوم ما حول العالم «اذ ان مفهوم الانسان حول العالم ينتمي دائما الى نوع من مفهوم جماعة ما ، وبالتحديد المجموعات البشرية التي تشاركه طريقة تفكيره وعمله» . ان الانسان ينتمي دائما الى فئة او طبقة او مجموعة من البشر وتتكون شخصيته بطريقة غريبة . «انها تحوي عناصر من رجل الكهف وعناصر من

---

(١) أ. نيوبورغ : «الانتفاضة المسلحة» ـ NLB ـ باللغة الانكليزية ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٢) مافري ، لوسيو : «ما هو الحزب الثوري» ـ نيولفت ريفيو ـ ص ١١٤ .

كل التكوينات التاريخية السابقة» الى جانب عناصر من التكوين الاجتماعي القائم وتطلع الى المستقبل . ان ابن الجماهير وهو يمارس نشاطه العملي اي تغيير الواقع المادي في عملية الانتاج يمتلك نوعين من الوعي احدهما متضمن في نشاطه العملي الذي يوحده مع كافة زملائه في العملية الانتاجية ، والاخر وهو وعيه الظاهر على السطح مكونا من مجموعة الافكار والمفاهيم التي ورثها من الماضي ومن المجتمع ، وهو يحملها بدون نقد . ان هذا الانقسام بين الوعي الظاهر وبين النشاط العملي كثيرا ما يكون في حالة تناقض بل قد يصل هذا التناقض الى نقطة «يتعطل معها كل عمل وقرار واختيار وتتولد حالة سلبية فكريا وسياسيا واخلاقيا»(١). وعند هذه النقطة تتولد النظرية التي تتوافق مع البشر الذين يمارسون النشاط العملي الواحد من اجل ان يجعل النشاط العملي والوعي اكثر تماسكا وانسجاما . فالمسألة اذن ، كيف يمارس النشاط ؟ ثمة اسلوبان: اما تبعا لوعي مفروض من الخارج ومتوارث ومتناقض ، واما تبعا لمفهوم نقدي يقوم على الوعي (الامير الحديث ص ٦٧) .

ومن هنا ينطلق غرامشي الى ضرورة نشوء الاحزاب والحركات العقائدية الخ ، من اجل : ا- نشر الوعي المحدد ، ب- العمل المنسجم مع الوعي ، جـ- توحيد كل من يقبل بهذا الوعي ونشره .. د- اعطاء الانسجام والوحدة لمختلف النشاطات الانسانية . ولكن هذه الاحزاب والحركات قد تعمد لعملية توحيد الطبقات وتهبط بالمثقف لمستوى الجميع عبر نظام حديدي من الايمانات والعقائد . اما الماركسية فهي عكس تلك الحركات التي تولدت في عصور العبودية والاقطاعية . اذ ان الماركسية تعمد على تحرير المجتمع من الانقسام الطبقي ، ولهذا فهي تحاول توحيد المثقفين والعمال من اجل رفع مستوى وعي الطبقة العاملة والجماهير لتساعدهم على عمل باستقلالية حقيقية ، وبالتالي لتمكينهم من امتلاك السلطة السياسية وبناء المجتمع اللاطبقي . لذلك لا تستطيع الماركسية عبادة عفوية الجماهير اي انها ترفض ان تفرض على اكثر العناصر تقدما تخلف

---

(١) الامير الحديث : باللغة الانكليزية ، ص ٦٦-٦٧ .

العناصر المتأخرة .

وهنا يأتي غرامشي لتحليل وضع المثقفين .. فهم يمثلون ، في نظره ، التعبير عن التقاليد والقيم وطرائق التفكير والنظرة الاخلاقية وهم منتشرون في المجتمع .. ان هذه القوى الفوقية تتمتع باستقلالية ذاتية عن البناء التحتي بعد ان زال وتولد مكانه بناء تحتي جديد . لذلك فان المثقفين يمثلون المشروع والمثل والتعبير عن العالمية ، وعن الاستلاب الذي يمزقهم به المجتمع . ان المثقفين في نظر غرامشي لا ينيرون طريق الثورة بالعلم فحسب ، وانما يلعبون دورا وسيطا بين واقعين تاريخيين كل منهما يؤثر على الاخر : واقع عفوية العمال وواقع الثقافة بمعناها الواسع . ان الايديولوجية الثورية والحزب الذي يمثلها هما نتاج العلاقة الديالكتيكية بين هذين العنصرين . فالحزب هو طليعة قائدة ضمن وضع شديد التعقيد وهو يمثل وعي الطبقة لذاتها وتخطيها لذاتها اي الاتجاه نحو العالمية . لذا على الحزب ان يكرس قيادته في كل المجالات ويعبر عن نفي ما هو قائم ــ بما في ذلك نفي الطبقة لذاتها ــ كما يجسد الجديد اي صورة المستقبل مع النقد والنقد الذاتي المستمر . بل ان غرامشي اراد للحزب ان لا يصبح بيروقراطيا حاكما وانما ان يمثل باستمرار نقد الواقع القائم (١) .

في الواقع ، ان غرامشي يسير بتحليلاته الاصيلة على خط لينين تاركا على هذا الخط بصماته الخاصة المميزة فهو لم يزد على لينين من حيث الجوهر النظري بالنسبة لمسألة العفوية والوعي ، وانما طرح القضية على مستوى فلسفي وتاريخي بينما ركز لينين على طرحها على مستوى التجربة الحية المعطاة . اما بالنسبة للحزب فهو مع الحزب اللينيني بكل سماته سواء تنظيمه الهرمي المركزي او دوره القائد الطليعي . ولكن مسألة ان يبقى الحزب بعيدا عن الحكم ليظل يمثل نقد الواقع القائم فهي مسألة لا تجيب على دور الحزب بعد الانتصار واقامة دكتاتورية البروليتارية . قد يقال ان دولة دكتاتورية البروليتارية يجب ان تدار من قبل مجالس

---

(١) ماغري لوسيو : المصدر السابق ص ١١٦.

العمال ـ السوفياتات ـ وان لينين نفسه كان يريد لهذه المجالس ان تلعب دورا اكبر فاكبر في ادارة الدولة والانتاج . ولكن ما هي الصيغة التي يستطيع فيها الحزب ان يقود الحركة الجماهيرية والمنظمات الجماهيرية وبالتالي ان يقود الدولة الاشتراكية بينما **يظل** في الوقت نفسه يمثل نقد الواقع القائم ؟ ان موضوعة غرامشي حول ان يظل الحزب بعيدا عن الحكم لا تجيب على السؤال ؟!! كما ان مسألة تحول الحزب الى حزب حاكم مباشرة ـ الستالينية ـ تدفع الى الامام موضوعة غرامشي حول صورة عدم تحول الحزب الى جهاز حاكم بيروقراطي . ولكن مناقشة هذه الموضوعة سيجيب عليها ماوتسي تونغ كما سنرى .

قبل مناقشة هذه الموضوعة يحسن ان نعود للينين ونتابع آرائه حول هذه القضايا بعد ان تسلم حزب البلاشفة الحكم .

مرة اخرى ، الحزب لدى لينين

تشكل الصيغة اللينينية حول الحزب ارقى ما توصل له الفكر الماركسي والتجربة الثورية العالمية لحركة البروليتارية في تحديد سمات الحزب البروليتاري ودوره ، وكما قلنا سابقا ، ثبتت صحة هذه الصيغة في التطبيق العملي لمجموعة من الاحزاب والبلدان . بينما تكشفت عن سلبيات على يد عدد اخر من الاحزاب والبلدان ـ وهذا العدد ليس قليلا او شذوذا . ولنتناول في هذه المرحلة من الدراسة تلك السلبيات التي ظهرت في مرحلة النضال من اجل تحقيق الهدف النهائي اي قبل انتصار البروليتارية وقيام دكتاتوريتها .

وكما رأينا ، ان حزب لينين هو منظمة ثوريين محترفين تقوم على اساس هرمي مركزي تتركز فيه السلطة والصلاحيات في يد مركز الحزب او على التحديد قيادة الحزب ، بينما يتم اختيار الاعضاء وتشكيل اللجان المسؤولة الرئيسية تحت اشراف مركز الحزب وموافقته . ويمسك الحزب بين يديه كل الوظائف السرية ويكون اعلى اشكال تنظيم الطبقة ، الذي يشكل العقدة التي تمسك بكل المنظمات الجماهيرية الاخرى وتضبطها وتوجهها

وتقودها بشكل موحد منسجم ضمن خط الحزب ـ استراتيجيته وتكتيكه.

وقد راينا ، ان المنطق الاساسي وراء هذه الصيغة ينبع من طبيعة الوضع الملموس للصراع الطبقي والجماهيري ضد اعداء منظمين جيدا وموحدين، ويمتلكون كل اسباب القوة المادية والمعنوية، تمثلهم دولة (سلطة سياسية) مركزية تمتلك تحت تصرفها جهازا اداريا بيروقراطيا منظما مدربا مركزيا ، وتمتلك جهازا ايديولوجيا ضارب الجذور في التعليم والصحافة ومختلف وسائل الاعلام والعادات والتقاليد. وتمتلك اخيرا ، جهازا عسكريا مؤلفا من جيش وشرطة يحوز كل اسباب النظام والانضباط والتدريب التكنيكي والخبرة والمخابرات السياسية الى جانب التفوق المادي سلاحا وعتادا وقوات مسلحة منظمة مركزية كبيرة العدد . لهذا كان من البدهي ان الصراع ضد هؤلاء الاعداء يتطلب ان تتوفر في الجهة المقابلة ـ البروليتارية والجماهير ـ قوة قادرة على انزال الضربة القاضية بهؤلاء الاعداء . وكان من المنطقي ان تأمين تلك القوة للبروليتارية والجماهير يتطلب توفير عدة شروط ذاتية الى جانب تطور الظروف الموضوعية لمصلحتها . وقد لاحظ لينين كما راينا ان تأمين تلك القوة لن يتم من خلال التطور العفوي للحركة الجماهيرية او التطور العفوي للظروف الموضوعية . واذا كان التطور العفوي لا يولد تلك القوة تلقائيا ، فلا مفر من تدخل العامل الذاتي (الوعي والحزب والقادة) للعمل الطويل المضني من اجل تأمين تلك القوة مع الافادة حتى اقصى حد من نقاط ضعف العدو، ومن تطور الحركة الجماهيرية العفوية ، ومن تطور الظروف الموضوعية .

من هنا جاء برنامج لينين حول ضرورة تشكيل منظمة قوية حديدية من ثوريين محترفين يضبطها نظام مركزي صارم ، وذلك من اجل توحيد وتركيز وتدريب وشحذ كل القوى الممكنة في كل الميادين السياسية والنظرية والايديولوجية والتنظيمية او قل جعل البروليتارية والجماهير تمتلك الوعي والخبرة والتنظيم .. تمتلك قوات منظمة على اعلى مستوى لها هيئة اركان حرب تقود المعركة وتحسن الافادة من كل الظروف الذاتية والموضوعية لتأمين التفوق على الخصم في النهاية .

واذا كانت التجربة العملية قد اكدت صحة موضوعة لينين الا ان

تلك التجربة بالذات اثبتت ايضا ان ايجابية الحزب اللينيني او سلبيته لا تتولدان **تلقائيا** من طبيعة التنظيم اللينيني بالذات ، بمعنى ان تكوين حزب وفقا لخطة لينين التنظيمية لا يعني **تلقائيا** تكوين الحزب القادر على انجاز المهمة التاريخية على راس البروليتارية والجماهير ، كما ان تكوين الحزب على تلك الصورة لا يعني تلقائيا تولد السلبيات مثل البيروقراطية والانعزالية والتسلطية الفردية . والدليل على ذلك مثال الاحزاب اللينينية التي انتصرت ـ لينين ، ماوتسي تونغ ، هوتشي منه الخ ـ والاحزاب اللينينية التي تقهقرت او انحرفت مثل احزاب الاممية الثالثة الاخرى ـ القيادات الستالينية النموذجية والقيادات التي تتبع خط القيادة السوفياتية الحالية ـ.

هذا الواقع يقودنا الى ان نستنتج ان التركيب التنظيمي اللينيني للحزب يحمل في طياته بذورا ايجابية كما يحمل في طياته بذورا سلبية. ولكن علينا ، اولا وقبل كل شيء ، ان ندرك ان ما من حل اخر غير تبني الخطوط الاساسية للحزب اللينيني . بمعنى ، ان مناقشة هذه القضية هي ضمن سمات الحزب اللينيني وليس خارجها . فالبحث اذن ، ينصب في محاولة لكشف نقاط الضعف بقصد تلافيها ـ ان امكن ـ مع المحافظة على المنطق الاساسي وراء تشكيل الحزب اللينيني ، وعلى جوهر التنظيم اللينيني . وهذا يقودنا الى طرح الملحوظة التالية : **ان موضوعات لينين حول حزب البروليتارية في مرحلة ما قبل الاستيلاء على السلطة هي صحيحة غاية الصحة ، ولكن تطبيقها تطبيقا خلاقا ناجحا ، او تطبيقا مدمرا فاشلا ، يعتمد على طراز القيادة التي تكون على راس الحزب .** فاذا توفرت قيادة مثل قيادة لينين وماوتسي تونغ وهوتشي منه وانور خوجا وكيم ايل سونغ ، (واكاد اذكر غرامشي ـ لو لم يختطفه السجن ومن ثم الموت العاجل قبل ان تتاح له فرصة كافية ـ زمن كاف ـ لقيادة الحزب الشيوعي الايطالي) ، اقول اذا توفرت مثل تلك القيادة للحزب اللينيني فان ايجابيات التنظيم اللينيني ستنطلق الى ابعد مدى بينما يعجل بخنق السلبيات حتى الحد الادنى الممكن .

مثلا ، كان لينين مدركا سلبيات المركزية اذا ما طبقت بشكل خاطىء، لهذا كان لينين مع خلق جو الحوار الجماعي الرفاقي البناء من اجل اتخاذ

قرار موحد، وتطبيق موحد للقرار، وهذا غير ممكن بدون المشاركة النشطة من قبل كل اعضاء الحزب في مختلف نشاطات الحزب والعيش فيه ولكن هذا غير ممكن ايضا بدون خط سياسي صحيح واستراتيجية وتكتيك ، في كل المجالات ، **صحيحين** . لو راجعنا دراسة لينين في كراسته (شيوعية الجناح «اليساري» مرض طفولي) ١٩٢٠ فسنجده يطرح الاسئلة التالية : كيف يحافظ على نظام الحزب الثوري ؟ وكيف يجرب ويتمرس ؟ وكيف يعزز ويرسخ ؟ ويعطي لينين عدة اسباب نلخصها :

١ ــ من خلال الوعي الطبقي للطليعة البروليتارية ومن خلال تكريس نفسها للثورة ومواظبتها وبطولتها .

٢ ــ من خلال مقدرتها على ربط نفسها باوسع الجماهير الكادحة ، خاصة ، بالبروليتارية ، وكذلك بالجماهير الكادحة غير البروليتارية .

٣ ــ صحة الخط السياسي القائد الذي تمارسه هذه الطليعة .. صحة استراتيجيتها وتكتيكها السياسيين النابعين من تجربتها الملموسة نفسها .

ويقول لينين انه بدون هذه الشروط لا يمكن تحقيق النظام في الحزب الثوري وبدونها ستنهار وتتمزق اية محاولة تنظيم . ولكن هذه الشروط لا تتحقق دفعة واحدة .. انها نتاج جهد طويل واكتساب تجربة مريرة . ان خلق هذه الشروط **تسهله** النظرية الثورية التي هي بدورها ليست شيئا جامدا (دوغما) ، اذ انها تأخذ شكلها النهائي ، فقط ، بالاتصال الوثيق بالنشاط العملي لحركة جماهيرية حقا وثورية حقا (١) .

اما في كراسته (ما هي حقيقة «اصدقاء الشعب» ؟) فقد طالب ان يقوم العمل النظري على الدراسة الموضوعية الملموسة للوضع المعطى وان يكون البرنامج عبارة عن صياغة دقيقة لعملية التطور الواقعية ، وان على القائد الايديولوجي ان يوجه العمل الايديولوجي والتحريضي السياسي

---

(١) لينين : حول «ماركس وانجلز والماركسية» ص ٨٩ـ٩٢ .

وفقا لمتطلبات القضية ، ونشر نتائج النظرية هذه بين العمال ومساعدتهم على ان يتنظموا . ويقول ان الجمود (الدوغماتية) ينتفي عندما يصبح معيار اي مبدأ هو انطباقه على التطور الملموس كما «تنتفي التسلطية البيروقراطية Sectarianism اذا كان الهدف هو تنظيم العمال» (١)

واكد لينين هذه الموضوعة في مقالته «حول حملة الانتخاب والبرنامج الانتخابي» ١٩١١ :

١ ــ بدون برنامج من المحال للحزب ان يكون وحدة سياسية لا تتجزأ قادرا دائما ان يرسم خطا صحيحا في كل منعطف للاحداث .

٢ ــ ومن المحال للحزب ان يكون وحدة لا تتجزأ بدون خط تكتيكي قائم على تقييم اللحظة السياسية الراهنة ، ويعطي الجواب الصحيح لمسائل الحاضر .

٣ ــ من السهل ان يكون لديك مجموعة صغيرة من النظريين ولكن ليس سهلا ان يكون لديك وحدة سياسية عاملة .

٤ ــ بدون تحليل الاتجاهات السياسية والايديولوجية القائمة ، فان البرنامج والتكتيك ينحدران الى نقاط ميتة غير قابلة للتحقق في الحياة، وغير قابلة ان تطبق على آلاف الحالات التفصيلية ، وهي مسائل التطبيق الملموسة .. اي فهم جوهر الاشياء ، فهم حقيقتها .

من هنا نستنتج ان النظرية الثورية (النظرية الماركسية) وكذلك نظرية لينين حول الحزب تنحدران الى نقاط ميتة غير قابلة للتحقق في الحياة بدون برنامج وتكتيك صحيحين . ولكن مسؤولية من وضع البرنامج الصحيح المنطبق على المرحلة التاريخية المعطاة الملموسة ، ومسؤولية من وضع التكتيك السياسي الصحيح القائم على تقييم اللحظة السياسية الراهنة ويعطي الجواب الصحيح لمسائل الحاضر ؟ هذا اولا ، ثم مسؤولية من تربية اعضاء الحزب وكوادره وارساء تقاليد التنظيم ، ومسؤولية من كيفية تطبيق الديمقراطية المركزية ، وحسن اختيار الكوادر القائدة ؟ الجواب بسيط جدا وواضح : انها مسؤولية قيادة الحزب . فاذا توفرت

---

(١) المصدر السابق ١٠٠ـ١٠٩ .

القيادة القادرة على تطبيق النظرية الماركسية اللينينية تطبيقا خلاقا على الوضع المعطى وفي كل مرحلة ولحظة من لحظات ومراحل تطوره كما في كل نقاط البرنامج والتكتيك وخط التنظيم وحياته الداخلية وديناميكية عمله ، فان الطراز اللينيني للحزب يتكشف عن اروع الايجابيات ويحصر السلبيات المتولدة عن العادة وعن امتلاك السلطة حصرا حتى حده الادنى . اما اذا تربعت على قيادة الحزب اللينيني زمرة من القادة الجامدين او ضيقي الافق او الانتهازيين او الاغبياء او الذيليين فان كل شيء ينقلب الى نقيضه ابتداء من النظرية الماركسية وانتهاء بالتنظيم اللينيني للحزب . ولهذا تنبغي مراعاة مسالة وجود افضل العناصر الثورية والمعها واكثرها اصالة على راس الحزب . لان تلك العناصر ستمسك بيدها كل شيء وتطبعه بطابعها ، سواء رضينا او لم نرض . ولكن ما دام هذا الوضع محتوما لا مفر منه ، فلا بد من ان يتنبه الثوريون الى ضرورة :

١ ــ عدم الانقياد الاعمى وراء اية قيادة .

٢ ــ جعل التطبيق العملي والنتائج الملموسة للممارسة هي المحك للحكم على صحة البرنامج والتكتيك .

٣ ــ تربية كوادر الحزب على امتلاك المنهج الديالكتيكي في التحليل والتقييم ، وتنمية جراتهم الادبية لممارسة النقد من ادنى الى اعلى ــ طبعا من خلال التقيد بنظام الحزب .

٤ ــ الاستعداد الدائم لنقل التناقض داخل صفوف الحزب الى تناقض عدائي في حالة انحراف القيادة عن المبادىء الاساسية او تخبطها في الاخطاء المميتة وفي حالة عدم توفر امكانية ازاحتها بالاساليب الديمقراطية داخل الحزب . وعدم الخوف من الانقسام لان الوحدة تحت قيادة سيئة وخط سياسي وتنظيمي خاطىء لا تؤدي الا الى دمار الحزب والحركة الجماهيرية كلها .

ان المركزية والنظام داخل الحزب لا يعنيان وفقا للمفهوم اللينيني الخضوع وقهر ارادة الفرد ، وانما على العكس هما وسيلة لازدهار الانسان الفرد من خلال العمل الجماعي المنظم الممركز . وكان لينين يدعو لسماع كل

لآراء ليحكم الحزب «على اهمية او عدم اهمية هذه او تلك من الخلافات ، ويقرر اين التقلب وعدم الثبات» .

اذن ، ان نقطة الضعف الاساسية في التنظيم اللينيني ليست نتاج لتنظيم **تلقائيا وبحد ذاته** ، وانما هي نتاج نوع القيادة القائمة ، في حالة ، بروز السلبيات . وهذا الضعف ـ اي طراز القيادة السيئة ـ لا يمكن القاء تبعته على موضوعة لينين حول التنظيم ، وانما هو نتاج ظروف تاريخية وموضوعية وذاتية في كل بلد يبتلي به ، وان كان من الضروري يجاد صيغ تنظيمية وعملية تلعب دور المضادات لمثل هذه الظاهرة .

من هنا ، علينا الا ننظر الى صيغة لينين حول حزب البروليتارية كاشكال تنظيمية وقواعد تنظيمية بمعزل عن جوهرها الثوري ، اي بمعزل عن الخط الصحيح في البرنامج والتكتيك والتنظيم . ان الشيء الحاسم في الماركسية اللينينية كنظرية ثورية لا يكمن في صيغها وموضوعاتها العامة وانما في التطبيق الخلاق للنظرية على كل وضع معطى ... في التطبيق الخلاق للمنهج الديالكتيكي في التحليل والاستنتاج ورسم الخط الصحيح للبرنامج والتكتيك وحياة التنظيم .

لذلك فان الاخذ بالحزب اللينيني وبالماركسية اللينينية من حيث الشكل لا الجوهر لن يؤدي الا الى الفشل والاخفاق ، في حين يؤدي الاخذ بالحزب اللينيني والماركسية اللينينية مصحوبين بتطبيق خلاق مبدع .. مصحوبين ببرنامج وتكتيك **صحيحين** ينبعان من تحليل **صحيح** للواقع الملموس في كل وضع معطى وفي كل لحظة معطاة .. يؤدي الى نجاح حتمي وانتصار اكيد .

لقد اثبتت صحة هذه الموضوعة الاخفاقات المتكررة التي منيت بها الاحزاب الشيوعية في عديد من البلدان ، كما اثبتت صحتها الانتصارات الباهرة التي حققتها احزاب شيوعية اخرى في بلدان اخرى .

لو اخذنا تجربة حزب شيوعي في بلد واحد كمثال لصحة هذه الاجابة عن السؤال حول سبب نجاحات الحزب اللينيني في حالات وسبب

---

(١) لينين : الاعمال الكاملة ـ المجلد الثامن ص ١١٦ .

فشل تجربة الاحزاب الشيوعية في حالات اخرى ، سنجد ان تجربة الحزب الشيوعي الصيني في كل مراحل تطوره تؤكد صحة هذه الموضوعة. حيث سنجد هذه التجربة تزودنا في حالات كان فيها الحزب الشيوعي الصيني تحت قيادات انتهازية يمينية و «يسارية» طفولية فمني باخفاقات وانتكاسات شنيعة ، كما سنجدها تزودنا في الحالات التي سيطرت فيها على الحزب قيادة ماوتسي تونغ بخطه الثوري الصحيح في كل المجالات العسكرية والسياسية والنظرية والتنظيمية وكانت النتيجة سلسلة متصلة من النجاحات .. طبعا لا يعني هذا عدم حدوث انتكاسات مؤقتة وتعرجات ولكن الاتجاه العام لحركة التطور كان دائما الى امام .

مثلا : لقد سيطرت على الحزب الشيوعي الصيني قيادة يمينية انحرفت عن الخط الصحيح المناسب في تلك الظروف المعطاة ، فمني الحزب بانتكاسات خطيرة ما بين ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨ اي فترة سيطرة القيادة اليمينية والخط اليميني .

وسيطرت على قيادة الحزب ما بين ١٩٢٨ ـ ١٩٣٤ قيادة انتهازية «يسارية» انحرفت عن الخط الثوري الصحيح المناسب لتلك الفترة فمني الحزب بانتكاسات خطيرة .

اما بعد عام ١٩٣٥ عام تسلم ماوتسي تونغ قيادة الحزب وتبني خطه الثوري الصحيح المحدد بدقة وفقا لكل مرحلة وظرف معطى ، فقد انتقل الحزب من نصر الى نصر حتى يومنا هذا .

بل ان تجربة الحزب الشيوعي الصيني اثبتت ان وجود بؤر او جيوب ذات اتجاهات خاطئة في القيادة ولو ضمن خط عام صحيح ، وتحت قيادة ثورية مبدعة تعرض الحزب والثورة والمكتسبات الثورية الى اخطار فادحة حقيقية ، خاصة اذا لم تستأصل في الوقت المناسب وبالطرق المناسبة كما حدث في تجربة الحزب الشيوعي في السنوات العشر الاخيرة ، والتي اندلعت الثورة الثقافية العظمى من اجل استئصال تلك الجيوب والبؤر وضمان تطور الثورة .

لكي يبنى حزب لينيني حقا في اي بلد من البلدان لا بد من ان تتوفر لذلك الحزب **قيادة مبدعة** تستطيع تطبيق النظرية الماركسية اللينينية

تطبيقا خلاقا على ظروف بلادها ، وتستطيع ان تعطي **الحل الصحيح** ، وبسرعة ، لكل قضايا الساعة سواء السياسية او الاقتصادية او العسكرية او التنظيمية او النظرية . كانت هذه هي الميزة الاولى التي توفرت للحزب البلشفي تحت قيادة لينين وللحزب الشيوعي الصيني تحت قيادة ماوتسي تونغ اما الميزة الثانية ، وهي ضرورة تمتع الحزب بالاستقلالية والاصالة في رسم سياساته وتحديد خطه داخليا وخارجيا وهذه الميزة توفرت للحزب اللينيني تحت قيادة لينين وماوتسي تونغ . بينما افتقدت هذه الميزة ، وافتقدت معها بالتالي الميزة الاولى ، او كانت هي نتيجة افتقاد الميزة الاولى لدى العديد من الاحزاب الشيوعية في فترة الكومنترن ـ الاممية الثالثة ـ وفيما بعد ايضا وحتى الان في كثير من الحالات ، مما كان عاملا اساسيا في خطأ خط ستالين الاممي وفي فشل الاحزاب التي انتهجت خطا ذيليا وراء الاتحاد السوفياتي ، وتخلت عن استقلاليتها واصالتها واستخدام عقولها . حقا كان الوقوف مع الاتحاد السوفياتي يوم كان القلعة الاشتراكية الاولى والدفاع عنه كان موقفا صحيحا .. بل انه لموقف مبدئي بالنسبة لكل الاحزاب الماركسية اللينينية ان تنهج خطا امميا حازما . ولكن الموقف الاممي الثوري الصحيح شيء والذيلية وتأجير العقول شيء آخر ، فان ماوتسي تونغ مثلا شديد الامانة لوحدة الحركة الشيوعية العالمية وللاممية البروليتارية وكان حازما في الوقوف الى جانب الاتحاد السوفياتي والدفاع عنه ، ولكن بدون ذيلية وبدون التخلي عن الاستقلالية . ان التبعية والذيلية غريبتان تماما عن الماركسية اللينينية .. غريبتان تماما عن الاممية البروليتارية .

وهنا يجدر بنا ان نقف عند مسألة المنهج لدى لينين في تطبيقه الخلاق للماركسية ، كما رأيناه في كراسة «ما العمل ؟» طبعا ان المنهج الذي تسلح به لينين هو منهج المادية الديالكتيكية كما وضعه ماركس وانجلز . اي النظر الى العالم كواقع مادي موضوعي وان الوعي انعكاس لهذا الواقع المادي ومن ثم يؤثر فيه ، وان من الممكن معرفة العالم ومن الممكن تغييره ثم النظر الى ان كل الاشياء مترابطة (وحدة الاشياء وترابطها وتفاعلها مع بعضها البعض وتأثيرها المتبادل ، وان العالم في حالة حركة (كل شيء

يتغير ويتطور) وان التغير يتم من خلال تراكمات كمية تصل الى نقطة طفرة فيتم التغير الكيفي ، وان التناقض هو طبيعة الاشياء وهو باطن وهو مصدر الحركة ، وقانون نفي النفي الخ .

ولكن معرفة هذا المنهج شيء ودقة تطبيقه في تحليل ظاهرة معطاة شيء آخر . صحيح ان كل تطبيق ناجح وكل اكتشاف علمي وتغيير للواقع هو تطبيق لهذا المنهج سواء عن وعي او بدون وعي . ومع ذلك تظل مسألة استخدام المنهج الديالكتيكي ، خاصة ، في التطبيق على المجتمع ، مسألة تحتاج الى ملكة خاصة وهي التي يسميها لينين ملكة التقييم الصحيح للوضع السياسي وملكة التقييم الصحيح للحظة الحاسمة ، وملكة اكتشاف الحلقة الرئيسية في كل مرحلة تلك الحلقة التي يؤدي الامساك بها الى الامساك بالسلسلة كلها . مثلا ان كل قائد ماركسي لينيني عندما يحلل يربط بين الاشياء ، بل هو يعلن انه يربط بين الاشياء ديالكتيكيا وانه يستخدم المنهج الديالكتيكي . ولكن ليس كل ربط بين عدة اشياء هو ربط صحيح ، وليس كل تحليل لوضع **ملموس هو تحليل** صحيح ، وما من انسان يطرح شعارا او نظرية الا ويحاول ان يجد لها جذورا على ارض الواقع الملموس ، فاي وضع واية حالة ، خاصة ، بالنسبة للمجتمع ، عبارة عن عدد كبير من التفصيلات والجزئيات وهي كلها تتداخل وتتفاعل بشكل او بآخر في ذلك الوضع او تلك الحالة . لذلك فان اي تحليل سيتناول قسما منها او قد يحشد اجزاء عديدة منها ويحللها ويدرسها ويخرج باستنتاجات ، ومع ذلك تظل امكانات الخطأ كبيرة جدا بحيث قد يبالغ باهمية احد تلك التفصيلات او بعضها ويقلل من قيمة بعضها او اهمال احد العوامل الخ . ومن هنا تظل العقدة الاساسية كيف ينظر الى ذلك الترابط في تلك الحالة ، كيف يحلل ، وكيف تكتشف اهمية هذا العامل وذاك . وهكذا نصل الى استنتاج حاسم وهو ان تطبيق المنهج الديالكتيكي ، خاصة ، في المجتمع ، واخص من ذلك ، في حل مسائل النضال والثورة ، يحتاج الى ملكة خاصة .. ويحتاج الى عبقرية ، او ذكاء شديد ، متمرسين في النضال الثوري وقد شحذتهما التجربة الثورية العملية المباشرة . واكدت جدارتهما نجاحات فعلهما في التطبيق .

واذا عدنا لمنهج لينين ولنأخذ منطق لينين في كراسة «ما العمل ؟» فسوف نلاحظ :

ا ـ **يرى الاشياء كما هي بدون اضافات غريبة** مثلا رؤيته للطبقة العاملة والجماهير ، حيث لم تخدعه عبارات ثورية الطبقة العاملة ، فقد راى الطبقة العاملة ثورية من الناحية الموضوعية ، ورآها غير واعية وفريسة للتخلف والتمزق وفريسة بين مخالب الايديولوجية البرجوازية ، وعرضة للانحطاط ، كما هي مستعدة لتقبل الوعي والتنظيم واجتراح المعجزات .

ب ـ **دراسة كل حالة وتحديد طبيعتها :** فمثلا عندما ناقش مسألة طبيعة منظمة حزب البروليتارية انطلق من تحليل مضمون نشاط الحزب فحدد طابعه وسماته لتأتي وفقا لمضمون نشاطه .

ج ـ **لا يكتفي بوضع المبادىء العامة وانما يضع الحل العملي :** فمثلا عندما تحدث عن توحيد الحزب قال ان الجميع ينادي بضرورة التوحيد ولكن ما هو الحل العملي ، كيف ينجز التوحيد ؟ ما هي الخطوات التي يجب ان تؤخذ . وكذلك حين تحدث عن ضرورة التربية الثورية للطليعة والبروليتارية ، فهو لم يتوقف عند هذه الموضوعة من ناحية عامة وانما انتقل بالمسألة الى الاجابة على سؤال كيف ننجز ذلك وكيف تطبق التربية الثورية. بل ان كراسته كلها هي «ما العمل ؟» و«بم نبدأ؟» اي كانت دائما **وضع خطة عملية .**

د ـ **ضرورة اكتشاف الحلقة الرئيسية :** مثلا التركيز على الجريدة المركزية ، في ظرف معين . التركيز على حديدية التنظيم في ظرف آخر وهكذا .

هـ ـ **ضرورة التفكير في ظروف الزمان والمكان عندما تواجه مسألة تنظيمية ملموسة :** فمثلا في معرض النقاش حول اهمية الجريدة المركزية واهمية الجرائد المحلية والمنطقية ، قال واضح ان هذه كلها ضرورية ولكن يجب التفكير في ظروف الزمان والمكان عندما تواجه مسألة تنظيمية ملموسة . ولهذا استبعد مسألة الجرائد المحلية والمنطقية واستعاض عنها بالنشرات ، وركز على الجريدة المركزية .

و ـ **الالتصاق بنتائج التجربة الملموسة :** فمثلا عندما ناقش عفوية

التنظيم الحرفي او الحركة الجماهيرية العفوية انطلق من النتائج الناجمة عن ممارسة هذا الاشكال على ارض الواقع .

ز ـ «القاعدة الاساسية في الديالكتيك هي انه لا يوجد هنالك شيء يسمى حقيقة مطلقة ان الحقيقة **هي دائما** شيء ملموس» (١) .

ولكن ، لا بد من التشديد ، مرة اخرى على ان معرفة كل ذلك شيء وتطبيقه بصورة صحيحة شيء آخر . وعلينا ان نتذكر دائما ان كل القيادات السيئة والفاشلة وكل الانتهازيين من كل شاكلة وطراز ، كل التحريفيين وكل الانتهازيين «اليساريين» يعلقون يافطات كبيرة انهم ماركسيون لينينيون وانهم يطبقون المنهج الديالكتيكي ، وانهم يعتمدون التحليل الملموس للوقائع ، وانهم يطبقون الماركسية اللينينية تطبيقا خلاقا على الوضع المعطى .. غير انهم يكونون ، في الحقيقة ، يتخبطون خبط عشواء في الميتافيزيقية والجمود او الانتقائية ، ويكونون غارقين حتى آذانهم بالاخطاء «والخطايا» .

ان مسألة تطبيق الماركسية اللينينية تطبيقا خلاقا .. ان مسألة استخدام المنهج الديالكتيكي استخداما صحيحا ، ليست مسألة بسيطة ، فلو كانت كذلك لحلت مشكلة الثورة العالمية منذ زمن بعيد . لذلك على المرء الا يتوهم اذا ربط بين الاشياء مثلا ان الطريقة التي ربط بها جوانب ظاهرة ما او عدة ظواهر انها طريقة صحيحة وانه طبق المنهج الديالكتيكي واحسن استخدامه ، عليه ان يراجع موضوعته ، مرة تلو المرة ، ليتأكد انه لم يغفل جانبا من الجوانب او ظاهرة من الظواهر او انه لم يشدد على جانب او ظاهرة كما يجب او انه شدد على اهمية جانب او ظاهرة تشديدا في غير محله .. طبعا ان الاحتكام يجب ان يكون دائما الى التطبيق العملي ، الى النتائج الناجمة عن انزال تلك الموضوعة الى ميدان الممارسة. وطبعا ان تطبيق الماركسية اللينينية تطبيقا خلاقا ، ان استخدام المنهج الديالكتيكي استخداما صحيحا يحتاج الى درجة عالية من الذكاء والنشاط

---

(١) «خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء» : لينين حول ماركس وانجلز والماركسية ـ ص ١٦٢ .

والتواضع والدراسة والممارسةوالجهد الفردي والجماعي. انها ملكةوموهبة وصفات توفرت حتى الان في قليل من الحالات ، وانعدمت في اغلب الحالات .

لينين وستالين :

عندما انتصرت ثورة اكتوبر بقيادة حزب لينين ، واقيمت دكتاتورية البروليتارية اول دولة اشتراكية في العالم ، دخل حزب البروليتارية ومعه البروليتارية والجماهير الكادحة وضعا جديدا يختلف كيفيا عن الوضع السابق . فقد اصبح الحزب قائدا لدولة واصبحت البروليتارية والجماهير مواطنين في دولة لهم ، كما اصبحت وسائل الانتاج ملكية عامة للمجتمع وغدت الارض لمن يفلحها .

وتطلب هذا الوضع الجديد اعادة تنظيم كل شيء وايجاد صيغ جديدة تتعلق بعلاقة الحزب بالدولة ، وعلاقة الحزب بالبروليتارية وبالجماهير ، وعلاقة الدولة بالجماهير ، كما تطلب الوضع الجديد ايجاد صيغ جديدة لادارة الدولة والانتاج ، كما تطلب ايجاد صيغ جديدة للسياسة الخارجية للدولة وكذلك بالنسبة للخط الاممي للحزب الشيوعي السوفياتي . ويعني هذا ، بكلمات اخرى ، السير في طريق غير مطروقة من قبل ، تقضي باجراء عمل نظري جديد يتعلق بتنظيم الدولة وعملية الانتاج والحزب والجماهير ، وكذلك ارساء تقاليد جديدة للعمل الحزبي وعمل الدولة ودور البروليتارية والجماهير الخ .

شاءت الظروف ان لا يتاح للينين ان يعيش التجربة الجديدة فترة كافية من اجل فتح الطريق الجديد بعبقريته وابداعه المعهودين وتطبيقه الخلاق للنظرية على كل حالة معطاة وعلى كل ظرف جديد . فقد انهمك بادىء ذي بدء في ترسيخ انتصار الثورة ، وسرعان ما انهمك في العمل لصد العدوان الخارجي والثورة المضادة . ثم شغله المرض الذي اقعده الفراش وعطله عن العمل فترة غير قصيرة . وهكذا انبرت الست سنوات ونصف السنة تقريبا في انشغال في حماية الثورة ورد حروب العدوان

الفرض مع فترات متقطعة من العمل المضني في قيادة شؤون الدولة والحزب والبناء الاشتراكي والعمل النظري .

رغم كل ذلك فقد ترك لينين في تلك الفترة مجموعة من الموضوعات في تحسس الطريق الجديد . تصلح لان تكون اساسا ومنطلقا لبناء نظري وتطبيقي ضخم يجيب على كل المسائل التي طرحها الوضع الجديد في كل الميادين . فلنستعرض تلك الموضوعات او الومضات :

شدد لينين في مقالته «بداية عظيمة» ، حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، على ضرورة ان يثبت الشيوعيون **بالاعمال** انهم يعملون كشيوعيين حقا وقال : «يجب ان نتاكد ، في المستقبل ايضا . ان كل من يسمي مشروعه او مؤسسته بالكوميون دون ان **يثبت** من خلال العمل الشاق ، والنجاح العملي في جهد طويل الامد ، انها منظمة على اساس خطوط شيوعية حقيقية . فيجب **اعتباره بهلوانا**» .

ثم تناول في المقالة نفسها ضرورة ان يعمل الشيوعيون على **تطهير** الحزب . اذ كان لا مفر بعد الانتصار والصراع ضد الذين خانوا البروليتارية ان يعلق بالحزب الحاكم مغامرون وعناصر فاسدة شريرة ، ويقول «لا توجد ولن توجد ثورة بدون هذه الظاهرة ... المسالة الرئيسية هي ان يكون الحزب الحاكم قادرا ، بالاعتماد على الطبقة المتقدمة الاصيلة ، على تطهير صفوفه» . ويقول ان التعبئة من اجل الحرب قد ساعدتنا على تطهير الحزب من العناصر الجبانة ومن الانذال الذين هربوا . «ان هذا النقصان الكبير بالاعضاء يعني زيادة قوة الحزب ووزنه زيادة كبيرة جدا» . ثم يطالب بان يقبل الاعضاء الجدد بعد فترة ترشيح ، او تجربة ، لمدة ستة اشهر يعملون خلالها بطريقة ثورية وكذلك يجب ان يطبق هذا على اعضاء الحزب الذين انضموا بعد اكتوبر . «ان التطهير يساعد الحزب على العمل **بطريقة شيوعية اصيلة** ويساعد على **تحسين جهاز الدولة** ويساعد على **كسب الفلاحين** للثورة البروليتارية» .

اما في كراسة (شيوعية «الجناح اليساري» مرض طفولي) ، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠ ، فقد وصف دكتاتورية البروليتارية بانها «نضال مستمر دموي وغير دموي ، عنيف وسلمي ، عسكري واقتصادي ، ثقافي

واداري ضد قوات وتقاليد المجتمع القديم ، وان قوة العادة لدى الملايين وعشرات الملايين هي اصعب قوة . وبدون حزب حديدي تمرس في النضال ، بدون حزب يتمتع بثقة كل ما هو صادق في طبقة معطاة ، وبدون حزب يرصد مزاج الجماهير ويؤثر فيه ، فسيكون من المحال قيادة مثل هذا النضال قيادة ناضجة» . ويطرح في هذه الكراسة ايضا موضوعة تقول «ان الحزب اعلى اشكال تنظيم الطبقة العاملة وهو لا يستحق ان يحمل هذا الاسم حتى يتعلم ان يحول القادة والطبقة العاملة والجماهير الى كل واحد لا يتجزأ» .

ويقول لينين في تلك الكراسة نفسها : «يجب اعادة صياغة المثقفين البرجوازيين وتثقيفهم وتفجير مبادراتهم ، بالروح الشيوعية .. بروح الحزب» . اما بالنسبة للقادة فيتحدث عن ضرورة توفر المعرفة والعلم لديهم ولكن ايضا «ضرورة وجود حس سياسي من اجل **ايجاد حل سريع صحيح** للمسائل السياسية المعقدة» .

وكتب لينين في «ازمة الحزب» ـ كانون الثاني (يناير) ١٩٢١ : «تقول الشيوعية : ان الحزب الشيوعي طليعة البروليتارية يقود جماهير العمال غير الحزبية ويثقف الجماهير ويعلمها ويعدها ويدربها («مدرسة» الشيوعية) مبتدئا بالعمال ثم الفلاحين وذلك من اجل ان يركزوا بايديهم ، في النهاية ، كامل ادارة الاقتصاد الوطني» .

وتحدث لينين في «موضوعات حول المهمات الاساسية للمؤتمر الثاني للاممية الشيوعية» تموز ـ يوليو ـ ١٩٢٠ ، عن ضرورة اقامة علاقة صحيحة بين الحزب وبين الطبقة العاملة والجماهير اذا كان **حقا** طليعة البروليتارية ، واذا كان **حقا** مؤلفا من عناصر واعية ومخلصة تثقفت وتمرست في التجربة النضالية ، اذا ربط نفسه برباط لا ينفصم مع الطبقة **بكل حياتها** ومن خلالها مع الشعب كله ، واذا كسب ثقة البروليتارية والشعب واحترامهما . «ان مثل هذا الحزب فقط ، يستطيع قيادة البروليتارية في المعارك الفاصلة مع البرجوازية ، وبقيادة مثل هذا الحزب، فقط ، تتفجر مبادرات البروليتارية وروحها الهجومية» .

وقال في خطاب القاه «في ذكرى سفرولوف» ١٩١٩ : «ان اعمق

مصدر لانتصارات الثورة يكمن . بالتحديد . في تنظيم ملايين الناس العاملين» . اما في كلمته حول «النضال لتخطي الازمة المتفاقمة» ـ١٩١٩ـ فقد طالب بضرورة : «اثارة بطولة الجماهير وطاقتها وحماستها ومقدرتها وجعلها تركز كل جهودها الثورية على اهم مهمات الساعة» .

وكان في كتاب «الدولة والثورة» سبتمبر ١٩١٧ قد طرح الموضوعة القائلة : «تحت الاشتراكية . فقط . تتفجر حركة جماهيرية متقدمة حقيقية اصيلة سريعة» .

اما في «تقرير اللجنة المركزية لمؤتمر الحزب الشيوعي الروسي الحادي عشر ١٩٢٢» فقد قال لينين : «ان فكرة بناء المجتمع الشيوعي . بصورة شاملة . على يد الشيوعيين هي فكرة طفولية .. وطفولية تماما .. ان الشيوعيين قطرات في محيط .. انهم قطرات في محيط الشعب» .

اما في «كيف ننظم المنافسة» . كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ فقد اعلن «ان احدى اهم المهمات الراهنة اليوم. ان لم يكن اهمها . هو تنمية **المبادرة المستقلة للعمال وكل الكادحين** وكل المستغلين عموما . تنمية واسعة **اوسع ما يمكن** . في عمل **تنظيمي خلاق** . ويجب علينا . باي ثمن . ان نحطم التحامل القديم السخيف الوحشي المقرف الذي يقول ان من ينسمون «بالطبقات العليا» اي الاغنياء . **واولئك الذين ذهبوا الى مدارس الاغنياء** هم وحدهم فقط الاكفاء لادارة الدولة وتوجيه البناء التنظيمي للمجتمع » . ان لينين يسمي هذا تحاملا ظالما وقوة عادة وحشية وانانية .. ثم ينتهي للقول ان العمال لا ينكرون حاجتهم للمعرفة ولكن «ان كل عامل وفلاح قادر على القراءة والكتابة ، ويستطيع ان **يحكم على الناس** ، ولديه **خبرة عملية** هو قادر **على العمل التنظيمي**» ، واخيرا يتحدث عن ذكاء الجماهير ذلك الينبوع الكامن والذي لم يتفجر بعد . ويستشهد بكومونة باريس التي «اظهرت كيف تجمع المبادرة والاستقلالية وحرية العمل والنشاط من اسفل مع **المركزية الطوعية المتحررة من الاشكال البيروقراطية**» .... «**على السوفياتات ان تعمل بشجاعة اكبر وان تظهر مبادرة اعظم**» .

اما في مقالته «حول سبوتنيك موسكو ـ كازان» ١٩٢٠ ، فيدعو

التضحية ونكران الذات والعمل بلا اجر والتخلص من العادة التي تقول «كل شخص يدبر رأسه اما الجميع فالى الشيطان» وارساء عادات جديدة: **«الكل للفرد والفرد في سبيل الكل»** ... **«من كل حسب مقدرته ولكل حسب حاجته»** .. وبكلمات اخرى لقد طالب لينين بتطبيق **الاخلاق والمسلكية الشيوعية في اثناء البناء الاشتراكي** .

وكتب في رسالته «الى الشيوعيين الالمان» ـ آب (اغسطس) ١٩٢١، **«ان تدريب قادة مجربين ومتنفذين للحزب هي مهمة صعبة طويلة ،** اذ بدونهم تكون دكتاتورية البروليتارية (ووجدة ادارتها) عبارة عن كلام» .

واخيرا اذا راجعنا «قرارات المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الروسي» (١) اذار ـ مارس ـ ١٩٢١ ، فسنجد لينين يؤكد على القضايا التالية نجملها باختصار :

١ ـ ان الوحدة والتماسك في الحزب هما الضمانة لثقة اعضاء الحزب ، **والعمل الجماعي الحقيقي الذي يعبر عن الارادة الجماعية للطليعة.**

٢ ـ **ان التكتل مضر وغير مسموح به** لان التكتل يمنع العمل الجماعي ويفتح الطريق للاعداء .

٣ ـ يجب ان يتجه التحريض لكشف اخطار التكتل **وضرورة الاجماع كشرط** اساسي للنجاح .

٤ ـ كل نقد لاخطاء الحزب يجب ان يكتب باختصار **ويبت به فورا ،** كما يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار وضع الحزب محاطا بالاعداء **والصعوبات.** ان تحليل خط الحزب ، وتقييم تجربته ، ومراقبة تنفيذ القرارات ، ودراسة اساليب اصلاح الاخطاء يجب أن تبحث مع **الحزب** مباشرة ، وليس باجتماعات جانبية . ويجب على الحزب اخذ **كل الاجراءات لضمانة** ممارسة النقد .

٥ ـ **التدقيق** في تنفيذ قرارات التطهير **وتصفية** الكتل ، ومقاومة **البيروقراطية ، وتطوير الديمقراطية ومبادرة العمال . ولكن اذ يقاوم النقد**

---

(١) لينين : الاعمال الكاملة ـ المجلد ٣٢ ـ («مسودة القرارات» .. الاعمال المختارة ـ لورانس ووشارت ـ ص ٦٣١-٦٣٤) .

التكتلي غير العملي ؛ يجب علينا الاستمرار . في الوقت نفسه. في **محاربة البيروقراطية .**

٦ ــ ... طرد اي عضو من اعضاء اللجنة المركزية يتم بعقد اجتماع موسع باغلبية الثلثين .

نلاحظ من الاستعراض السابق للموضوعات التي طرحها لينين بعد نجاح ثورة اكتوبر ١٩١٧ :

اولا : طالب لينين بان يعمل الحزب **بطريقة شيوعية** في اثناء البناء الاشتراكي . وارساء عادات وتقاليد جديدة ــ العمل الجماعي . والعمل بدون اجر . والعيش مع الطبقة العاملة والجماهير ومشاركتها حياتها .

ثانيا : طالب باقامة علاقة صحيحة بين الحزب وبين البروليتارية والجماهير .

ثالثا : طالب باطلاق مبادرات الجماهير وتفجير ذكائها وتثقيفها وتدريبها . ومحاربة احتكار السلطة والادارة من قبل الاغنياء او الذين تعلموا بمدارس الاغنياء . وضرورة دفع البروليتارية والجماهير لتسلم زمام السلطة وادارة الاقتصاد الوطني فعلا لا قولا .

رابعا : محاربة البيروقراطية بلا هوادة .

خامسا : اعادة صياغة المثقفين وتربيتهم بالروح الشيوعية .

سادسا : اخذ كل الاجراءات لضمانة ممارسة النقد وتطوير الديمقراطية والمبادرة المستقلة للعمال الى اوسع حد ممكن .

سابعا : ضرورة المحافظة على وحدة الحزب وتماسكه واجماعه وقيادته للثورة ومحاربة التكتلات .

وكما قلنا كانت هذه موضوعات او ومضات في تلمس الطريق الجديد، وكان لا بد من ان تغنى بالتجربة والخبرة ؛ وتكمل لكي تأخذ شكل نظرية متكاملة متماسكة ، تحل مسألة العلاقة بين الحزب وبين الجماهير ؛ بين الحزب وبين الدولة ؛ بين الدولة وبين الجماهير الخ ؛ او بعبارة اخرى ؛ تحل جميع المسائل التي جاءت مع ولادة المجتمع الاشتراكي الجديد ؛ ولكن لينين ، لسوء حظ البشرية كلها ؛ غادر الحياة سريعا بعد ثورة

اكتوبر ، فلم يتح له غير وضع احجار الاساس .

وجاء ستالين من بعده ، وكان مفترضا فيه ان يكمل عمل لينين بروح لينينية خلاقة الا انه لم يكن في مستوى هذه المهمة المعقدة جدا رغم كل صفاته الثورية واخلاصه للماركسية اللينينية .

من يقرأ محاضرة ستالين حول الحزب في «اسس لينينية» يلمس ان ستالين كان شديد الحماسة لافكار لينين . لقد اخذ شكل الحزب اللينيني ولكن لم يستطع ان يتحلى بالمنهج اللينيني في التطبيق والممارسة . واذا ربطنا ذلك باخطائه في تحليل الوضع الدولي ـ مثلا عام ١٩٢٨ ـ عندما اعلن ان الراسمالية وقفت على حافة قبرها وان التناقض الرئيسي الان هو بين البروليتارية والراسمالية وان اي تغيير قادم سيعني الانتقال الى دكتاتورية البروليتارية راسا بدون مرحلة متوسطة ، واعلن ان الاحزاب الديمقراطية الاشتراكية ليست قوى غير ثورية فحسب وليست وسيلة تستخدمها البرجوازية لاحباط الروح الثورية لدى البروليتارية فحسب وانما ايضا ، هي شكل من النظام البرجوازي ، انها شكل من الفاشية الاجتماعية . ولكن عندما عقد المؤتمر العالمي السابع للاممية الشيوعية ١٩٣٥ وثبت لستالين خطأ موضوعته التي فرضها على الاممية الشيوعية سنة ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ ، عاد الى موضوعة جبهة عريضة ضد الفاشية .

لقد صحب الخطأ السياسي عام ١٩٢٨ الصراع ضد بوخارين ، فكان لا بد والحالة هذه من ان يمسك الحزب بقبضة حديدية . ان التنظيم اللينيني لا يمكن ان يتجلى باروع صوره الا اذا كان مقرونا بخط استراتيجي وتكتيكي سياسي صحيح . اما التخبط السياسي وعدم ايجاد الحلول الصحيحة المناسبة لكل المسائل التي يطرحها الوضع المعطى في كل مرحلة .. فلن يسفر الا عن هجران للروح اللينينية الخلاقة . وهذا بدوره قاد ستالين الى :

١ ـ ان يأخذ من الحزب اللينيني شكله .. مركزيته .. ووحدته الحديدية ، ويتخلى عن محتواه الثوري النقدي وبالتالي عدم مقدرته على تطوير الديمقراطية الاشتراكية ومبادرة اعضاء الحزب ، والجماهير ضمن

دكتاتورية البروليتارية .

٢ ـ اختزال دور البروليتارية والجماهير الى قوى تنفذ خط الحزب دون ان تطلق مبادراتها وتوسع ادوارها في ادارة السلطة والاقتصاد .

٣ ـ تحويل احزاب الاممية الشيوعية في الخارج الى صدى لخط الحزب الشيوعي السوفياتي ، وفقدانها لاستقلاليتها ومبادرتها الذاتية .. او بالاحرى ، لقد عاملها ستالين كلجان محلية للجنة مركزية يقف هو على راسها . وهذا بدوره لعب دورا هاما في تخبط غالبية تلك الاحـــزاب محليا وعالميا مع تخبط سياسة ستالين ، وجعلها تبني الحزب اللينيني في بلادها شكلا لا روحا وموضوعا ، وهذا باستثناء الاحزاب الشيوعية ـ مثلا الحزبان الشيوعيان في الصين وفياتنام ـ التي اختلفت مع ستالين اما مباشرة واما بصورة غير مباشرة واعتمدت على عقولها ومبادرتها في تطبيق الماركسية اللينينية تطبيقا خلاقا على ظروف بلادها .

وهكذا ، نستطيع القول ان ستالين لم يتمكن من اكمال عمل لينين فحسب ، وانما ايضا عاد به القهقرى في بعض المجالات ، ولكن علينا الا نفهم ستالين خطأ لئلا يوضع الحب في طاحونة التحريفية والاتجاهـــات الليبرالية التي اتخذت من اخطاء ستالين مسوغـــا للتخلي عن اسس الماركسية اللينينية للتخلي عن المبادىء والاممية البروليتارية . وهذا يتطلب ان ندرك :

اولا : ان ستالين كان مبدئيا في تمسكه بالماركسية اللينينية ودفاعه عنها ضد كل اشكال الانتهازية .

ثانيا : ان ستالين دافع بحزم عن النظام الاشتراكي وحمى البنـــاء التحتي الاشتراكي واسهم في تطويره وقاتل بحزم ضد بقايا الطبقـــات الاستغلالية وضد الغزو الخارجي .

لقد فهم ستالين اللينينية حول الحزب ولكنه انتهى عنـد الحدود التي انتهت اليها ، ولم يستطع ان يطورها لتجيب علـى المسائل الجديدة التي ولدها المجتمع الاشتراكي والبناء الاشتراكي . وبهذا تحولت الاسس اللينينية الى قوالب جامدة وصيغ تجريدية حين لم تطور لتنسجم مـــع

الوضع الملموس الجديد. فمثلا لو دققنا في موضوعات «حول التنظيم»(١) فسنجده يؤكد على ضرورة الخط السياسي الصحيح للحزب كعنصر حاسم للعمل التنظيمي ويطالب بضرورة تطبيق اللينينية تطبيقا خلاقا على كل حالة وعلى كل وضع ملموس . ثم يشخص الصعوبات التي تعترض البناء الاشتراكي وعمل الحزب التنظيمي وينتهي للتأكيد على ان الصعوبات تكمن اساسا «بانفسنا .. بالكوادر القائدة بمنظماتنا بجهـــاز حزبنا ودولتنا ، بالنقابات وبعصبة التبيبة الشيوعية وبكل التنظيمات» (٢) . ثم ينتقـل لتسليط النار على البيروقراطية في الحزب وفي الاجهزة الادارية ، وعلى «الثرثرة الكسولة حول القيادة بصورة عامة بدل قيادة حقيقية ملموسة». ويكشف عن نقص المراقبة المنظمة على تنفيذ القرارات ، والخوف من النقد والنقد الذاتي . وينتقل بعد ذلك الى ابداء ملحوظة ذكية حين يقرر ان تجاوز هذه الصعوبات لا يتم باصدار التعليمات والقرارات : «لقد اصبح البيروقراطيون اساتذة خبراء في فن التظاهر بالاخلاص لقرارات الحزب والحكومة قولا ووضعها بالادراج في التطبيق» (٣) . ولكن ما الحل ؟ وهنا يقترح ستالين : ١ـ وضع حد للفصل بين العمل التنظيمي وبين متطلبات خط الحزب السياسي ، ٢ـ رفع مستوى القيادة التنظيمية في كـــل المجالات ، ٣ـ ضرورة ان يكون التطبيق ترجمة حقيقية لقرارات الحزب وسياساته . كما طالب بضرورة جلب العمال والفلاحين للنضال ضـــد

---

(١) ستالين : «حول التنظيم» ـ باللغة الانكليزية ـ لورانس ووشارت ـ لندن ١٩٤٢ . وهي عبارة عن اربع دراسات «مسائل القيادة التنظيمية» ـ من تقرير ستالين للمؤتمـر السابع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ١٩٣٤ ، و«الكوادر تقرر كل شيء» من خطاب لخريجي اكاديمية الجيش الاحمر ١٩٣٥ ، و«اختيار الكوادر وتعيينها وترفيعها» من تقريره للمؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ١٩٣٩ ، و«حول العمل التطبيقي» عـام ١٩٣٧ ، بالاضافة الى ملحقين احدهما لكاغانوفيتش Kaganovitch وهو «حول المسائـل التنظيمية» ١٩٣٤ ، وتقرير ديمتروف Dimitrov «حول الكادر» ١٩٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٥ .

الصعوبات وتعبئة الحزب ضدها وتطهير الحزب والدولة والجهاز وضرورة ممارسة نقد ذاتي شامل وكشف الاخطاء والنواقص علنا ، « فضح البيروقراطيين والروتينيين وطردهم من اجهزة الادارات» (١) ، ويؤكد على خط لينين بضرورة «اختيار الناس الجيدين ومراقبة تنفيذ القرارات» (٢). ثم ينتقل ويكشف ظاهرة تتعلق بنوعين من الكوادر القائدة التي تعيق العمل : النوع الاول «اولئك الذين قدموا خدمات في الماضي واصبحوا ارستقراطيين واعتبروا ان قرارات الحزب ليست موجهة لهم » (٣) ـ يقصد بعض الشيوعيين القدماء ، وقد تعالى هتاف من قاعة المؤتمر صارخا «اسمعوا .. اسمعوا» . اما النوع الثاني فهو اولئك الذين يشغلون مواقع قيادية ولكنهم غير اكفاء ويغطون عجزهم بكثرة الكلام والثرثرة . ويعود ستالين ليؤكد ان اولئك وهؤلاء يجب تنزيلهم من مواقعهم واعلان ذلك بالصحافة . «يجب اتخاذ هذه الاجراءات لصفع غرور البيروقراطيين «الارستقراطيين» » (٤) (هتاف ، اسمعوا ، اسمعوا) على ان ستالين يرى مفتاح الحل في ضرورة تنظيم مراقبة مستمرة ، لا فصلية، وتعيين خيرة الكوادر المسؤولة للمراقبة .

وعاد في عام ١٩٣٥ في خطابه «الكوادر تقرر كل شيء» ليعلن ضرورة استبدال الشعار القديم «التكنيك يقرر كل شيء» بشعار «الكوادر تقرر كل شيء» ويقول «ان كان لدينا كوادر جيدة عديدة في كل المجالات فستصبح بلادنا لا تقهر» (٥) . كما ويؤكد على ضرورة ان يتمرس الكوادر في العمل التطبيقي .. في مقارعة الصعاب والتغلب عليها (٦) .

اما في «اختيار الكوادر وترفيعها وتعيينها» فيؤكد ضرورة تحسين

---

(١) المصدر السابق ص ٦ .
(٢) المصدر السابق ص ٦ـ٧ .
(٣) المصدر السابق ص ٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٧ .
(٥) المصدر السابق ص ١١ .
(٦) المصدر السابق ص ١١ـ١٢ .

الاختيار والترفيع والتوزيع والتعيين وهذا يتطلب تقييم اهمية الكوادر ومعرفتهم معرفة جيدة ومساعدتهم وتطويرهم وترفيع الكوادر الشابة ووضع كل انسان في المركز الذي يناسب كفاءاته . ويعالج مشكلة النظرة الخاطئة التي تحملها الكوادر القديمة تجاه الكوادر الشابة .. ويطالب بالجمع الخلاق بين الجيلين حتى يكوّنا سيمفونية واحدة . فالكوادر القديمة ذات تجربة نضالية وهي شديدة التمسك بالماركسية اللينينية وتمتلك خبرة عملية ومقدرة تنظيمية ، ولكنها تتناقص بسبب العوامل الفيزيقية (الشيخوخة والتقاعد والموت) كما ان بعضها يفتقر الى الحس لكل جديد ، ويعيش في الماضي . اما العناصر الشابة فهي أقل تجربة وخبرة ووعيا الا انها ١ ـ تشكل الاغلبية، ٢ ـ شابة وغير معرضة للتقاعد، ٣ـ عندها حس مرهف لكل جديد ، ٤ـ تتطور بسرعة وتكسب المعرفة والوعي بسرعة (١) .

اما في بحثه «حول العمل التطبيقي» فيؤكد على ضرورة الجمع بين العمل الاقتصادي والسياسي ثم يكشف عن ظاهرة اخرى وهي ان اختيار العمال والكوادر لا يتم بطريقة موضوعية، وانما بطريقة ذاتية بحيث يقرب ويختار ويعين ويرفّع المحاسيب واولاد البلد والاقارب والمعارف والمنافقين ومنمجدي المسؤولين الخ ويعود ليؤكد ضرورة اجراء مراقبة من اعلى وكذلك مراقبة من تحت بحيث يقوم اعضاء الحزب بانتقاد القيادات في المؤتمرات وابراز اخطائها ونواقصها ، ويطالب بتطبيق حازم للمركزية الديمقراطية بحيث تخضع كل اجهزة الحزب للانتخاب وممارسة حق سحب الثقة ، والاقتراع السري ، وتوسيع حرية النقد والنقد الذاتي . ونادى ستالين بضرورة بعث الحياة في هذه الاجراءات من اجل تسهيل مراقبة قيادات الحزب من جمهرة الاعضاء ، كما طالب بان تقوم الجماهير غير الحزبية بالعمل نفسه بالنسبة لاجهزة المنظمات الجماهيرية (٢) . وشدد ستالين ايضا على ضرورة ممارسة النقد والنقد الذاتي على نطاق شامل ،

---

(١) المصدر السابق ص ١٢ـ١٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١٧ .

وكشف الاخطاء والنواقص ودراستها وتحليلها . ولم ينس ان يؤكد على ضرورة التعلم من الشعب والاستماع لصوته ، وتمتين الصلات بالجماهير وتعميقها . ويشبه علاقة الحزب بالجماهير بعلاقة انتيوس Antaeus في الأسطورة الاغريقية الذي كان لا يقهر بسبب اتصاله بالارض ولكن عندما استطاع هرقل رفعه عن الارض تمكن من صرعه . وهكذا الحزب اذا انتزع من الجماهير اصبح بالامكان صرعه (١) .

يجب ان نلاحظ مما تقدم :

اولا : ان كل هذه الآراء هي افكار لينين حول حزب الكوادر ومقاومة البيروقراطية ، واطلاق مبادرة اعضاء الحزب والجماهير والتعلم من الشعب الخ .. وكان ستالين مخلصا لها وقدم كل ملاحظاته تلك لمؤتمرات الحزب لتنزل الى التطبيق . ولكن ستالين لم يلحظ ان ترجمة تلك المبادىء الى واقع تحتاج الى معالجة جديدة نظريا وعمليا لان الوضع في ظل النظام الاشتراكي اختلف كيفيا عن الوضع في فترة النضال لتسلم السلطة . وسنوضح هذه القضية اكثر عند بحث معالجة ماوتسي تونغ لهذه المسائل والقضايا .

ثانيا : صحيح ان ستالين لاحظ بحسه الثوري خطر البيروقراطية في الحزب والدولة ، ولاحظ ان البيروقراطيين اصبحوا اساتذة خبراء في اخفاء هويتهم وعدم تطبيق القرارات والمبادىء . ولاحظ ان قسما من قيادات الحزب اصبحت ارستقراطية بيروقراطية مكتبية ، ولكنه لم ير هذا الخطر بحجمه الحقيقي . ولم ير ان الصراع ضد الايديولوجية البرجوازية والعادات القديمة يحتاج الى **ثورة** ثقافية تهز الوضع من جذوره وتبني شيئا جديدا يتناسب مع البناء التحتي الاشتراكي . ولم ير ستالين ان هذا الخطر اذا لم يستأصل من جذوره سوف ينمو اكثر فاكثر ويستشري حتى يصل الى حد الانحراف بالثورة كما حدث بعد موته ـ نشوء التحريفية العالمية الجديدة من وسط البيروقراطيين الاساتذة الخبراء في التسلل الى المواقع المسؤولة القيادية وتحريف المبادىء .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ـ١٩ .

عندما توفي ستالين ثم نشأ بعد ذلك خط «جديـــد» في القيادة السوفياتية ـ خط خروتشوف وخط القيادة السوفياتيـــة الحالية .. انكفأ الوضع الى الوراء اكثر فاكثر . فبدلا من ان يؤدي الكشف عن اخطاء ستالين للعودة الى الخط اللينيني والتطبيق اللينيني الخلاق اتخذ النقد شكلا سطحيا جدا . اذ الصقت كل الاخطاء الى مسألة عبادة الفرد وتسلط الفرد . وكان الحل هو ما يسمى بارساء قواعـد «القيادة الجماعية» اي التحويل الشكلي لطريقة عمل القيادة . وبدلا من ان يؤدي كشف اخطاء ستالين الى اطلاق مبادرة اعضاء الحزب والجماهير ، وارساء علاقة ثورية جديدة بين الحزب والدولة وبين الحزب والدولة وبين الجماهير ، اعلـن عن ضرورة توسيع ما يسمى بالديمقراطية والشرعية السوفياتية وكـــان محتوى هذه الخطوة الرجوع الى الديمقراطية الليبرالية ، والسير فـي الطريق الرأسمالي ، وتعميق نفوذ البيروقراطية التكنوقراطية (ليبراليـة بيروقراطية الفنيين والمهندسين والمديرين) . اما في مجال نقد خـــط ستالين في السياسة الخارجية ، فبدلا من العودة الى الاممية الثورية كما ارسى لينين قواعدها وتقاليدها فقد حافظت القيادة السوفياتية على نفوذها وسيطرتها على الاحزاب الشيوعية التي قبلت ان تنقل لهـــا امراض القيادة الجديدة نظريا وسياسيا وعمليا . كما سارت على خط مهادنة الامبريالية العالمية واضعفت حتى الحد الادنى التضامن مع حركات التحرر الوطني والثورة العالمية . واستبدلت الاممية الشيوعية اللينينية بخط التعايش «السلمي» ـ ضمن خط يميني ـ الخ . وبكلمة ، ان نقد ستالين من قبل القيادة السوفياتية الحالية ينطلق من مواقع يمينيـــة ليبرالية ، وليس من مواقع ماركسية لينينية .

اذا كان ستالين قد انقذ البناء التحتي ، واضر في البناء الفوقي فان خروتشوف ومن بعده القادة السوفيات الحاليون قد اضروا بالبناء الفوقي والبناء التحتي معا . لقد اثبتت التجربة السوفياتية وكذلك تجربـــة الديمقراطيات الشعبية في اوروبا الشرقية ـ عدا البانيا ـ اثبتت :

١ ـ ان تأميم وسائل الانتاج والتطور التكنيكي لا يحولان دون نشوء جهاز بيروقراطي وتحويل الحزب الشيوعي الى مؤسسة بيروقراطية قابلة

الى ان تحمل مختلف الامراض بما في ذلك التسلط الفردي وخنق الديمقراطية وكبت مبادرة الجماهير الحزبية واللاحزبية او امراض التحريفية اليمينية والديمقراطية الليبرالية البرجوازية وتمييع ثورية الجماهير الحزبية واللاحزبية .

٢ ـ السلطة والامتيازات تفسد الثوريين . اذا لم يصحب ممارسة السلطة القضاء على الامتيازات ، واطلاق مبادرة الجماهير الحزبية واللاحزبية **فعلا** . لا قولا فقط . والقيام بصراع ايديولوجي وسياسي وثقافي طويل وعنيد وجذري ضد كل عادات وافكار المجتمع القديم وتشريب الجماهير بالمبادىء الماركسية اللينينية وتدريبها على ممارسة المنهج الديالكتيكي في البحث وخلق الضمانات الفعلية لجعل الجماهير والكوادر في وضع يسمح لها بممارسة النقد والرقابة واسقاط اية قيادة تنحرف او تقصر بهذا الشكل او ذاك .

ولكن ، كل هذه الملحوظات لا تحل القضية الاساسية الجوهرية وهي ان تنظيم الحزب اللينيني والنظرية الماركسية اللينينية ، لم يحولا دون بروز سلبيات خطيرة جدا. ولم يحولا دون تقهقر حزب البروليتاريا والنظام الاشتراكي بعد الانتصار ، سواء ظاهرة ستالين واخطائه او ظاهرة التحريفية اليمينية ـ القيادة السوفياتية الحالية ـ او ظاهرة احزاب البروليتارية في عدة بلدان في مرحلة ما قبل انتصار الثورة ايضا .

لا يكفي ان نشخص المرض .. بل يجب ان نعرف طريقة محددة صحيحة لعلاجه . اليس هذا هو الدرس الاساسي الذي يعلمه لينين ؟

لا يكفي ان نقول ان انتصار الثورة واقامة دكتاتورية البروليتاريا بقيادة حزب الطبقة العاملة ، قد احدث تغييرا كيفيا ابرز مجموعة من المسائل التي تتطلب الحل ، اي تتطلب ان يكمل عمل لينين .

بل يجب ان نعرف كيف تحل تلك القضايا وكيف اكمل عمل لينين. وهذا ما ستجيب عليه دراستنا في الفصل القادم عند متابعة الحزب اللينيني عند ماوتسي تونغ . وكيف حل ماوتسي تونغ المسائل التي ولدها النظام الاشتراكي فيما يتعلق بالحزب وعلاقته بالدولة وبالجماهير وعلاقة الجماهير بالحزب والدولة ، اي كيف طور ماوتسي تونغ

اللينينية في مجال الحزب والدولة والحركة الجماهيرية العفوية والبنـاء الاشتراكي .

وبكلمة ، لقد اثبتت التجربة السوفياتية ومعها تجربة كل البلـدان الاشتراكيـــة انه **لا يكفي القيام بثورة في البناء التحتي ـ تغيير العلاقات الانتاجية ـ واقامة دكتاتورية البروليتارية وانما يجب ايضا القيام بثورة اخرى في البناء الفوقي ـ ثورة ثقافية ـ هذه هي الموضوعة التي طور بها ماوتسي تونغ الماركسية اللينينية في مجال بناء الاشتراكية .**

الحزب الشيوعي الصيني قبل الانتصار النهائي

بني الحزب الشيوعي الصيني على اساس حزب بروليتاري من طراز جديد وفقا لسمات الحزب البروليتاري كما حددها لينين . وقد انضم الى الاممية الشيوعية ، ولكن سرعان ما برزت في داخل الحزب اتجاهات متصارعة تزعم احداها ماوتسي تونغ وقد مثل ماوتسي تونغ منذ البداية الاتجاه الصحيح ، بينما تماوجت الاتجاهات الاخرى بين الانحراف اليميني وبين الانتهازية «اليسارية» ، وقد تدخل مندوب الكومنترن (الاممية الشيوعية) لمصلحة بعض تلك الاتجاهات ضد اتجاه ماوتسي تونغ ، ولكن خط ماوتسي تونغ اثبت صحته واستقرت القيادة لهذا الخط نهائيا منذ يناير عام ١٩٣٥ (١) .

---

(١) تخلص الحزب الشيوعي الصيني من القيادة الانتهازية اليمينية في يوليو ـتموزـ ١٩٢٨ (الاعمال المختارة ـ باللغة الانكليزية ـ الجزء الاول ص ١٢٨) . وتخلص من القيادة الانتهازية «اليسارية» في يناير ـكانون الثانيـ ١٩٣٥ واسست لجنة مركزية جديدة برئاسة ماوتسي تونغ (المصدر السابق ص ١٥٥) .

أعطى ماوتسي تونغ اجابات صحيحة لكل المسائل الاستراتيجية والتكتيكية التي واجهت الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني في مختلف مراحل تطور النضال ، فقدم تحليل الطبقات في المجتمع الصيني، ١٩٢٦ ، و«تقرير حول التحقيق في حركة الفلاحين في هيونان» ـ ١٩٢٧، و«تصحيح الافكار الخاطئة في الحزب» ١٩٢٩ ، و«كيف تميز بين الطبقات في المناطق الريفية» ١٩٣٣ ، و«مسائل الاستراتيجية في الحرب الثورية الصينية» ١٩٣٦ ، و«دور الحزب الشيوعي الصيني في الحرب الوطنية» ١٩٣٨ ، و«الثورة الصينية والحزب الشيوعي الصيني» ١٩٣٩ ، و«حول الديمقراطية الجديدة» ١٩٤٠ ، و«مسائل الادب والفن» ١٩٤٢، و«تصحيح اسلوب عمل الحزب» ١٩٤٢ ، و«خط العمل في المناطق المحررة» ١٩٤٥ ، و«اساليب عمل لجان الحزب» ١٩٤٩ . بالاضافة الى عملين فلسفيين رئيسيين «في النشاط العملي» ١٩٣٧ ، و«في التناقض» ١٩٣٧ . فضلا عن مجموعة من الاعمال التي تتناول مسائل حرب الغوار ، وحرب الشعب المتحركة ، والجبهة المتحدة والعلاقة مع الجماهير ، وتعيين المهمات الآنية في كل مرحلة وكل لحظة (١) .

لقد غطت هذه الاعمال كل برنامج عمل الحزب الشيوعي الصيني وتكتيكه في المجالات السياسية والنظرية والاقتصادية والعسكرية والتثقيفية خلال كل فترة النضال حتى اعلان جمهورية الصين الديمقراطية الشعبية . وقد امنت قيادة ماوتسي تونغ المباشرة للحزب منذ عام ١٩٣٥ ، ان يبنى حزبا لينينيا على مستوى عال جدا يتميز بـ :

١ ـ منظمة واحدة مركزية من ثوريين محترفين تتصف بكل سمات الحزب اللينيني من طراز جديد .

٢ ـ خط سياسي (برنامج وتكتيك) صحيح مكن من قيادة النضال بنجاح كما مكن ان يبنى الحزب الشيوعي الصيني على طراز جديد .

٣ ـ خط تنظيمي صحيح يقوم على اساس المركزية الديمقراطية

---

(١) الاعمال المختارة ـ المجلدات الثلاثة ـ الطبعة الانكليزية ـ ١٩٦٧ .

شديد الصلة بالجماهير .

في الواقع اذا راجعنا كتابات ماوتسي تونغ حول الحزب ، ودستور الحزب الشيوعي الصيني (١) كما اقره المؤتمر الوطني السابع للحزب الشيوعي الصيني ١٩٤٥ ، فسنجد ان الحزب لدى ماوتسي تونغ في فترة ما قبل الانتصار لا يخرج مطلقا عن حدود الحزب اللينيني ، وان كان قد اعطى **تشديدا متزايدا** على :

١ ــ ضرورة تخلص عضو الحزب من اخطائه ونواقصه مثل الغرور والبيروقراطية والنظرة الذاتية والعقلية الجامدة المقلدة (٢) .

٢ ــ ضرورة ان يأخذ كل عضو على عاتقه **خدمة الشعب** بكل صدق واخلاص ويقيم علاقات واسعة مع الجماهير وان يستمع بانتباه لصوت الشعب (٣) .

٣ ــ ضرورة ان يكون كل عضو مستعدا **ليتعلم من الجماهير ويعلم الجماهير**، بلا كلل، بالروح الثورية بهدف ايقاظ وعيهم وتطويره ومساعدتها على ان تنظم (٤) .

٤ ــ يجب ان يحذر الحزب باستمرار من **سياسة العزلة** عن الجماهير ويجب ان يعلم ان الذيلية والتأمرية (اصدار الاوامر) ، والباب المغلق والبيروقراطية والعسكريتارية تبعد الحزب عن الجماهير ولهذا يجب تصفيتها بكل حزم (٥) .

لقد شدد ماوتسي تونغ على قضيتين هامتين في مجال موضوعة العفوية والوعي وموضوعة الحزب يمكن ان تعتبرا منذ ذلك الوقت (فترة النضال لتسلم السلطة) بداية تطوير اللينينية وتعميقها حول مفهومين :

الاول : **مسألة دور العامل الذاتي** فقد انطلق ماوتسي تونغ من كل

---

(١) الترجمة الانكليزية ــ دار النشر باللغات الاجنبية ــ بكين ١٩٥٤ .

(٢) ماوتسي تونغ : «صححوا اسلوب عمل الحزب» ــ باللغة الانكليزية ــ بكين ــ ص٢ .

(٣) دستور الحزب الشيوعي الصيني لعام ١٩٤٥ ــ مقدمة الدستور .

(٤) المصدر السابق ــ المقدمة .

(٥) المصدر السابق ــ المقدمة .

الموضوعات اللينينية حول اهمية العامل الذاتـــي (الوعي ـ الحزب ـ النظرية) ، وشدد على اهمية ترسيخ الافكـــار الثورية في الحـــزب والجماهير .. واعطى تشديدا حاسما للصراع الثقافي في كل المجالات (١) ورفع اهمية خط الادب والفن الثوري الى مستوى اهمية الصراع النظري والسياسي بين الايديولوجيات .

الثاني : **مسألة دور حركة الجماهير العفوية** ، انطلق ماوتسي تونغ من المفهوم اللينيني في تقييم حركة الجماهير العفوية من حيث انتهائها الى طريق مسدود بدون توفر حزب طليعي قائد : «اما من الناحية الثانية فان الجماهير اذا كانت نشطة وحدها بدون بمنظمة قائدة قوية تنظم تنظيمـــا مناسبا ، فان نشاطية الجماهير هذه لوحدها لن تدوم طويلا ، او تدفع الى امام بالاتجاه الصحيح ، او ترفع الى مستوى اعلى» (٢) . كما ينطلق من المفهوم اللينيني حول المعجزات التي يمكـــن ان تجترحها الحركـــة الجماهيرية في لحظات الانعطاف التاريخي ـ في الثورات والانتفاضات ، ومن ضرورة التعلم من الشعب . ولكن ماوتسي تونـــغ يطالب الحزب والقيادة ان تأخذ **افكار الجماهير** وتلخصها وتنظرها ثم تعود بها الـــى الجماهير وهكذا دواليك بحركة لولبية صاعدة . « **خذ افكار الجماهـــير ـ وهي افكار مبعثرة وغير منسقة ـ ثم ركّزها ـ حوّل تلك الافكار ، من خلال الدراسة ، الى افكار مركزة ومنسقة ـ ومن ثم عد للجماهير وانشر هذه الافكار واشرحها حتى تعتنقها الجماهير بوصفها افكارها هي . ثـم اندفع بهذه الآراء وحوّلها الى عمل واختبر صحتها من خلال العمل . ثم عد مرة اخرى لتأخذ افكار الجماهير وتركزها من اجل التأكد من تكرسها وتطبيقها .. وهكذا دواليك مرة بعد الاخـــرى بحركة لولبية صاعـــدة لامتناهية**» (٣) . وبكلمة ، لقد استنتج ماوتسي تونغ نظرية **خط الجماهير**

---

(١) ماوتسي تونغ ـ حول «مسائل الادب والفن» ـ (خطابه فـــي لقاء يينان حول الادب والفن ـ ١٩٤٢ يقول فيه : «لا ثورة بدون ادب وفن ثوريين») .

(٢) ماوتسي تونغ : «بعض المسائل المتعلقة بأساليب القيادة» ١٩٤٢ ـ الاعمال المختارة ـ المجلد الثالث ص ١١٨ .

(٣) ماوتسي تونغ : المصدر السابق ص ١١٩ .

(من الجماهير والى الجماهير) .

الحزب في مرحلة ما بعد الانتصار

عرفت الصين بعد تأسيس جمهورية الصين الديمقراطية الشعبية المراحل التالية :

١ ـ مرحلة تعزيز دولة الديمقراطية الجديدة ، وبلغت ذروتها في عام ١٩٥٢ ، في الحملة ضد الشرور الثلاثة ـ الفساد والاسراف والبيروقراطية ـ وضد الشرور الخمسة ـ رشوة مستخدمي الحكومة ، وتجنب دفع الضريبة ، وسرقة املاك الدول ، والخداع في الاتفاقيات الحكومية ، وسرقة معلومات اقتصادية لاهداف خاصة فردية . وكان الهدف من هذه الحملة هو كشف الوجه الحقيقي للعناصر الرجعية من بين البرجوازيين امام الجماهير العريضة .

٢ ـ ودخلت المرحلة الثانية على اساس النضال ضد الشرور الثلاثة والشرور الخمسة وعلى اساس تحقيق التعاونيات الزراعية ، وهي مرحلة التحويل الاشتراكي للصناعة والتجارة الرأسماليتين اي تحويل الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج الى ملكية اشتراكية .

٣ ـ وكانت المرحلة الثالثة هي النضال ضد اليمين البرجوازي عام ١٩٥٧ وقد حطم هذا النضال مشاريع اليمينيين البرجوازيين التي استهدفت اغتصاب قيادة الدولة والاطاحة بدكتاتورية البروليتارية وذلك برفع شعار «الحكم بالتناوب» وبالتالي تأسيس دكتاتورية مضادة للثورة.

٤ ـ واتخذت المرحلة الرابعة شكل تحالف بين اليمين البرجوازي الذي اصبح اشد مكرا ودهاء بعد هزيمته عام ١٩٥٧ وبين الانتهازيين اليمينيين في داخل الحزب ، وذلك باستغلال سنتي الكوارث الطبيعية ، في اوائل الستينات ، لتوجيه ضربة ضد القفزة الكبرى والكومونات الشعبية ، وقد حاولوا القيام بردة كبيرة ، ولكن سرعان ما اندلع النضال ضد اليمين الانتهازي ، واحبطت تلك الردة مما أمن للاقتصاد الاشتراكي والثقافة والتعليم الاشتراكيين تقدما مطردا .

٥ ـ ودخلت المرحلة الخامسة مع النضال من اجل حركة تعليمية

اشتراكية بمبادرة من الحزب عام ١٩٦٣ وامتدت هذه المرحلة حتى اندلاع الثورة الثقافية ١٩٦٦ اي بدء المرحلة السادسة (١) .

لقد صحب هذه المراحل نضال بين خطين في الجبهة الثقافية .. ذلك النضال الذي ترجع جذوره الى حركة التصحيح عام ١٩٤٢ ضد خط وانغ مينغ Wang Ming عسكريا وسياسيا وتنظيميا وكذلك في ميدان الادب والفن («حول الديمقراطية الجديدة» وخطاب ماوتسي تونغ في لقاء يينان حول الادب والفن ١٩٤٢) . وكانت تلك هي مرحله بداية الصراع الحاد بين خطين في الجبهة الثقافية . واستمرت الصراعات في هذه الجبهة الثقافية في مرحلتي بناء الديمقراطية الجديدة والاشتراكية :

١ ــ شنت في ايام (مايو) ١٩٥١ حملة جماهيرية واسعة ضد الثقافة البرجوازية منطلقة من نقد فيلم «حياة وو هسون Wu Hsun

٢ ــ واندلعت حملة جماهيرية جديدة على المستوى الثقافي في ايلول ــ سبتمبر ــ ١٩٥٤ ضد (دراسات في «حلم الغرفة الحمراء») وقيّمت القصة على اساس انها مثالية برجوازية (٢) .

وكان الحزب الشيوعي الصيني على راس كل المراحل والنضالات الجماهيرية المذكورة اعلاه . ولكن ماوتسي تونغ وقف امام تجربة البناء الاشتراكي في الصين ليحلل سلبياتها وايجابياتها ، كما وقف امام تجربة الحركة الشيوعية العالمية في الاربعين سنة الماضية وخاصة تجربة البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي وبلدان الديمقراطيات الشعبية سواء السلبيات التي ظهرت في زمن ستالين او تسلل التحريفية اليمينية الى مواقع القيادة واغتصاب السلطة والانحراف بالثورة الاشتراكية الى اتباع الطريق الراسمالي بمعنى التخلي عن الطريق الاشتراكي والمسلك الشيوعي والثقافة الاشتراكية ، والاممية الشيوعية . وهذه الظاهرة خطرة للغاية لانها تعني نسف مكتسبات الثورة والاطاحة بانتصاراتها فضلا عن خيانة

---

(١) تحديد هذه المراحل منقول عن دراسة «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ــ العدد ٦ ص ١ــ٣ ــ باللغة الانكليزية ــ بكين ــ ١٩٦٦ .

(٢) «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى» ــ العدد الاول ص ٢ــ٤ .

الثورة العالمية ، ومنع اكمال المسيرة البروليتارية الثورية حتى النهاية .

كان من الواضح ان تحويل علاقات الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج الى علاقات اشتراكية واقامة دكتاتورية البروليتارية على الطريقة التي شقتها الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي والديمقراطيات الشعبية، بما في ذلك الصين الشعبية نفسها قد افرزت رغم انتصاراتها في ترسيخ البناء التحتي عدة سلبيات :

اولا : افرزت جهازا بيروقراطيا متعاليا عن الشعب ومنعزلا عن خط الجماهير ، يستشري كالسرطان الى ان يطبق كليا على قيادة الحزب والدولة .

ثانيا : اختزال دور الحركة الجماهيرية وعدم اطلاق مبادرة الجماهير الخلاقة وتسليمها السلطة بتفاعل حي بين الحزب الطليعي القائد وبين الحركة الجماهيرية الثورية .

ثالثا : نشوء طبقة من المثقفين (النخبة) . اذ ان ديمقراطية التعليم ـ مع بقاء مناهج التعليم التعليدية (١) ـ تؤدي عمليا الى افادة ابناء المثقفين فقط من هذه الديمقراطية ، وبالتالي ابعاد ابناء العمال والفلاحين الفقراء عن التحصيل الاكاديمي ، وبالتالي خلق فئة من التكنوقراطيين والمديرين والفنيين والاساتذة ومسؤولي الحزب والدولة متميزة عن الجماهير وتتمتع بالامتيازات وتقرير كل شيء الخ .

رابعا : ان استشراء البيروقراطية وتكوّن فئات حاكمة متميزة وابعاد الجماهير عن مواقع السلطة والتقرير والتأثير يولد كل اشكال المخاطر الحاسمة على جوهر الثورة بالذات ، بما في ذلك ، خطر التحريفية

---

(١) على الرغم من تغيير جوانب كثيرة في محتوى موضوعات الدراسة الا ان مناهج التعليم وطرق تقديمها ونظام الامتحانات وشكلها الاكاديمي التقليدي حال دون الافادة الجماهيرية الواسعة منها ، وابقى لابناء المثقفين ميزة على ابناء العمال والفلاحين الفقراء في مجال استيعاب المواد الدراسية في شكلها الاكاديمي . لقد كشفت الثورة الثقافية في الصين عن هذه الحقيقة ، ومن هنا تقررت اعادة النظر بكل هذه المناهج .. وابتدات مرحلة تجربة جديدة في هذا المضمار .

اليمينية والعودة الى اتباع الطريق الراسمالي .

في الواقع ، كان ماوتسي تونغ متنبها الى هذه السلبيات حتى في عشية الانتصار الشامل للثورة الصينية فقد كتب :

« بعد ان يقضى على الاعداء المسلحين ، فسوف يظل هنالك اعداء بلا بنادق وسوف يكافحون ضدنا بلا هوادة . اما من ناحيتنا فيجب علينا الا نستخف بهؤلاء الاعداء ابدا . واذا لم نفهم الان هذه المسألة على هذه الطريقة فسوف نقترف افدح الاخطاء» (١) .

وهذا يفسر ايضا لماذا شن الحزب الشيوعي بقيادة ماوتسي تونغ نضالا مستمرا ضد البيروقراطية والايديولوجية البرجوازية من اجل الحيلولة دون تسلل العناصر الانتهازية ـ الاعداء بلا بنادق ـ الى مواقع السلطة . ولكن تجربة الاتحاد السوفياتي بعد موت ستالين واتضاح خط التحريفية قد نبه ماوتسي تونغ الى ان تلك الاجراءات والنضالات غير كافية ، وان ثمة امكانية دائمة لتسلل الانتهازية اليمينية الى مواقع السلطة واغتصابها من الطبقة العاملة والجماهير ، اي ثمة امكانية لان يؤول مصير الثورة الصينية الى ما آل اليه مصير الثورة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي (٢) .

دفع ماوتسي تونغ موضوعات جديدة هامة في كراسته «حول الحل الصحيح للتناقضات داخل صفوف الشعب» في ٢٧ شباط (فبراير) ١٩٥٧ ، و«خطاب في الكونفرنس الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول

---

(١) ماوتسي تونغ : «تقرير الى الاجتماع الموسع الثاني للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني» ـ ٥ اذار ـ مارس ـ ١٩٤٩ . الاعمال المختارة ـ المجلد الرابع ص ٣٦٤ .

(٢) قال ماوتسي تونغ : (قد لا يمضي وقت طويل ... قبل ان تحصل عودة مضادة للثورة ، بصورة حتمية ، على النطاق الوطني ، وسوف يصبح الحزب الماركسي اللينيني، بلا شك ، حزبا تحريفيا او حزبا فاشيا ، وسوف يتغير لون الصين كلها» . (من كراسة «نصر عظيم للخط الثوري الذي وضعه ماوتسي تونغ» ـ باللغة الانكليزية ـ بكين ـ ص٤٠) وهذه الفقرة مأخوذة من (حول «شيوعية» خروتشوف المسوخة ودروسها التاريخية للعالم) بكين ١٩٦٤ ص ٧٢ .

عمل الدعاية» في ١٢ آذار (مارس) ١٩٥٧ ، وقد لخص في هاتين الكراستين تجربة الصراع الطبقي والثقافي في مرحلة البناء الاشتراكي وطور بهما الماركسية اللينينية في مجال اكتشاف قوانين بناء الاشتراكية.

لقد طرح في كراسة حول «الحل الصحيح للتناقضات داخل صفوف الشعب» الموضوعة التالية :

«على الرغم من ان التحويل الاشتراكي الرئيسي في الصين قد اكمل فيما يتعلق بنظام الملكية ، وعلى الرغم من ان نضالات الجماهير الطبقية ذات النطاق الواسع والصدامات التي تميزت بها الفترات الثورية الماضية قد انتهت ، الا ان ما زال هنالك بقايا من الطبقات الكومبرادورية وملاك الاراضي ، وما زال هنالك برجوازيون كما ان اعادة صياغة البرجوازية الصغيرة قد ابتدأ فقط . لذا فان **الصراع الطبقي لم ينته بأي شكل من الاشكال** ، الصراع الطبقي بين البروليتارية والبرجوازية .. **الصراع الطبقي بين مختلف القوى السياسية** ، وسيستمر الصراع الطبقي في المجال الايديولوجي بين البروليتارية وبين البرجوازية الى **امد طويل** وسيكون **ضاريا** ، وقد يصل في بعض الاحيان الى درجة شديدة الحدة جدا . ان البروليتارية تسعى لتغيير العالم وفقا لمفهومها الخاص عن العالم، وكذلك تفعل البرجوازية . ان مسألة من سينتصر ، في هذا المجال ، الاشتراكية ام الراسمالية ، لم «تحل فعلا بعد» (١) .

ويقول في البحث نفسه :

«سوف نحتاج في بلادنا لوقت طويل جدا من اجل ان تقرر المسألة في الصراع الايديولوجي بين الاشتراكية والراسمالية . اما السبب في ذلك فيرجع الى ان تأثير البرجوازيين والمثقفين المنحدرين من المجتمع القديم سوف يبقى في بلادنا لوقت طويل قادم ، وكذلك هو الحال بالنسبة لايديولوجيتهم الطبقية . فاذا لم تفهم هذه المسألة فهما صحيحا ، او اذا لم تفهم مطلقا فسيؤدي ذلك الى اقتراف افدح الاخطاء ، وسوف تتجاهل

---

(١) ماوتسي تونغ : كراسة «الحل الصحيح للتناقضات داخل صفوف الشعب» ص ٥١-٥٢ (كذلك الكتاب الاحمر باللغة الانكليزية ص ١٧-١٨) .

ضرورة شن النضال في الميدان الايديولوجي» (١) .

اما في خطابه في الكونفرنس الوطني ١٩٥٧ فقد قال :

«لقد فزنا بالنصر الاساسي في تحويل ملكية وسائل الانتاج **ولكننا لم نفز بعد بنصر كامل في الجبهات السياسية والايديولوجية** . ان مسألة من سينتصر في الميدان الايديولوجي في الصراع بين البروليتارية وبين البرجوازية لم يبت به فعلا بعد. اذ ما زال علينا ان نشن **نضالا طويل الامد** ضد ايديولوجية البرجوازية الصغيرة . ويجب ان نخضع للنقد **كل الافكار الخاطئة وكل الاعشاب السامة وكل الاشباح وكل الوحوش** ، ولا يجوز باي حال من الاحوال ان يسمح لها ان تنتشر بلا رادع . بيد ان من الضروري ان يكـــون النقد **عقلانيا ومقنعا ومبنيا على التحليل وليس نقدا جامدا** ميتافيزيقيا بيروقراطيا جلفا » .

يمكن ايجاز موضوعات الرفيق ماوتسي تونغ في الفقرات السابقة:

أ ــ بعد اكمال تحويل الملكية الراسمالية لوسائل الانتاج ، يستمـر النضال الطبقي لامد طويل جدا في المجال السياسي والايديولوجي .

ب ــ ضرورة فهم هذا القانون والعمل بلا هوادة بناء على هديه ، والا حدثت اخطاء ومخاطر فادحة جدا .

ج ــ يجب فتح نقد شامل لا هوادة فيه ضد كل مظاهر الايديولوجية البرجوازية سواء البيروقراطية او الانانية او الافكار الخاطئة او المسلكية او الاخلاقية الخ .

د ــ يجب ان يكون النقد عقلانيا تحليليا ومقنعا وليس جامـــــدا ميتافيزيقيا بيروقراطيا جلفا .

ان ماوتسي تونغ خرج هنا بقانون يتعلق بالبنـــاء **الاشتراكي وهو ضرورة اكمال الثورة في البناء التحتي بثورة في البناء الفوقي . كما انه راى تحقيق ذلك عن طريق الجماهير والكوادر وليس باجراءات وقرارات تصدر من فوق .**

---

(١) المصدر السابق ص ٥٢ـ٥٣ (الكتاب الاحمر ص ١٨ـ١٩) .

(٢) الكراسة ص ٢٦ـ٢٧ (الكتاب الاحمر ص ١٩ـ٢٠) .

واذا دققنا بهذه الموضوعة اكثر فسنجد الفرق الاساسي بين ماوتسي تونغ وبين ستالين .. اذ اعتمد الاخير في مواجهة السلبيات التي تنشأ خلال البناء الاشتراكي على محاربتها من فوق ، وبصورة رئيسية من خلال المراقبة من اعلى ، رغم انه طالب بان تكون المراقبة من تحت ايضا ولكنه قصرها على اعضاء الحزب اولا دون ان يقيم ضمانات ملموسة لترجمة هذه المراقبة عمليا ، ثم لم يلجأ الى الجماهير لتثويرها وتحريكها ضد هذه السلبيات ومن اجل ايجاد ضمانات دائمة تحولدون البيروقراطية ومن ثم التحريفية . في حين اعتمد ماوتسي تونغ على كشف قانون الصراع في اثناء البناء الاشتراكي ، وعلى التحديد ، بعد ارساء القاعدة المادية للاشتراكية ، ثم سلم مشعل هذا الوعي لكوادر الحزب واعضائه وللجماهير الثورية وشجعها واطلقها لتعالج قضايا البناء الاشتراكي . وهكذا بدأت حملة تعبئة واسعة للجماهير ولاعضاء الحزب بعد عام ١٩٥٧ انطلاقا من هذه الموضوعة . فالصراع اذن ، في هذه المرحلة ولامد طويل ، هو صراع بين الثقافة والسياسة والايديولوجية البروليتارية وبين الثقافة والسياسة والايديولوجية البرجوازية . وقد اوضح ماوتسي تونغ ان كل طبقة تحاول تغيير العالم حسب مفهومها عن العالم ، ولهذا اذا لم تسيطر البروليتارية على الجانب الثقافي فستفعل ذلك البرجوازية، او بالاحرى ان البرجوازية مسيطرة فعلا في كثير من المجالات .

وهنا علينا ان نلاحظ انه بالرغم من انتصار الثورة الاشتراكية في تغيير اسس البناء التحتي :

١ ــ ان بقايا البرجوازية تبقى قوية نسبيا وواسعة نسبيا .

٢ ــ ان عدد المثقفين البرجوازيين سيبقى كبيرا جدا .

٣ ــ ان تأثير الايديولوجية البرجوازية سيبقى قويا الى امد غير قصير بسبب جذورها التاريخية ، وبسبب التراث البرجوازي الضخم في كل مجالات الثقافة . وبسبب امكانية استغلال الصعوبات التي تواجه البناء الاشتراكي .

٤ ــ تطور اساليب البرجوازية في مقاومة البناء الاشتراكي والتحول التدريجي الى الشيوعية ، بحيث اصبحت اكثر خبثا ومكرا ودهاء .

٥ ــ نتيجة الفروق التاريخية بين العمل الفكري وبين العمل اليدوي، ونتيجة الفروق بين العمل الاداري وبين المنتجين .. ونتيجة للتخلف العام بين الجماهير الكادحة من ناحية التكنيك والادارة والوعي .. كل ذلك يعطي ارضا خصبة لنمو البيروقراطية وتشكيل طبقة حاكمة ذات امتيازات، وبالتالي سرقة التحريفية اليمينية للسلطة .

٦ ــ تحول الثوريين الى رجال حكم ومديرين يساعد على افسادهم. فالسلطة اذا لم تمارس بروح ثورية عالية وبرقابة حزبية وجماهيرية مباشرة ويقظة ، فسوف تتحول الى مستنقع يفسخ الثوريين ويحولهم الى اعداء للشعب .

لكل ذلك حذر ماوتسي تونغ من ابتلاع البارود البرجوازي المعسل، وطالب بضرورة اليقظة ، والاستعداد ، والنضال النشط لاجتثاث كل ما هو برجوازي وترسيخ كل ما هو بروليتاري .

وكان من الطبيعي ان يحتل الادب والفن مكانا بارزا في هذا الصراع الايديولوجي والثقافي ، اذ من الممكن ان يجرع الشعب البارود البرجوازي المعسل من خلال الادب والفن ، كما ان من الممكن ان يكون الادب والفن والنقد سلاحا ماضيا بيد الجماهير في صراعها ضد الثقافة البرجوازية. ولهذا طلب الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماوتسي تونغ ان يحطم احتكار الادب والفن والنقد ، ودعا الجماهير لممارسة الكتابة على نطاق واسع وفي كل المجالات الفلسفية والادبية والفنية والنقدية . وخرجت عدة اعمال فلسفية وادبية وفنية من عمال وفلاحين بسطاء ، وانتشرت جرائد الحائط واليافطات الخ .

ولكن يبقى السؤال : اذا كان الصراع الطبقي مستمرا ، وخاصة في المجال الايديولوجي والثقافي واذا كان من الضروري خوض هذا الصراع بعيدا عن الاساليب البيروقراطية والميتافيزيقية والجامدة ، فما العمل ؟

ا ــ توعية الجماهير وكوادر الحزب واعضائه بالخطر وتحديد الهدف المباشر للصراع ، وهو اتمام الثورة الاشتراكية في الجبهات السياسية والثقافية .

ب ــ الجراة على استنهاض الجماهير وجعلها تقول كلمتها وتأخذ

زمام الامر بيدها وهي مسلحة بافكار ماوتسي تونغ التي هي الماركسية اللينينية في اعلى مراحل تطورها .

جـ ـ اسقاط «الحصانة» عن اي قائد او لجنة مسؤولة سواء في الحزب او الدولة او الجيش او المشاريع الاقتصادية او مؤسسات التعليم والثقافة ، اذا لم يثبت بالاعمال انه ، او انها ، في صف الايديولوجية البروليتارية في صف الخط الصحيح قولا وعملا .

د ـ لكي يستطيع الحزب ان يبقى طليعة الجماهير وقائدها فعليه ان يتبنى خط الجماهير ويمتلك الجراة على استنهاضها واطلاقها ، كما عليه ان يتخلص من كل ما علق به من عناصر انتهازية ويمينية وبيروقراطية تتبع الطريق الرأسمالي .

يقول ماوتسي تونغ: «يجب ان يعرف سياستنا ليس القادة والكوادر فحسب ، وانما ايضا ، الجماهير العريضة ، وما ان تعرف الجماهير الحقيقة ، ويكون لها هدف مشترك فسوف تعمل جماعيا وبقلب واحد ، وعندما تصبح الجماهير بقلب واحد فسيصبح كل شيء سهلا» (١) .

وكان ماوتسي تونغ قد كتب في كراسة «تصحيح اسلوب عمل الحزب » ١٩٤٢ :

«يجب على الشيوعيين دائما وابدا ان يطرحوا امام اي شيء اسئلة **لماذا ؟ وكيف ؟** يجب ان يستعملوا عقولهم وان يفكروا بتمعن عما اذا كان هذا الراي او ذاك ينطبق على الواقع ، وهل هو قائم على اساس حقيقي، ويجب عليهم الا يتبعوا باي حال من الاحوال شيئا على العمى او يشجعوا التبعية» (٢) .

ويقول : «ان القيادة الخاطئة التي تجلب الضرر على الثورة يجب الا تقبل بلا قيد او شرط ، ويجب ان تقاوم بحزم ايضا» (٣) .

عندما جاء شهر ايار (مايو) ١٩٦٦ كانت حملة التوعية وتفتيح العيون

---

(١) كراسة «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ـ العدد ٧ ـ ص ٩ .

(٢) الاعمال المختارة ـ الطبعة الانكليزية ، بكين ١٩٦٥ ، المجلد ٣ ص ٣٩ـ٥٠ .

(٣) كراسة : «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ـ العدد ٩ ص ٨ .

وحك العقول وتجريء الجماهير وكوادر الحزب وتشريبها بافكار ماوتسي تونغ ، خاصة ، فيما يتعلق باستمرار الصراع الطبقي في الميدان السياسي والثقافي والايديولوجي ، وضرورة انتصار الثورة الاشتراكية في الصراع بين الايديولوجية البروليتارية وبين الايديولوجية البرجوازية ... عندما جاء شهر ايار ١٩٦٦ كانت تلك الحملة قد وصلت ذروتها ، مما جعل الصراع في الميدان الثقافي يصل ذروته هو الاخر بمعنى تحرك البيروقراطية والعناصر التقليدية اليمينية في قيادة الحزب الشيوعي والدولة لاحباط الثورة الثقافية وتحرك الجماهير ، لانها شعرت ان خط ماوتسي تونغ الجديد الهادف تأجيج الصراع الطبقي في الميدان السياسي والثقافي وتوعية الجماهير وتحريكها واستنهاضها سيعني احداث ثورة في البناء الفوقي اي في جهاز الحزب والدولة والجيش والادارات الاقتصادية سيعني خنق الايديولوجية البرجوازية ، وزعزعة مواقع البيروقراطية ، ونبتات التحريفية اليمينية ، سيعني ترسيخ كل ما هو بروليتاري في مختلف الميادين تحت ظل دكتاتورية البروليتارية التي يجب ان تحمى بثورة ثقافية جذرية ، واطلاق الحركة الجماهيرية الثورية وجعل الحزب يعود الى مواقعه الاساسية كطليعة قائدة حقا ، كحزب يتبنى خط الجماهير «من الجماهير والى الجماهير» كل ذلك من اجل اقامة ضمانات حقيقية ملموسة تحول دون تسلل التحريفية اليمينية، في غفلة من الحزب والجماهير، الى السيطرة على دكتاتورية البروليتارية وعلى قيادة الحزب ومن ثم الانحراف عن جوهر الاشتراكية .

لنقف عند «تعميم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني» (١) الصادر في ١٦ ايار (مايو) ١٩٦٦ ، والذي اعطى الخطوط العامة للوضع في تلك الفترة ، والذي صدر بضغط مباشر واشراف مباشر من ماوتسي تونغ ، والذي كان الشرارة التي صعّدت الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى ، وادخلتها مرحلة جديدة .

---

(١) جون روبنسون Joan Robinson : «الثورة الثقافية في الصين» ـ باللغة الانكليزية ـ بليكان ـ وثائق الثورة الثقافية ص ٧١ـ٨٠ .

كان النضال من اجل ثورة ثقافية قد اخذ يتسع في عام ١٩٦٥ ليشمل كل مناحي الحياة ، وقد تركز هذا النضال في اوائل ١٩٦٦ حول طبيعة الفن والادب في المجتمع الاشتراكي وكانت اللجنة المركزية قد كلفت خمسة اشخاص قياديين من اللجنة المركزية والمكتب السياسي لوضع التقرير حول هذا الحوار . وقدمت مجموعة الخمسة اشخاص تقريرها في شباط ١٩٦٦ ، رغم ان الذي كتب التقرير هو بينغ تشن عضو المكتب السياسي وعمدة بلدية بكين . وجاء التقرير منافيا لروح الثورة الثقافية، ومحاولة للانحراف بها ، وتشويه خط ماوتسي تونغ .. لهذا صدر تعميم ايار ١٩٦٦ باشراف ماوتسي تونغ يكشف للكوادر والجماهير حدة الصراع الايديولوجي بين خطين في داخل اللجنة المركزية والمكتب السياسي . تناول التعميم اخطاء التقرير مع ذكر اسم بنغ تشن واعلن حل اللجنة واوضح الخطوط التالية :

اولا : اخفى التقرير طبيعة الصراع بين خطين .. بين ايديولوجيتين، وخلط بين الموقف البروليتاري والموقف البرجوازي : «وبدلا من ان يشجع بجراة كل الحزب لاستنهاض الجماهير العريضة من العمال والفلاحين والجنود وكل المقاتلين من اجل ثقافة بروليتارية لكي يستطيعوا شق طريقهم الى امام ، فقد بذل التقرير كل جهده للانحراف بالحركة الى اليمين » ... « انه تجاهل الصراع الطبقي الحاد الذي يأخذ مجراه الان في الجبهة الايديولوجية والثقافية» (١) .

ثانيا : «ان التقرير يخرج على الموضوعة الماركسية الاساسية القائلة ان كل صراع طبقي هو صراع سياسي» . ان ماوتسي تونغ قد كرر مرارا «ان النضال الايديولوجي ضد البرجوازيين هو صراع طبقي طويل الامد ، ولا يمكن حله من خلال الخروج بقرارات سياسية متسرعة» (٢) .

ثالثا : حاول التقرير ان يتلاعب بشعار ماوتسي تونغ «الانفتاح الواسع» ــ ١٩٥٧ ــ بنزع هذا الشعار من محتواه الطبقي اذ ان ماوتسي

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٢ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٣ .

تونغ عندما اعلن هذا الشعار اعلن «ان علينا شن نضال طويل الامد ضد الايديولوجية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة» (١) . كما ان ماوتسي‌تونغ قال ايضا : «ان **الانفتاح الواسع** يعني **افساح المجال لكل الشعب ان يعبر عن رأيه بحرية وذلك من اجل ان يجرؤ على التكلم ويجرؤ على ان ينتقد ويجرؤ على ان يناقش** ...» . ان التقرير حاول ان يفسر «الانفتاح الواسع» بانه ليبرالية برجوازية اي السماح للبرجوازيين بالانفتاح الواسع مع عدم السماح للبروليتارية بالانفتاح الواسع والرد على البرجوازيين(٢).

رابعا : عندما بدأت البروليتارية ترد في الصراع الايديولوجي والثقافي ، رفع التقرير شعار «الكل متساوون امام الحقيقة» ان هذا الشعار شعار برجوازي لانه «ينفي كليا الطبيعة الطبقية للحقيقة» . اذ لا مساواة بين الحقيقة الماركسية وبين الهرطقات البرجوازية .. اما ان تنتصر الريح‌الشرقية(البروليتارية) واما ان‌تنتصر الريح الغربية(الراسمالية) ولا يوجد هنالك مساواة مطلقا بينهما (٣) .

خامسا : حاول التقرير ان ينقل الصراع الى ضرورة تخطي البرجوازية والحاق الهزيمة بها من خلال الارتفاع بالمستويات الفنية والاكاديمية ، وهذا بدوره يعطي البرجوازية مكانة عالية ويتنكر للثقافة البروليتارية ولدور الجماهير .. يتنكر للماركسية اللينينية ولافكار ماوتسي تونغ ، ولا يضع خطا طبقيا فاصلا في المسائل الاكاديمية ايضا(٤).

سادسا : اوضح الرئيس ماوتسي تونغ ان ما من بناء بدون هدم ، وان الهدم يعني النقد والنبذ ، انه يعني الثورة .. وهو يتضمن تحليل الاشياء عقلانيا وهذا عمل بناء ، ولكن يأتي الهدم اولا ، وتقوم عملية البناء في اثناء مجرى عملية الهدم . اما التقرير فيطالب بالبناء اولا ثم الهدم

---

(١) راجع الفقرة في خطاب ماوتسي تونغ في «الكونفرنس الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول الدعاية» .

(٢) المصدر السابق ـ الوثائق ـ ص ٧٣-٧٤ .

(٣) المصدر السابق ـ الوثائق ـ ص ٧٤-٧٥ .

(٤) المصدر السابق ـ الوثائق ـ ص ٧٥ .

وهذا يعني عدم تحقيق الاثنين . ان الماركسية اللينينية وافكار ماوتسي تونغ قامت على اساس هدم الايديولوجية البرجوازية وتطورت ونمت عبر هدمها (١) .

سابعا : يطالب التقرير بان لا تسلك البروليتارية مسلكا ثقافيا «طاغيا» ! ان هذا يعني ان على البروليتارية الا تمارس دكتاتوريتها وتكتسح الايديولوجية البرجوازية .. والسؤال ، الا يتوجب على عمل البروليتارية الاكاديمي ان يسيطر على العمل الاكاديمي البرجوازي ويجتثه ؟ واذا تمت هذه السيطرة وذاك الاجتثاث فهل يسمى هذا العمل «طغيانا» ؟؟ وبكلمة ان هدف التقرير هو الهجوم على اليسار البروليتاري (٢) .

ثامنا : ينادي التقرير بشن «حملة تصحيح» ضد تحرك الجماهير والكوادر ، وهو يستهدف من ذلك كبت تحرك اليسار البروليتاري، واخماد الروح الثورية البروليتارية (٣) .

تاسعا : في الوقت الذي انطلق النضال البروليتاري ضد ممثلي البرجوازية في الجبهة الثقافية .. في الوقت الذي ما زال فيه هذا النضال في اوله ولم يتسع ليشمل كل قطاعات الجماهير ويحركها ويستنهضها ، في هذا الوقت يطالب التقرير ، مرة بعد مرة ، بضرورة ان يجري النضال «ضمن توجيه» و«بحكمة» و«بحذر» و«بموافقة» الهيئات القائدة المعنية» .. «ان هذا كله يعني وضع القيود على تحرك اليسار البروليتاري ، وفرض محرمات ووصايا لتكبيل ايدي الجماهير ، ووضع كل العراقيل في طريق الثورة الثقافية البروليتارية» ، ويرمي التقرير الى استنكار تحرك الجماهير ضد «السلطات» البرجوازية وينفث سموم الحقد ضد الذين نشروا آراءهم ضد هذه السلطات ، ويطلق يد الاشباح والوحوش التي تسللت عميقا في كل اجهزة الاعلام والثقافة

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٥-٧٦ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٦

(٣) المصدر السابق : ص ٧٧ .

لتكبح تحرك الجماهير الثورية (١) .

عاشرا : ويحاول التقرير التملق بقوله «يجب فتح الطريق لحل هذه المسألة تحت قيادة الرفيق ماوتسي تونغ» ولكن الرفيق ماوتسي تونغ فتح الطريق لهذا النضال منذ زمن طويل في «حول الديمقراطيـــة الجديدة» و«حوار في لقاء يينان حول الادب والفن» و«رسالة الى مسرح يينان بكين» و«حول الحل الصحيح للتناقضات داخل صفوف الشعب» و«خطاب في الكونفرنس الوطني للحزب الشيوعي الصيني حول عمل الدعاية» وبكلمة ان التقرير يعارض المضي بالثورة الثقافية حتى النهاية ، ويعارض خط الثورة الثقافية كما اقرته اللجنة المركزية برئاسة ماوتسي تونغ (٢) .

واخيرا يؤكد التعميم ان التقرير المذكـــور يعكس الايديولوجيـــة البرجوازية في الحزب وهي تحريفية بكل معنى الكلمة .. ولا يجـوز ان يعتبر مسألة ثانوية . لذا فان النضال ضد هذا الخطر التحريفي هو مسألة على غاية كبرى من الاهمية .. وهو ذو تأثير حاسم على مصير الحـــزب والدولة ومستقبلهما وعلى مصير الحزب والدولة والثورة العالمية مستقبلا. ثم يدعو التعميم للحذر من تسلل خروتشوف اخر الى قيادة الحـــزب الشيوعي الصيني . ويلمح التقرير عن وجود امثال خروتشوف في قيادة الحزب ، ويطالب من كل منظمات الحزب ان تركز الاهتمام على هـــذه المسألـة .

وتختتم اللجنة المركزية تعميمها بطلب **انزال هذا التعميم ومعه تقرير مجموعة الخمسة اشخاص المذكور لكل منظمات الحزب وقواعده ولكـل المنظمات الثقافية وقواعدها ولكوادر الجيش والجنود لمناقشـة الوثيقتين وتحديد اي من الوثيقتين هو الصحيح واي منهما الخطأ (١)** .

يتضح من قراءة هذا التعميم ان ثمة خطين متعارضين في قيـادة الحزب الشيوعي الصيني احدهما يمثله ماوتسي تونغ ، والاخر يعبر عن

---

(١) المصدر السابق : ص ٧٧–٧٨ .

(٢) المصدر السابق : ص ٧٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٧٩–٧٠ .

نواة التحريفية (١) في الصين ، ويعطي الاشارة الى ان مصير الصين قد يؤول الى ما آل اليه مصير الاتحاد السوفياتي .

كان باستطاعة ماوتسي تونغ ان يصفي هذا الاتجاه من خلال صراع فوقي في قيادة الحزب واللجنة المركزية ، ولكنه ادرك ان ذلك يحل المشكلة مؤقتا ، ولا يقيم ضمانا دائما لعدم تسلل التحريفية في غفلة من الحزب والجماهير ، ومن ثم قفزها على السلطة في الوقت المناسب . اي لم يشأ ان يكرر خطأ اسلوب ستالين في معالجة المعركة ضد الانتهازية . لذلك قرر ان يضع القضية بيد كل كوادر الحزب واعضائه ، وبيد كل المنظمات الجماهيرية وكوادرها واعضائها ، وبيد كل الجماهير ــ العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الثوريين .

يجب تنفيذ الثورة الثقافية البروليتارية من خلال ايقاظ اوسع الجماهير واستنهاضها ، وتطوير الحركة الجماهيرية الثورية .

قال ماوتسي تونغ «الحرب الثورية هي حرب الجماهير ولا يمكن شنها الا بتعبئة الجماهير والاعتماد عليها» وهذا ينطبق على كل قضية ثورية كما ينطبق على الثورة الثقافية «بدون حركة جماهيرية لا يمكن ان تكون ثمة حركة بروليتارية ــ لينين ــ» وكذلك بدون حركة جماهيرية لا يمكن ان تكون هنالك ثورة ثقافية بروليتارية» (٢) .

وهكذا اخذ تحرك الثورة الثقافية يتخذ شكلا جماهيريا شاملا ويهز المجتمع الاشتراكي في الصين هزا من الجذور . ومع اندلاع الثورة الثقافية .. ومع انطلاقة الحركة الجماهيرية الجبارة تحركت البيروقراطية لكبت الجماهير ، ولكن المعركة استمرت على شكل اجتماعات جماهيرية وكتابة شعارات كبيرة . ولما عاد ماوتسي تونغ في نهاية تموز(يوليو) ١٩٦٦ الى بكين والتقى باللجنة المركزية كان الصراع على اشده في داخل

---

(١) تبين فيما بعد ان ليو شاوتشي رئيس الجمهورية يقف على رأس الخط التحريفي مع قبضة من القادة في المكتب السياسي واللجنة المركزية والحكومة .

(٢) كراسة : «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» العدد السادس ص ١٢ (وضع كلمة لينين من المؤلف) .

الاجتماع ، وكانت كتلة ليو تشاوتشي اليمينية تقاتل بضراوة ضد تثوير الجماهير وتحركها.. وهنا تقدم ماو وكتب شعاره **«اعصفوا بمركز القيادة هذا هو شعاري »** .

وانطلقت الجماهير من عقالها تعصف بكل ما هو غير بروليتاري ، وترسخ دكتاتورية البروليتارية، وتعزز الثقافة والايديولوجية البروليتارية.. لقد انطلقت تحت راية افكار ماوتسي تونغ لتكمل الثورة الاشتراكية ـ في البناء التحتي ـ بثورة اشتراكية ثانية في البناء الفوقي تتناول كل مناحي الحياة .. الحزب والدولة والادارة والقيادات والافراد والعادات والاخلاق والمسلكية والافكار فكانت التجربة الاولى في تاريخ المجتمعات الاشتراكية تتحرك فيها الجماهير بقيادة الحزب لتصنع ثورة في قلب الثورة لتصع الاشتراكية ـ البناء التحتي والبناء الفوقي معا ـ على الطريق الصحيح. ان الفرق الحاسم بين خط ماوتسي تونغ في البناء الاشتراكي ، وبين خط الاحزاب الشيوعية الاخرى التي وصلت الى الحكم يتركز في ان تلك الاحزاب اختزلت دور الجماهير وحصرته في تطوير الانتاج ، وتأييد قرارات الحزب والدولة ، بينما اعتبر ماوتسي تونغ ان **من المحال بناء الاشتراكية بدون استنهاض حركة جماهيرية فعالة تحت قيادة الحزب ، ولكن تلعب ايضا دور المعلم للحزب والمراقب له** ، ولها حق في نزع الثقة عن اية هيئة قيادية ، بل لها الحق في ان تعصف بمركز القيادة او هيئة الاركان . ولكي نمضي بعيدا في طرح الموضوعة التي حل بها ماوتسي تونغ العلاقة بين الحزب والجماهير .. والعلاقة بين الدولة والجماهير .. والعلاقة بين كوادر الحزب وقيادة الحزب حلا صحيحا . لنستعرض الموضوعات التي طرحتها الثورة الثقافية سواء تلك التي طرحها ماوتسي تونغ او تلك التي ولدتها الحركة الجماهيرية الثورية بهدي افكاره في فترة الانعطاف التاريخية التي عاشتها الثورة الثقافية البروليتارية في الصين .

ـ ان الثورة الاشتراكية في الجبهة الاقتصادية (تحويل ملكية وسائل الانتاج) غير كافية ولا يمكن ان تعزز نفسها بنفسها ، وانما يجب ان تكمل بثورة اشتراكية عميقة وشاملة في الجبهات السياسية ، وان تقرير مصير الصراع في هذه الجبهات يحتاج الى امد طويل ـ عدة عقود من

السنين وقد تتجاوز المئة سنة ـ (١) يقول ماوتسي تونغ : **«ان اية ثقافة معطاة (بوصفها شكلا ايديولوجيا) هي انعكاس للاقتصاد في المجتمع المعطى وسياسته ، وان للثقافة بدورها تأثيرا ضخما جدا على الاقتصاد والسياسة» وان «الثورة الثقافية هي الانعكاس الايديولوجي للثورة الاقتصادية والسياسية وهي في خدمتها»** (٢) . ويقول .... «اننا اذ ندرك ان المادي يقرر العقلي والوجود الاجتماعي يقرر الوعي الاجتماعي في المجرى العام للتطور التاريخي ، فاننا ندرك ايضا ـ بل يجب ان ندرك ـ الفعل الراجع للعقلي على الاشياء المادية ، وللوعي الاجتماعي على الوجود الاجتماعي ، وللبناء الفوقي على البناء التحتي» (٣) .

ـ كل عودة مضادة للثورة تبدأ في مجال العقل ـ بما في ذلك الايديولوجية والبناء الفوقي والعمل النظري والاكاديمي والادب والفن ـ من اجل تفسيخ الراي العام (٤) .

ـ عصر ماوتسي تونغ هو **عصر امتلاك العمال والفلاحين والجنود النظرية الثورية ، واستنهاضهم للقيام بدورهم بوصفهم القوة الرئيسية في الثورة الثقافية الاشتراكية (٥) .**

ـ ان مسألة من سينتصر في الميدان الثقافي : البرجوازية ام البروليتارية ؟ لم تحل بعد (٦) .

ـ كل الانتصارات تحققت تحت قيادة الحزب الشيوعي وكذلك هو الحال بالنسبة للثورة الثقافية ولا بد من المحافظة على دور الحزب وقيادته ـ بدون الحزب الشيوعي لا يتحقق شيء ـ ولكن ثمة اعضاء من الحزب ارتكبوا اخطاء ويجب ان يصححوا اخطاءهم **بمساعدة الحزب والجماهير** ،

---

(١) كراسة «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ـ العدد الاول ـ ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٧ .

(٦) كراسة «الثورة الثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ـ العدد السادس ـ ص٣ـ٤

ومن خلال النقد والنقد الذاتي ـ ومن خلال مراقبتهم وتثقيفهم (١) . وانه من غير الممكن للثورة الثقافية ان تأخذ الاتجاه الصحيح ، ومن غير الممكن للناس الثوريين ان يفكروا ويروا بوضوح ، ومن غير الممكن للحركة ان تتطور بطريقة صحيحة **الا عن طريق قيادة الحزب الصحيحة لها** . ان **قيادة الحزب الصحيحة** تعني ان يكون الحزب جيدا في اتباعه خط الجماهير «من الجماهير والى الجماهير» وان يحسن استشارة الجماهير والاستماع بانتباه لآرائها مميزا بين ما هو خطأ وما هو صواب ، ومعالجا كل حالة بأسلوب يناسبها . ان القيادة الصحيحة تعني الاعتماد على تصميم الثوريين البروليتاريين وعلى توسيع صفوف اليسار ، وكسب الاغلبية وعزل الاعداء وتفسيخهم . انها تعني رفع وعي الجماهير السياسي البروليتاري باستمرار وتطبيق مبدأ «وحدة ـ نقد ـ وحدة» بالنسبة للاغلبية . وعلى اعضاء الحزب ان يتسلحوا بافكار ماوتسي تونغ ويسهموا بالثورة بكل شجاعة ويقدموا قيادة جيدة للحركة الجماهيرية في الثورة الثقافية ، وعليهم ان يكونوا في قلب الحركة وعلى رأسها مع الجماهير ، ويجب الا يخافوا من الجماهير ، او يحاولوا اطفاء حماستها (٢) .

يقول ماوتسي تونغ «كل كوادرنا **مهما تكن مراكزهم** هم خدم للشعب، وكل ما نعمله هو من اجل خدمة الشعب ، لذلك فانه من غير المسموح به مطلقا لاعضاء الحزب ان يسلكوا مسلك السادة البرجوازيين تجاه الجماهير .. ان الثورة الثقافية هي ضد السادة البرجوازيين ، والسؤال: اذا لم يسلك الشيوعي بتواضع ويستمع للجماهير ، واذا اتخذ مسلك البيروقراطي تجاهها ، فبأي معنى هو شيوعي ؟» (٣) .

لقد كان من اسباب نجاح الثورة الثقافية ان ماوتسي تونغ شجع قادة الحزب على الوقوف مع الجماهير واستنهاضها بشجاعة وتجريئها على كتابة الشعارات وابداء آرائها بلا تحفظ وكنس كل الشرور . ورضيت

---

(١) المصدر السابق ص ٦ـ٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٨ .

اغلبية القادة على ان تكون تلميذة للجماهير قبل ان تصبح معلمة للجماهير. واثبتت اكثرية قادة الحزب انها قادرة علـــى سماع رأي الجماهير ، وملاحظتها ، والانتباه لما تقول ، والتفكير الطويل بما تقولـــه الجماهير . وكانت الاكثرية مستعدة «لجلب النار» على نفسها بدعوتها لنقد النواقص والاخطاء في العمل والمسلكية ، وقبلت ان تكتب الشعـــارات واليافطات ضدها وبهذا اظهرت روحا شيوعية عالية ، وبهذه الطريقة كسب الحزب ثقة الجماهير واحتفظ القادة بزمام المبادرة ، وبالحق في الكلام، والحق في القيادة . كان بعض القادة يتحدثون عن الجماهير ولكنهم **عمليا** كانـــوا يخافونها اذا ما هبت وتحركت ، كانوا يخافون ان يحرقوا بلهيب النهوض الجماهيري الثوري . ولكن الذين قبلوا ، بشجاعة ، كشـــف الاوراق واستعدوا لاصلاح انفسهم تفهمتهم الجماهير وسامحتهم وفسحت لهـــم الفرصة للعمل من جديد (١) .

ـ ان الثورة الثقافية هي استيقاظ مئات الملايين ونهوضها وممارستها نقد العالم القديم ، وان الجماهير هي حفارة قبر الرأسمالية والاستغلال ، وسيثبت التاريخ انها حفارة قبر الايديولوجية البرجوازية . ان **الجماهير المعبأة بالفكر الثوري والمثل الثورية** ستغير الواقع وتسأل ايا كان عـــن ممارسته وليس عن كلامه فحسب (٢) .

ـ ما معنى التعلم من الجماهير ؟ يقول ماو : «ان امنيتي هي ان اكون تلميذا اتعلم من الجماهير جنبا الى جنب مع كل الرفاق في الحزب»(٣) ، «يجب الا يتظاهر المرء بمعرفة ما لا يعرف ، يجب الا يخجل ان يســـأل ويتعلم ممن هم ادنى منـــه» (٤) . **اما ان يصبح اعضاء الحزب كالاباطرة فوق الجماهير يلقون الاوامر ، ويخططون ويفرضون المحرمات من عربة الحكم ، فلن يؤدي ذلك الا الى تكبيـــل الجماهير واخماد حماستها .**

---

(١) المصدر السابق ص ١٧ـ١٨ .
(٢) المصدر السابق ص ١٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٣ .

ان التعلم من الجماهير لا يعني ان تسمع آراء من هم حولك فقط ، وليس آراء الاغلبية فقط ، يجب ان تسمع من الجميع بلا استثناء.ممن يوافقون على رأيك وممن يعارضونك . يجب ان تحك دماغك : أ- ابعاد الخطأ والاخذ بالصواب -ب- التقدم من حل مسألة الى اخرى ، والتعمق من الخارج الى الداخل -جـ- تعميم افكار الجماهير المبعثرة بعد تركيزها ، واعادة صياغتها ، وتصحيحها والوصول الى جوهر الاشياء . وبهذا يؤدي التعلم من الجماهير الى تلخيص آرائها وافكارها المبعثرة ، ثم **تنظيرها وتحويلها الى تفكير صحيح منسق متماسك ومفكر به جيدا** قبل ان يحمله الحزب من جديد الى الجماهير ليترجم الى عمل . **ثمة مسائل جديدة تنشأ باستمرار ، وثمة تولد مستمر متجدد للاشياء ..** ولا يمكن للحزب على كل المستويات ان يحقق شيئا الا اذا اصبح تلميذا للشعب ، ليكتشف حل المسائل الجديدة ، وبهذا يستطيع ان يتقدم الصفوف ويكون طليعةالحركة الجماهيرية وقائدها فيالاتجاه الصحيح(١).

- طريق الثورة ، اية ثورة ، ليس مستقيما ممهدا ، اذ يوجد فيه دائما نواقص واخطاء وهو عرضة دائما للانعطافات والانحرافات والانتكاسات .. وهذا ايضا ينطبق على الثورة الثقافية - هذه الثورة التي وصفها ماوتسي تونغ «انها ثورة تمس شغاف قلوب الشعب» - ولكن ما هو الواجب في هذه الحالة ؟ رفض الثورة ام تقدم الصفوف وتخليصها من نواقصها واخطائها ؟ (٢) .

وكان من الطبيعي لثورة شعبية انخرطت فيها مئات الملايين .. ثورة من **طراز جديد** .. ثورة تفتتح عالما لم يفتتح من قبل .. وتجترح عملا لم يعمل من قبل .. كان من الطبيعي لثورة تقوم ضد اعداء بلا بنادق .. اعداء ذوي ماض مجيد في العمل الثوري .. اعداء هم من قيادة الحزب والجماهير .. انها ثورة ضد قوى في السلطة افسدتها السلطة والبيروقراطية . انها ثورة ضد النفس ضد الانانية والغرور والتعالي

---

(١) المصدر السابق ص ٢١-٢٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٩ .

والكسل .. ضد الافكار والعادات والتقاليد والمسلكية ذات الجـــذور العميقة الضاربة في العقل والنفس والادارة واسلوب العمل ، **انها ثورة تستهدف تغيير العالم الذاتي الداخلي للجماهير والحزب والدولة والوعـي والتطبيق** . لقد كان من الطبيعي لمثل هذه الثورة ان تفرز مظاهر مـــن الاخطاء والنواقص في اثناء مسيرتها العظيمة ، خاصة ، ان كثيرا مـــن كوادر الحزب القائدة كانت تعاني انفصاما في الشخصية .. انفصاما بين افكارها ومُثلها وبين مسلكها ومواقفها العملية . اذ ان الايمان بالافكـــار الثورية والمثل الشيوعية شيء ، وتطبيق ذلك عمليا شيء اخر ! اذ ان الايمان بالجماهير والثقة بها شيء ، والجرأة على استنهاضها لتنقد العالم القديم كله ، بشجاعة ، شيء اخر تماما . ان هذا يعني ان تقبل كـــوادر الحزب القائدة «بجلب النار» على نفسها ، ولكنها نار ليست محرقـــة مدمرة .. انها نار مطهرة منقية تخلص الحزب والجماهير والدولة من كل جراثيم العقلية البرجوازية والافكار الخاطئة والمسلكيـــــة اللاشيوعية ، وتضمن للحزب قيادته الصحيحة للجماهير ، وتضمـــن للدولة ممارسة دكتاتوريتها البروليتارية ضمن ديمقراطية جماهيرية ثورية شاملة ، وتضمن للجماهير ان تعلم نفسها وتثقف نفسها وتعيد صياغة افكارها ومسلكيتها لتقوم بدورها التاريخي الخلاق في ابادة العالم القديم ليس ماديا فحسب وانما ثقافيا وايديولوجيا ايضا .. وتبني العالم الجديد ليس ماديا فحسب وانما ثقافيا وايديولوجيا ايضا .

ومن هنا ، تأتي عظمة فكر ماوتسي تونغ وقيادته ، ومن هنا ينبع تطويره الخلاق للماركسية اللينينية . فلتكن الثورة الثقافية البروليتارية، وليهتز كل شيء من جذوره ، ولتحدث اخطاء ونواقص في حركة جماهيرية جبارة ــ هذا شيء طبيعي تماما ــ ويجب الا نخاف من الاضطراب واحتداد الصراع ، ما دام بالامكان في النهاية تأمين الاتجاه الصحيح السليم للثورة، وما دام بالامكان في النهاية ، هدم العالم القديم في كل مناحي الحيـــاة وبناء العالم الجديد في كل مناحي الحياة . طبعا ان هـــذه العملية لن تنجزها الثورة الثقافية بضربة واحدة ، ومرة واحدة والى الابد ، ولكن الثورة الثقافية ستشكل نقطة الانعطاف التاريخية لمسيرة طويلة سيستمر

فيها الصراع وسيستمر فيها الهدم والبناء ، فهي التجربة التي ستضع البناء الاشتراكي على الطريق الصحيح ، وستؤمن له تطورا مطردا مضمونا ولكن ليس بدون هزات جديدة وبدون صراعات طبقية جديدة في كل ميادين الثقافة والايديولوجية وفي كل مجالات البناء التحتي والفوقي على حد سواء . اي ضرورة تكرار الثورة الثقافية باستمرار .

وقد اعتبر الرفيق ماوتسي تونغ ان مهمة الحزب ، في هذه الحالة، هي ان **يجرؤ** على استنهاض الجماهير بشجاعة ، هي ان يضع **الجرأة فوق كل شيء** ، هي ان يجرؤ على قيادة الثورة العظيمة ويحسن قيادتها وتوجيهها .. ولهذا طلب ماوتسي تونغ من الحزب **ضرورة التخلص من الخوف وضرورة الثقة بالجماهير والاعتماد عليها واحترام مبادرتها وافكارها .. وعدم الخوف من ابداء الآراء بكل حرية .. وعدم الخوف من اليافطات والانتقادات العلنية والتظاهرات والمناقشات الكبرى والاجتماعات الحاشدة ، وعدم الخوف من الاضطراب** . ان هذه المخاوف تنبع من الخوف من الجماهير ، والخوف من الجماهير مصدره العقلية البرجوازية ، **ان من لا يتخلص من هذا الخوف لن يستطيع قيادة الجماهير . دع الجماهير تثقف نفسها بنفسها ، دعها تدير شؤونها وتتدخل في شؤون الحزب والدولة ، دعها تنهض لتصنع ثورة بنفسها من خلال حركتها الجماهيرية العظمى ، دع الجماهير تتعلم في قلب النضال الثوري ، دعها تتعلم ، بالتجربة العملية ، كيف تميز بين الخطأ والصواب في الحكم على الاشياء ، وفي تسيير الامور . ان النظام الثوري لا يمكن ان يُخلق عن طريق وضع قوانين سلفا وعن طريق اصدار القرارات والتعليمات والتخطيط من غرف مغلقة .. وانما يجب الاعتماد على الجماهير لوضع هذه القوانين وفقا لتجربتها النضالية (1)** .

يقول ماوتسي تونغ : «لدى الجماهير حماسة كامنة لا تنضب من اجل الاشتراكية . اما الذين لا يستطيعون الا ان يتبعوا الروتين القديم في الفترات الثورية فلن يكونوا قادرين مطلقا على رؤية هذه الحماسة . انهم

---

(1) كراسة «الثورةالثقافية الاشتراكية العظمى في الصين» ـ العدد السابع، ص٣ـه .

عميان وكل شيء مظلم امامهم . وقد يصل بهم الامر ، احيانا ، الى حد الخلط بين الخطأ والصواب وقلب الامور على رأسها . اولم نصادف عددا كبيرا من هذا الطراز ؟ ان الذين يتبعون ، ببساطة ، الروتين القديم فلا بد من ان يقللوا من قيمة حماسة الشعب . دع شيئا جديدا يظهر حتى يرفضوه رأسا ويندفعوا لمقاومته . وبعد ذلك يقرون بالهزيمة ويقومون بنقد ذاتي صغير . ولكن عندما يظهر شيء جديد مرة اخرى ، فتراهم مرة اخرى يعيدون سيرتهم الاولى . ذلكم هو خط مسلكهم تجاه اي شيء جديد .. تجاه كل ما هو جديد . ان هؤلاء الاشخاص هم دائما سلبيون، ودائما يقعدون عن التقدم اماما في اللحظات الحاسمة ، وهم دائما بحاجة لان يدفعوا من ظهورهم ليتقدموا خطوة واحدة» (١) .

ـ كان من اهداف الثورة الثقافية النضال ضد الاشخاص الذين يحتلون مراكز في السلطة وقد اتبعوا الطريق الراسمالي في مسلكيتهم وموقفهم من الثورة الثقافية والجماهير الخ . والنضال ضد «السلطات» الاكاديمية البرجوازية الرجعية وايديولوجية البرجوازية وعادات وعقلية ومسلكية كل الطبقات الاستغلالية . والنضال لتحويل التعليم ومناهجه والادب والفن وكل اجزاء البناء الفوقي الاخرى **لتتوافق مع الاساس الاقتصادي الاشتراكي (٢)** .

ـ لقد **ولّدت** الحركة الجماهيرية الثورية في الثورة الثقافية الاشتراكية مجموعة من الهيئات والاشكال التنظيمية واساليب الادارة والقيادة مثل المجموعات الثقافية الثورية ، واللجان الثورية (عمال ـ جنود ـ طلبة ـ فلاحين ـ كوادر من الحزب) الخ ، بالاضافة الى اساليب واشكال جديدة في مناقشة كل مناحي الحياة ونقدها وتصحيحها ، وقد اعتبرها ماوتسي تونغ «اشياء جديدة ذات مغزى تاريخي عظيم» (٣) . وتولّدت من جديد تلك الاشكال التي ابدعتها كومونة باريس في الانتخاب

---

(١) المصدر السابق ص ٥ـ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ١ـ٢ .

(٣) المصدر السابق ص ٤ـ٦ .

وتشكيل هيئات قائدة من تحت ، وقد كان ماركس وانجلز ولينين قد مجدوها .

ـ يجب على الثورة ان تقاد من قبل الجماهير والا تحتكر من قبل المنظمات القائدة العليا ، ويجب على القيادات العليا الا ترسل مندوبين عنها يقفزون من عربات الحكم والسلطة لاصدار الاوامر والاحكام . ولكن كيف يحتفظ الحزب بقيادته امام هذا التحرك الجماهيري الذي لم يسبق له مثيل في ظل دكتاتورية البروليتارية ؟ الجواب بسيط يجب على الحزب ان يعود الى صفوف الشعب ويشاركه ثورته ويتفهمه ويبزغ منه ويعود اليه بحصيلة التجربة قائدا عمليا ونظريا (١) . ان قيادة الحزب يجب الا تفهم انها كبت للجماهير واطفاء لثوريتها والمحافظة على «الهدوء» و«الروتين» الخ . ان الحزب حصل على مركزه في قيادة الجماهير اصلا من خلال استنهاضها ومشاركتها والبزوغ من صلبها وتقدمها في كل المعارك والجبهات ، وهو لا يستطيع ان يحتفظ بقيادته لها اذا تخلى عن ذلك .

لذا يجب على الحزب في ظل دكتاتورية البروليتارية الا يفرض على الجماهير مسؤولين يتبعون الطريق الراسمالي . ان الجماهير الثورية حين ترفض اولئك المسؤولين الذين يهبطون من عربات الحكم والسلطة امر مشروع تماما بل هو واجب .. وما واجب الحزب الا ان يراجع حساباته ويعود الى الجماهير ليحتل مواقع القيادة عن جدارة .. من خلال كسب **ثقة الجماهير المفتحة العيون** ، وليس من خلال اخماد الجماهير وتخديرها وتجليل عيونها ، وسلبها حقها في اختيار قادتها ومسؤوليها ، وفرض القرارات والتعيينات . اي يجب ان يمثل الحزب دائما **نقد الواقع المعطى وأن يكون قدوة ما هو جديد .. قدوة المستقبل** ، وبهذا فقط يستطيع ان يلعب دوره القيادي الطليعي في ظل دكتاتورية البروليتارية .

لقد حرض ماوتسي تونغ الجماهير لتنهض وتعصف بمركز القيادة ـ هيئة الاركان ـ وطالب بضرورة تطوير ديمقراطية واسعة تحت دكتاتورية البروليتارية ، وضرورة نقد المؤسسات القائدة ومراقبتها على كل

---

(١) المصدر السابق ص ٦ـ٧ .

المستويات في الحزب والدولة .. ان الديمقراطية يجب الا تقتصر على العلاقة بين القيادة والجماهير ، بل يجب ان تمارس بين الجماهير فيما بينها ، وبين الجماهير والدولة والحزب .. يجب ان تمارس على كل المستويات . اذ بدون مشاركة الجماهير وممارستها لديمقراطية واسعة ، ومناقشتها لكل شيء ، واستشارتها ، وتلخيص آرائها وتنظيرها ، وبدون استخدام الجماهير لعقولها وحكها وتدربها على معالجة كل مناحي الحياة ـ الثقافة ، الادارة ، الانتاج الخ ـ لا يمكن للجماهير ان تتثقف وان تنعتق ، ولا يمكن لدكتاتورية البروليتارية ان تعزز وترسخ ، ولا يمكن التحول التدريجي للشيوعية ، ولا يمكن ان تحمى الثورة الاشتراكية من التحريفية اليمينية والليبرالية والبيروقراطية الخ . لقد «اثبتت التجربة التاريخية الاممية ان دكتاتورية البروليتارية بدون انجاز ثورة ثقافية بروليتارية من هذا الطراز .. بدون ممارسة ديمقراطية جماهيرية ثورية شاملة فان دكتاتورية البروليتارية ستضعف **وتتغير من الجوهر** ، بينما تعود البرجوازية بمختلف الطرق وستعود الطبقات الاستغلالية ـ مرة اخرى ـ لتربض على ظهر الشعب» (١) طبعا باشكال والوان «جديدة» .

كانت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني قد عقدت اجتماعا برئاسة ماوتسي تونغ ، في شهر آب (اغسطس) ١٩٦٦ ، اي في اثناء احتداد الصراع بين الخطين .. الخط البروليتاري والخط اليميني في داخل الحزب والدولة .. في اثناء ارتفاع الموج الثوري في الحركة الجماهيرية الثورية واشتداد الصراع بين تلك الحركة وبين العناصر اليمينية التي اتخذت اجراءات لكبت الجماهير والانحراف بالثورة الثقافية مستخدمة اساليب الدسائس والشائعات المغرضة ، وحتى اساليب القهر والعنف . في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ الثورة الثقافية ارتفع صوت اللجنة المركزية بقيادة ماوتسي تونغ الذي وضع كل ثقله لارتفاع ذلك الصوت الثوري ، وصدر قرار من ست عشرة بندا ، تشكل نقطة انعطاف حاسمة في ارساء قواعد جديدة للعلاقة بين الحزب والجماهير ، وبالتالي

---

(١) كراسة : «الثورة الثقافية البروليتاريةالعظمى في الصين»ـ العدد الثامن ص١ـ٤ .

للعلاقة بين الدولة والجماهير ، وقد ادى هذا القرار فضلا عن قيمته النظرية الهامة ، وفضلا عن تأثيره الايجابي على تطوير الحركة الجماهيرية الثورية وتصعيدها للمضي قدما في صنع الثورة الثقافية .. لقد ادى الى المحافظة على قيادة الحزب وارسائها من جديد على اسس ثورية جديدة تتناسب مع جوهر الثورة الاشتراكية ، تتناسب مع البناء التحتي الاشتراكي .

لقد تناول البند الاول من القرار مسألة التقييم النظري للثورة الثقافية ومغزاها بوصفها تشكل مرحلة جديدة في تطور الثورة الاشتراكية، وبوصفها ثورة تمس شغاف قلوب الجماهير . كما حدد البند الاول الهدف الرئيسي للثورة الثقافية وهو النضال ضد اولئك الاشخاص في السلطة الذين يتبعون الطريق الرأسمالي .

اما البند الثاني فقد اوضح ان حدوث انتكاسات وتعرجات هو امر طبيعي في كل ثورة ، وان الامر المهم هو الاتجاه العام الصحيح ، وقد مجد مبادرة الشبيبة وشجعها على المضي قدما وعدم الخوف من الانتكاسات والتعرجات ما دام الاتجاه العام صحيحا وما دامت النتيجة ستأتي ايجابية في النهاية ، وما دامت الاجيال الفتية ستتمرس وتتثقف وتكتسب التجربة من خلال عملها الثوري .

تناول البند الثالث ضرورة وضع الشجاعة فوق كل اعتبار آخر ، وضرورة استنهاض الجماهير العريضة بكل جرأة . وبعد ان يتناول الوان المواقف داخل الحزب تجاه الثورة الثقافية يطلب من كل لجان الحزب لمسؤولة ان تضع الجرأة فوق كل اعتبار وان تستنهض الجماهير وان تقدم للحركة قيادة صحيحة .

يطرح البند الرابع مسألة ضرورة ترك الجماهير تثقف نفسها من خلال الثورة الثقافية وهذا هو الطريق الوحيد لتحرير نفسها ، **ويحذر القرار من اي محاولة تستهدف ان يقوم الحزب بما يجب ان تقوم به الجماهير بنفسها . وما على الحزب الا ان يثق بها ويعتمد عليها ويحترم مبادرتها ويتخلص من الخوف ويشاركها نضالها ومبادراتها .**

اما البند الخامس فيطالب بضرورة التمسك بالخط الطبقي ..

بضرورة تحديد من هم الاعداء ومن هم الاصدقاء ، وبالتالي ضرورة تحالف اليسار البروليتاري مع الوسط وتشكيل اوسع جبهة عريضة تقوم على اساس مبدأ «وحدة ـ نقد ـ وحدة» ، وعزل الاعداء عزلا تاما .

يطالب القرار في البند السادس بضرورة معالجة التناقضات داخل صفوف الشعب معالجة صحيحة مع التمييز الحاسم بين التناقضات في داخل صفوف الشعب عن التناقضات بين الشعب وبين الاعداء . ويشدد القرار على اقامة الحوار داخل صفوف الشعب على اساس المنطق والعقلانية والوقائع والتحليل والاقناع ، ويمنع منعا باتا استخدام القوة ضد الاقلية، ويعطي حقوقا ديمقراطية واسعة للاقلية ، كما يفتح الباب على مصراعيه لحرية الرأي والنقد مع حق عقد الاجتماعات الحاشدة والحوار المفتوح وكتابة الملصقات (الافيشات) الخ .

يحذر القرار في البند السابع من الذين يسمون الجماهير الثورية «بالقوى المضادة للثورة» .

اما البند الثامن فيصنف كوادر الحزب الى اربعة انواع من المواقف تجاه الثورة الثقافية .

ويعتبر ، في البند التاسع ، المؤتمرات والمنظمات واللجان التي ولدتها الثورة الثقافية اشكالا جديدة ممتازة ، وذات مغزى تاريخي كبير ، ويطالب الا تكون مؤقتة بل يجب ان تصبح شكلا تنظيميا دائما بوصفها تنظيمات مناسبة للكليات والمدارس والحكومة والمصانع والمشروعات الزراعية الخ ، وبوصفها الجسر الذي يكرس الصلة الوثيقة بين الحزب القائد والجماهير . كما يؤكد ضرورة تأسيس نظام انتخابات عامة على طراز النظام الذي ولدته كومونة باريس .

يؤكد القرار في البند العاشر على ان اصلاح التعليم يشكل هدفا رئيسيا من اهداف الثورة الثقافية ، بحيث يجري تحويل النظام التعليمي القديم ، وكل القواعد والاساليب التعليمية القديمة حسب موضوعة ماوتسي تونغ التي تطالب بتطبيق سياسة تعليمية تخدم التعليم البروليتاري ، والسياسة البروليتارية ، من خلال جمع التعليم مع العمل الانتاجي وذلك من اجل تمكين اولئك الذين يتلقون التعليم من التطور

اخلاقيا وثقافيا وفيزيقيا (بدنيا) ولكي يصبحوا عمـــالا بثقافة ووعـــي اشتراكيين .

اما في البند الحادي عشر فيعالج مسألة النقد بالاسم في الصحافة . ويحدد في البند الثاني عشر الموقف الصحيح من العلماء والفنيين وكوادر العمل . كما يناقش في البنـد الثالث عشر مسألة العلاقة بين الثـورة الثقافية والحركة التعليمية الاشتراكية التي ابتدأ عام ١٩٦٣ . ويطالب في البند الرابع عشر بضرورة المضي بالثورة الثقافية وتطوير الانتـاج في وقت واحد . أما في البند الخامس عشر فيتناول مسألة تنفيـذ الثورة الثقافية في القوات المسلحة . واخـيرا يتوجه القرار في البند السادس عشر الى ضرورة دراسة افكار ماوتسي تونغ بطريقة خلاقة وتطبيقها بطريقة خلاقة واتخاذها دليل العمل في الثورة الثقافية البروليتارية .

في الواقع ، لا يعطي هذا الاستعراض للقرار المذكور حقه ، لان من الانسب للقارىء ان يطالع القرار بنصه الاصلي في ملحق هـذه الكراسة وذلك للاهمية البالغة التي تتصف بها هذه الوثيقة التاريخية . وخاصة ، الموضوعات التي تتعلق بالحركة الجماهيرية الثورية وبالحزب وبالديمقراطية في ظل دكتاتورية البروليتارية . وهذه كلهـا موضوعات جديـدة نظريا وتطبيقيا .

واخيرا ، لقد اسفرت الثورة الثقافية عن نتائج هامة جدا من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية ، كما انهـا وجهت ضربة قاسية لمواقـع اليمين في داخل الحزب والدولة والادارات ودفعت الى مواقـع السلطة والقيادة في الحزب والدولة وادارة الاقتصاد خيرة ابناء الجماهير الثورية ، وحافظت على دكتاتورية البروليتارية ورسخت تقاليد جديدة في ممارسة الديمقراطية الشاملة ضمنها ، كما اعطت لمعنى قيـادة الحزب في مرحلة البناء الاشتراكي محتوى جديدا . ولكـن عظمتها الاساسية لا تكمـن في نتائجها المبـاشرة وفي التغييرات المباشرة التي احدثتهـا فحسب ، وانما ايضا ، في حصيلتها النظرية التي عبر عنها ماوتسي تونغ ، **وفي احيائها لروح ثورية نقديـة في قلب المجتمع الاشتراكي ستؤدي المحافظة عليهـا وتطويرها اكثر فاكثر الى خلق المعجزات في المجتمع الاشتراكي والشيوعي..**

تلك المعجزات التي استهدفتها الماركسية اللينينية وحلمت بها دائما .

ثمه نقطتان يجب لفت الانتباه اليهما :

الاولى : ان تشديد ماوتسي تونغ والثورة الثقافية على مثل مثل «يجب ان تخدم الشعب بكل اخلاص» ، وعليك «ان تتعلم من الجماهير وتكون تلميذا للجماهير» ، «وضرورة التخلص من الغرور والتعالي والانعزالية» ، وان «تكون امينا في اجراء نقد ذاتي» الخ . ان هذه الشعارات ليست من طراز الحِكم القديمة ، وليست وصايا ايمانية مثالية .. انها في الواقع تعبير عن موقف بروليتاري طبقي . انها تعبير عن ايديولوجية بروليتارية .. ان شعار ماوتسي تونغ «محاربة النفس ونبذ التحريفية» تعني محاربة الافكار الانانية ومحاربة جذور التحريفية في الجهاز البيروقراطي والعقلية والايديولوجية البرجوازية . ومن هنا يجب النظر الى كل هذه الشعارات والافكار بوصفها جزءا من ايديولوجية البروليتارية ، ويجب الاصرار على ترسيخها وترجمتها الى واقع ملموس.

الثانية : ان اطلاق الحركة الجماهيرية الثورية لا يعني اطلاقها لتتخبط خبط عشواء ولا يعني الهدم بدون بناء في اثناء الهدم .. اذ صحب اطلاق الجماهير عملية توعية ثورية واسعة .. وكانت الشعارات : «ادرسوا اكثر ، اعملوا اكثر ، تعلموا اكثر ، تفحصوا ودققوا اكثر ، حللوا المسائل والمشاكل وعالجوها ، طبقوا واستخلصوا النتائج ، انتقدوا السلبيات وعمموا الايجابيات» (١) . ان الجماهير وهي تصنع الثورة الثقافية كانت تحمل بيدها شعارات من اقوال ماوتسي تونغ التي تركزت في الكتاب الاحمر الشهير . فمن يراجع هذه المختارات في الكتاب الاحمر يلاحظ :

اولا : انها تشرب الجماهير بالافكار الاساسية في الماركسية اللينينية، وفي الايمان المطلق بمثل الشيوعية وبالطريق الاشتراكي ، وتكريس قيادة الحزب الشيوعي والاهتداء بالماركسية اللينينية (٢) .

ثانيا : الموضوعات الاساسية التي تتعلق بالبناء الاشتراكي .. تلك

---

(١) المصدر السابق ص ١٢-١٨ ، ١٠٤-١١٧ .

(٢) راجع الصفحات ١-٤٤ - باللغة الانكليزية .

الموضوعات التي طور فيها ماوتسي تونغ الماركسية اللينينية ، مثل استمرار الصراع الطبقي في الميدان الثقافي والايديولوجي الى امد طويل ، وضرورة احداث ثورة في البناء الفوقي في المجتمع الاشتراكي ليتوافق ذلك البناء الفوقي مع الاساس الاقتصادي الاشتراكي ، وكذلك حول المسلكية الشيوعية والاخلاق البروليتارية (١) .

ثالثا : تعليم الكوادر والجماهير تطبيق المنهج الديالكتيكي في البحث لتعرف كيف تفكر تفكيرا سليما وكيف تحل كل المشاكل التي تواجهها بطريقة صحيحة خلاقة . يعلمها كيف تتجنب التفكير الذاتي والاحادي الجانب وكيف تتجنب التفكير الجامد (الدوغمائي) ، وكيف تحلل كل مسألة تحليلا موضوعيا ملموسا وكيف تخرج بالنتائج وتتثبت من صحة النتائج عبر التطبيق العملي من جديد الخ (٢) . اي يعلمها ان تستعمل عقولها .

ان هذه الجوانب الثلاثة تشمل مجموعة كبيرة من الموضوعات التي تتناول مختلف مسائل النظرية والتطبيق بما في ذلك حول الوضع العالمي والتحريفية العالمية . لهذا **فان ارتفاع مستوى وعي الجماهير الى مستوى الموضوعات التي في الكتاب الاحمر وامتلاكها لهذه الافكار وللمنهج الديالكتيكي يعني احداث قفزة نوعية هائلة في مجال وعي الجماهير والحزب وممارستهما العملية ، وسيثبت المستقبل ـ اي النتائج العملية الملموسة ـ اهمية ذلك ليس على مستقبل الاشتراكية في الصين فحسب، وانما ايضا على مستقبل الثورة العالمية باسرها .**

ومن هنا يجب الانتباه الى ضرورة عدم الوقوع باحابيل الاعلام الرجعي والتحريفي الذي يحاول تصوير الثورة الثقافية البروليتارية بانها فوضى واضطراب او انحراف عن الخط اللينيني ، او يحاول تصوير دراسة الشعب الصيني اليومية للكتاب الاحمر كعملية ايمانية تشبه البدع الدينية الغيبية .

يقول ماوتسي تونغ : «يجب ان يعرف سياستنا ليس القادة والكوادر

---

(١) راجع الصفحات ٤٥ـ١٠٤ ، ١٣٤ـ٢٠٢ ، ٢٥١ـ٣٠٣ .

(٢) راجع الصفحات ١١٨ـ١٣٣ ، ١٦٥ـ١٧٤ ، ٢٠٢ـ٢٥٠ ، ٣٠٤ـ٣١٢ .

فحسب وانما ايضا الجماهير العريضة» . ولهذا فان ماوتسي تونغ استهدف من الثورة الثقافية البروليتارية وضع الماركسية اللينينية بيد الجماهير ، وتحطيم كل الحواجز التي تقف بين الجماهير العريضة وبين الثقافة النظرية والعمل النظري والتدخل المباشر في كل شؤون الحزب والدولة والفكر والاقتصاد والادب والفن والادارة والتنظيم . كل ذلك بتفاعل ديالكتيكي حي متبادل بين الجماهير الثورية المسلحة بالماركسية اللينينية وافكار ماوتسي تونغ وبين الحزب الشيوعي ودولة دكتاتورية البروليتارية . فلم يعد الحزب الشيوعي حزبا حاكما بيروقراطيا يصدر الاوامر من غرف مقفلة ولم تعد الجماهير ذلك المقاد المحكوم المطيع الذي ينفذ الاوامر . ولم يعد الحزب لوحده من يمتلك خزان المعرفة والنظرية الماركسية اللينينية ، ولم تعد الجماهير تقتات من بقايا مائدة المعرفة والنظرية الماركسيه اللينينية وتعيش في ظلام المجهول او كريشة في مهب الرياح . لقد اصبح الحزب هو القائد الذي يقود الحكم والجماهير يتعلم منها ويعلمها يحكمها وتحكمه ، يوجهها وتوجهه ، يطورها وينقيها وتطوره وتنقيه . واصبحت الجماهير تشارك الحزب في الحكم مشاركة مباشرة تتعلم من الحزب وتعلمه ، وتقبل قيادته ولكن ليس على العمى وبدون نقد . واصبحت الجماهير تشارك في اعمال الثقافة تدرس وتتعلم وتكتب وتبدع وتخترع . طبعا لا يعني هذا ان الوضع اصبح على احسن ما يرام.. وانما يعني ان الامور وضعت في نصابها الصحيح وما زالت المسيرة طويلة .. وما زال امام الجماهير والحزب والدولة اشياء كثيرة لا بد من تعلمها ومن معرفتها ، واشياء كثيرة لا بد من تصحيحها وتطويرها ، واشياء كثيرة لا بد من اكتشاف الحلول المناسبة لها . انها نضال طويل على الجبهة الثقافية والايديولوجية تحتاج الى عشرات العقود من السنين حسب تقدير الرفاق الصينيين .

ان عظمة الثورة الثقافية وموضوعات ماوتسي تونغ تكمن في احياء الجوهر النقدي الثوري في الماركسية اللينينية ليس ضد المجتمعات الراسمالية والطبقات الاستغلالية فحسب وانما ايضا ضد ايديولوجية هذه الطبقات وعاداتها وثقافتها واخلاقها ومسلكيتها في قلب المجتمع

الاشتراكي بعد انجاز الثورة الاشتراكية في البناء التحتي . ليس هـذا فحسب وانما ايضا **تسليم مشعل هذا الجوهر النقدي الثوري ليد الجماهير العريضة فضلا عن قواعد الحزب وكوادره وقياداته** ، ولكـن لكي يتحقق هذا لا بد من ثورة ثقافيـة بروليتاريه .. لا بد مـن كتاب احمر يلخص تجربة الماركسية اللينينية ويعلم الجماهير امتـلاك **المنهج الديالكتيكي في** البحث ويحدد لها خطوطا عريضة لشق طريق المستقبل ، ولا بد من ان تجرأ الجماهير على ممارسة النقد ، وعلى التعلم والدرس ، وعلى ولوج باب الثقافة والمعرفة ، وعلى الادارة والتوجيـه ، وعلى الكتابة الادبيـه والفنية والنقدية وعلى العمل النظري ولا بد من كسر احتكار الثقافة وادارة شؤون الدولة والحزب والاقتصاد الذي بيد نخبة مـن المثقفين او الذين «ذهبوا الى مدارس الاغنياء» اي لا بد من ديمقراطية حقيقية شاملة ضمن دكتاتورية البروليتارية وضمن قيادة الحزب ، لا بد من حركة جماهيرية ثورية واسعة الى جانب الحزب وتحت قيـادة الحزب لكي يؤمن التحول التدريجي الحقيقي الى المجتمـع الشيوعي ، ولكي تقـام الضمانات ضد فساد جوهر البنـاء التحتي الاشتراكي نفسه في حالـة قفز التحريفية اليمينية الى السلطة وسرقتها .

من هنا نجد التطوير الخلاق الذي احدثه ماوتسي تونغ في الماركسية اللينينية في مجال البناء الاشتراكي ، وهو تطوير كان لينين سيقوم به لو قدر له ان يعيش تجربة البناء الاشتراكي فترة من الوقت كافية لاكتشاف قوانين البناء الاشتراكي والتحول التدريجي الى الشيوعية .

ان الثورة الثقافية في الصين وموضوعات ماوتسي تونغ المتعلقة بها تشكلان القفزة النوعية الكبرى بعد ثورة اكتوبر والنظريات اللينينية . اذ ان كل ما حدث من ثورات بعد ثورة اكتوبر ، بما في ذلـك ثورة الصين نفسها ، تدخل ضمن اطار ثورة اكتوبر ، ولكن الثورة الثقافية في الصين تشكل المنعطف التاريخي الثاني الموازي لثورة اكتوبر .. ان ثورة اكتوبر مثلت نقطة الانعطاف في تحطيم الاسس المادية للعـالم القديم ـ تحطيم علاقات الانتاج القائمة على الملكية الفردية واستغلال الانسان لاخيه الانسان ـ اما الثورة الثقافية فقد مثلت نقطة الانعطاف في تحطيم الاسس الثقافية

للعالم القديم ـ تحطيم البناء الفوقي القائم على عقلية الطبقات الاستغلالية وافكارها وعاداتها ومسلكيتها . ولهذا تعتبر الثورة الثقافية هي الثورة المكملة لثورة اكتوبر . ولهذا تعتبر افكار ماوتسي تونغ هي النظرية المكملة للماركسية اللينينية .. هي قفزة نوعية جديـدة في تطويـر الماركسية اللينينيـة .

الفصل الخامس

خلاصة : عودة الى ماركس وانجلز

لقد اكد انجلز مسألة التأثير المتبادل بين البناء التحتي والبناء الفوقي ، تأكيدا جليا لا مجال للتلاعب فيه ، فقد وضع المسألة على الصورة التالية :

«ان التطور السياسي والتشريعي والفلسفي والديني والادبي والفني الخ ، يقوم على اساس التطور الاقتصادي . ولكن هذه المجالات كلها تعود فتتبادل التأثير على بعضها البعض ، وعلى الاساس الاقتصادي ايضا» (١).

وكتب ماركس في مجموعة مساهمة في نقد الاقتصادي السياسي :

«ان الانسان هو اساس الانتاج المادي كما هو اساس كل انتاج ينجزه . لذلك فان كل الظروف التي تؤثر على الانسان المنتج لها تأثير كبير او قليل ، على كل وظائفه ونشاطاته بما في ذلك وظائفه كخالق للثراء المادي والسلع . ومن الممكن التأكيد ، بهذا المعنى ، على ان كل العلاقات الانسانية والوظائف الانسانية كيفما واينما عبرت عن نفسها تؤثر على

---

(١) ماركس وانجلز : «الاعمال المختارة» موسكو ـ المجلد الثاني ـ ص ٥٠٤ .

الانتاج المادي ، ولها تأثير كبير او قليل ، على مصيره» (١) .

يلاحظ هنا ان ماركس اعطى اهمية خاصة للتأثير المتبادل لمختلف العلاقات والوظائف الانسانية على الانتاج المادي . ولكن ثمة سوء فهم لماركس في تاكيده على زوال الافكار بزوال اساسها المادي (٢) ، وهذه موضوعة صحيحة ، ولكن يجب الا تفهم بشكل ميكانيكي بمعنى ان تغيير العلاقات الانتاجية يؤدي بصورة **ميكانيكية وفورا** الى تغيير البناء الفوقي وتوافقه مع البناء التحتي . وقد استندت التحريفية العالمية الى هذا الفهم الميكانيكي في تبرير العفوية الاقتصادية الجديدة التي ظهرت ، بصورة جلية ، في تجربة البناء الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي مع اتجاه القيادة السوفياتية الحالية .. الا وهي التركيز على جانب تطوير ادوات الانتاج واهمال البناء الفوقي ـ الثقافة والايديولوجية والمسلكية البروليتارية ـ وخاصة ، في «نظرية» اطلاق الحوافز المادية الفردية ، والعودة الى قانون التنافس في السوق . وبهذا سمحت ان تمتد الى المجتمع الاشتراكي الظاهرة التي تحدث عنها ماركس وهي :

«ان انعكاس افكار الانسان حول اشكال الحياة الاجتماعية ، وبالتالي تحليله العلمي لهذه الاشكال ايضا ، تأخذ مجرى عكسيا مباشرة لتطورها التاريخي الحقيقي ، اي انه يبدأ بالنتائج المنتهية لعملية التطور» (٣) .

كان ماركس قد اكد ان امتلاك البروليتارية للمادية التاريخية والاشتراكية العلمية سيجعل هذا الانعكاس يأخذ شكلا واعيا . «لا يمكن للفلسفة ان تتحقق (٤) الا بازالة البروليتارية (٥) ولا يمكن للبروليتارية

---

(١) «مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي» جمع كاوتسكي ـ الجزء الاول ـ ترجمها الى الانكليزية ي. ستون ـ راجع مختارات من ماركس ـ بليكان ـ باللغة الانكليزية ص ١١٣ .

(٢) الايديولوجية الالمانية ـ مختارات من ماركس ـ المصدر السابق ص ٩٥ .

(٣) ماركس ـ رأس المال ، الجزء الاول ـ باللغة الانكليزية ـ ص ٨١ .

(٤) يقصد تتحقق في الواقع الموضوعي .

(٥) يقصد ان تزول كطبقة مستغلة (بفتح الغين) .

ان تمحي الا بتحقق الفلسفة» (١) .

ويتضح رأي ماركس حول مسألة زوال الافكار بازالة اساسها المادي في «نقد برنامج غوتا» .

«ان الذي نعالجه هناهو المجتمع الشيوعي ، ليس كما **تطور** وفقا لتكوينه بالذات ، وانما على العكس ، كما تولد (٢) من المجتمع الرأسمالي، حيث انه ، في هذه المرحلة ، ما زال يحمل من كل النواحي اقتصاديا واخلاقيا وثقافيا كل بصمات علامات الولادة من المجتمع القديم الذي خرج من رحمه» .

وبعد ان يضرب ماركس امثلة على هذه البصمات ويبين انها ذات طبيعة برجوازية يقول «ولكن هذه النواقص مسألة محتومة في المرحلة الاولى من المجتمع الشيوعي» (٣) . ان هذه النواقص هي ميراث من المجتمع القديم ، وهي نتاج الفروق بين مختلف نشاطات الانسان .. كالفرق بين العمل اليدوي وبين العمل الفكري .

واخيرا اذا قرأنا ما قاله ماركس وانجلز في البيان الشيوعي :

«ان الثورة الشيوعية هي اعمق انفصال جذري عن علاقات الملكية التقليدية . لذلك لا عجب اذا تضمن تطورها اعمق انفصال جذري عن الافكار التقليدية» (٥) .

من هنا نلحظ ان موضوعات ماوتسي تونغ حول البناء الاشتراكي منطلقة من الماركسية مع تطوير خلاق ، واحداث قفزة جديدة بالنسبة للاسس النظرية التي وضعها ماركس وانجلز وذلك بمعنى تطوير موضوعاتهما الى نظرية متماسكة متكاملة حول عملية البناء الاشتراكي والتحول التدريجي الى الشيوعية . والعلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي . فقد رفض من ناحية التأويل الميكانيكي لنظرية ماركس ذلك

---

(١) ماركس : «نقد فلسفة هيغل» ـ مختارات من ماركس ـ بليكان ص ١٩١ .

(٢) يقصد في المرحلة الاولى من الشيوعية اي مرحلة المجتمع الاشتراكي .

(٣) مختارات من ماركس ـ المصدر السابق ص ٢٦١-٢٦٣ .

(٤) ماركس وانجلز : «البيان الشيوعي» ـ باللغة الانكليزية ـ موسكو ص ٧٩ .

التأويل الذي يقلل من دور البناء الفوقي وتأثيره على البناء التحتي ، ويعتبر ان زوال الافكار يتم تلقائيا بزوال اساسها المادي . فقد انطلق ماوتسي تونغ من النظرية اللينينية التي اغنت الماركسية وطورتها في هذا المجال وهي التأكيد الشديد على اهمية الوعي والحزب والنضال السياسي والايديولوجي والنظري ، باعتبار هذه الجوانب شرطا اساسيا لازالة الاساس الاقتصادي القائم وتحويل علاقات الانتاج . كما ان ماوتسي تونغ من الناحية الاخرى رفض النظرية التحريفية اليمينية التي سادت في الاتحاد السوفياتي بعد ستالين ، والتي اولت نظرية ماركس ولينين حول العلاقة المتبادلة بين البناء التحتي والبناء الفوقي تأويلا تجريديا ايضا من خلال الاعتراف شكلا باهمية البناء الفوقي وتأثيره الراجع على البناء التحتي ، ولكن تركته ـ بل شجعته ـ ليتطور بيروقراطيا عفويا ، وبهذا جعلت تأثيره على البناء التحتي مضادا لجوهر البناء التحتي ، وبالتالي جعلته يؤثر سلبيا على البناء التحتي ويفسده وينحرف به عن اتجاه تطوره الى امام . ولهذا فان ماوتسي تونغ تبنى نظرية لينين في رفض التأويل الميكانيكي لقوانين المادية التاريخية ، وما ادخله من اغناء وتطوير عليها . وارتفع باللينينية خطوة اخرى الى امام وذلك بطرحه للموضوعة القائلة انه لا يكفي انجاز الثورة الاشتراكية في البناء التحتي ، وانما يجب ايضا انجاز ثورة موازية في البناء الفوقي لاحداث التوافق بين البناء التحتي والبناء الفوقي ، وان احداث هذا التوافق لا يتم بصورة تلقائية فورية ولا يتم بصورة تلقائية مع مرور الزمن وتطور القوى الانتاجية . وانما يتم من خلال ثورة واعية موجهة ترتكز الى تجربة الحركة الجماهيرية الثورية في اثناء عملية هدم كل مناحي البناء الفوقي القديم وبناء كل مناحي البناء الفوقي الجديد .. وبهذا ، وبهذا وحده يمكن للبناء التحتي الاشتراكي ان يترسخ ويتعزز ويضمن له تطور وطيد الى امام .

في الواقع ، ان موضوعة ماوتسي تونغ هذه في تطوير الماركسية اللينينية في مجال قوانين العلاقة المتبادلة بين البناء التحتي والبناء الفوقي في المجتمع الاشتراكي ، يمكن ان تسحب على مجرى التطور التاريخي كله ذلك بمعنى ان **ثمة ثورة ثقافية كانت تلازم دائما الثورة في البناء**

التحتي . فاذا راجعنا مرحلة انتقال المجتمع مـن المشاعية الى العبودية . فسوف نجد ان هذا الانتقال لم يتم في مجال تحويل ملكية ادوات الانتاج والاستيلاء على السلطة السياسية فحسب ، وانما ايضا صحبته ثـورة ثقافية عنيفة باتجاهه حطمت بالقوة والقهر كل التقاليد والافكار والمعتقدات والمؤسسات القديمة ، واقامت مكانها تقـاليد وعادات وافكار ومعتقدات ومؤسسات جديدة .. ان هذه العملية لم تتم بصورة تلقائية مع احداث الثورة في البناء التحتي اي بمعنى ان البناء الفوقي القديم لم يترك ليذبل تلقائيا او تدريجا بعد زوال اساسه المادي . وانما انجز ذلك بصراع مباشر ضده ..

وان هذه الصورة لتتضح اكثر فاكثر في مرحلة الانتقال من العبودية الى الاقطاعية اذ لم تحطم علاقـات الانتاج القديمـة فحسب ولم تحطم السلطة السياسية فحسب ، وانما ايضا صحب ذلك ثورة ثقافية حطمت من الجذور ، وبالقوة في اغلب الاحيان ، كل ثقافة المرحلة السابقة واحلت محلها ثقافة جديدة ، بل جعلت المجتمع كله يصلي امام محراب واحد .

وكذلك هو الحال بالنسبة للثورة البرجوازية حين حطمت العلاقات الانتاجية القديمة ، واستولت على السلطة السياسية ، فقد انجزت ثورة ثقافية في البناء الفوقي استخدم العنف فيها في كثير من الاحيان ، ولم تترك الثقافة القديمة تذبل من تلقاء نفسها مع زوال اساسها المادي .

واننا اذ نلحظ في مجرى التطور التاريخي ان عملية الثورة في البناء التحتي وفي السلطة السياسية كانت تصحبها ثورة ثقافيـة ، يمكننا ان نلحظ ايضا ان تلك الثورة الثقافيـة كانت دائما تأخـذ شكلا اشد عنفا وضراوة ، ويمتد فيها الصراع الى امد اطول بكثير ، من الثورة الاقتصادية والسياسية . وان نظرة سريعة الى تاريخ العالم تكشف كم عج التاريـخ الانساني بالاضطهاد الديني والفكري وعمليات غسل الدماغ واعادة الصياغة الفكرية والعقائدية او قل اعادة الصياغة الثقافية الشاملة .. وكل ذلك على نطاق جماهيري شامل .

اما مسألة انتقال بعض الاشكال الثقافية مـن المجتمع القديم الى المجتمع الجديد ـ مثل بعض العادات والافكار ـ فيجب ان يرى من ثلاث

زوايا :

اولا : كانت تلك الاشكال تعطى محتوى جديدا ومعنى جديدا يتفقان مع الثقافة الجديدة .

ثانيا : يدل هذا على **قوة العادة** في المجالات الثقافيـة ، وهو يفسر لماذا يأخذ الصراع الطبقي في المجال الثقافي شكلا عنيفا ، في اغلب الاحيان، ولماذا تتسم طبيعة حل هذا الصراع **بالامد الطويل** .

ثالثا : ثمة شيء مشترك بين كل التغييرات الاجتماعية السابقة وهو بقاء الاستغلال الطبقي . ولهذا فان الثورة الاشتراكية لا بد لهـا من ان تصحب «باعمق انفصال جذري» عن مناحي الثقافة التقليدية لانها «اعمق انفصال جذري عن علاقات الملكية التقليدية» .

واخيرا ، اليس شيئا ملفتا للنظر حين يظهر التاريخ الانساني وكأنه صراع ثقافي ؟ او لا يعني هذا ان الصراع الطبقي في المجـال الثقافي لعب دورا حاسما موازيا لاساسه الاقتصادي والسياسي ؟

عودة الى لينين

يمكن ان يلحظ المرء بكـل سهولـة لدى مراجعتـه للفقرات التـي استشهدنا بها للينين اي تلك التي كتبها بعد ١٩١٧ ، انهـا تشكل جذورا لموضوعات ماوتسي تونغ حول الثورة الثقافية والبناء الاشتراكي . امـا الفرق الاساسي بينهما فيتمثل في اغتناء موضوعات ماوتسي تونغ بالتجربة الملموسة للبناء الاشتراكي لعشرات السنين سواء في الصين او الاتحـاد السوفياتي او بلدان الديمقراطية الشعبية . ان موضوعات لينين عبارة عن منطلقات اساسية وبداية تلمس لحل مسائل البناء الاشتراكي بينما شكلت موضوعات ماوتسي تونغ نظرية متماسكة متكاملة مقرونة بتطبيق ملموس وصل قمته في الثورة الثقافية وما نتج عنها ، وفي اثنائها ، مـن اشكال تنظيمية جديدة وتقاليد جديدة للعلاقة بين الحزب وبين الجماهير ، بين الحزب والدولة والجماهير ، بين اعضاء الحزب وكوادره وقياداته . ولكي نزيد هذه الفكرة وضوحا لنراجع الموضوعات التالية التـي طرحها لينين

لنرى شدة التسلسل المنطقي الوثيق بين افكار لينين وافكار ماوتسي‌تونغ، لنرى ان موضوعات ماوتسي تونغ هي الماركسية اللينينية مطورة الى مرحلة ارقى .

كتب لينين في (شيوعية «الجناح اليساري» مرض طفولي) :

«ان دكتاتورية البروليتارية هي اشد حرب ضارية ولا هوادة فيها تشنها الطبقة الجديدة ضد عدو **اكثر قوة** .. البرجوازية التي تضاعفت مقاومتها **عشرة اضعاف** بعد الاطاحة بها (حتى ولو في بلد واحد) ، والتي تكمن قوتها ، ليس في قوة رأس المال الدولي فحسب ، وليس في العلاقات الدولية ودوامها فحسب ، وانما ايضا في قوة العادة ، وفي قوة **الانتاج الصغير** . لان الانتاج الصغير ، لسوء الحظ ، ما زال منتشرا جدا في العالم . والرأسمالية تتطور من الانتاج الصغير ، ويتولد البرجوازيون منه على الدوام يوميا ، وفي كل ساعة ، وتلقائيا وعلى نطاق واسع . لكل هذه الاسباب فان دكتاتورية البروليتارية ضرورة اساسية ، كما ان الانتصار على البرجوازية محال بدون حرب طويلة عنيدة ولا هوادة فيها .. حرب حياة او موت .. حرب تتطلب مواظبة ونظاما وحزما وتصميما ووحدة ارادة» (١) .

اما في تقريره «للمؤتمر الروسي الثاني لمنظمات التثقيف السياسي» تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ فقد كتب حول الصراع على الجبهة الثقافية :

«ان المسألة الثقافية لا يمكن ان تحل بسرعة مثل المسائل العسكرية والسياسية . ويجب ان يدرك ان الظروف لاحراز تقدم الى امام لم تعد كما كانت في السابق . اذ ان من الممكن في فترة ازمة حادة ان تحرز نصرا سياسيا خلال اسابيع قليلة ، ومن الممكن ان تحرز نصرا في الحرب خلال اشهر قليلة ، ولكن من المحال ان تحرز نصرا ثقافيا في مثل ذلك الوقت القصير . وذلك بسبب طبيعة الثقافة اذ انها تتطلب فترة اطول ، ويجب علينا ان نوطن انفسنا على هذه الفترة الطويلة .. بحيث نخطط لعملنا بناء على ذلك ، ونظهر اقصى مواظبة واصرار وافضل اسلوب

---

(١) لينين : الاعمال المختارة ـ لورانس ووشارت ، ص ٥١٨ م

عمل» (١) .

شدد لينين كثيرا في الفترة التي عاشها بعد ثورة اكتوبر على مسألة تشريب الحزب والجماهير بالاخلاق الشيوعية ، فقد جاء في خطابه «المؤتمر الروسي الثالث لعصبة الشبيبة الشيوعية الروسية» ١٩٢٠ .

«ان كل هدف التدريب والتثقيف والتعليم وتدريس شبيبة اليوم يجب ان يكون تشريبهم بالاخلاق الشيوعية» (٢) .

ويسلط لينين النار في الخطاب نفسه على الانانية والعقلية البرجوازية الفردية ومحاولات الاثراء ، والتمايز في داخل المجتمع الاشتراكي فيقول :

«لكي نمنع عودة حكم الراسمالية والبرجوازيين ، يجب الا نسمح بالركض وراء النفع المادي ، ويجب الا نسمح للافراد ان يثروا على حساب الآخرين ، اذ يجب على كل الناس العاملين ان يتحدوا مع البروليتارية ويشكلوا مجتمعا شيوعيا . ذلكم هو المظهر الاساسي للمهمة الرئيسية لعصبة ومنظمة الشبيبة الشيوعية» .

«يقوم المجتمع القديم على اساس مبدأ : كن سراقا او مسروقا ، اعمل لحساب الآخرين او اجعل الاخرين يعملون لحسابك ، وكن عبدا او مالك عبيد . ومن الطبيعي للناس الذين نشأوا في مثل ذلك المجتمع ، ان يرضعوا مع حليب امهاتهم ، ما يمكن ان يسميه المرء السيكولوجية ، او العادة ، او المفهوم ، الذي يقول : انك اما مالك عبيد او عبد واما ملاك صغير ، او موظف صغير او مستخدم صغير ، او مثقف ــ وبكلمة ، انسان يهتم بامر نفسه فقط ولا يبالي ، قلامة ظفر ، بالآخرين» (٣) .

ويتابع لينين قائلا :

«ان العمل الجماعي المشترك لا يمكن ان يحقق دفعة واحدة . ان

---

(١) كراسة «لينين حول الشبيبة» ، موسكو ١٩٦٩ ، باللغة الانكليزية ص ٤٧ .

(٢) كراسة «لينين حول الثقافة البروليتارية» ــ موسكو ١٩٦٩ ــ باللغة الانكليزية ص ٢٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦ـ٢٧ .

هذا محال . انـه يتحقق عبر الكدح والمعاناة .. انـه يتحقق في مجرى النضال . ان الكتب القديمة غير ذات نفع في هذا المجـال ، ما من احد سيقتنع بهـا اذ ان الحاجة هنا تتطلب التجربـة الشخصية للمرء فـي الحياة» (١) .

...: «انه من غير الكافي ان تقوم الحكومة السوفياتية باصدار اوامر، او ان يرفع الحزب شعارا ، او يعين عددا معينا مـن خيرة العمال لهذه المهمة او تلك . ان على الاجيال الصاعدة ان تأخذ هذا العمل بيديها . ان الشيوعية تعني ان على الشبيبة ، على الفتيان والفتيات المنتمين لعصبة الشبيبة ان يقولوا : هذه مهمتنا .. اننا يجب ان نتحد ونذهب الى المناطق الريفية لمحو الامية لكي لا يبقى اميون بين شبيبتنا» (٢) .

ويعطي لينين تحديدا لمعنى العودة لاتبـاع الطريق الراسمالي قريبا جدا للمعنى الذي يستخدمه الرفاق الصينيون حين يتحدثون عـن الذين يتبعون الطريق الراسمالي :

«...اذا فشلت عصبة الشبيبة الشيوعية في ان تنظم عملها على هذه الطريقة في كل المجالات ، فهذا يعني انها اخذت تعود الى اتبـاع الطريق الراسمالي القديم . يجب علينا ان نجمع بين طريقة تعليمنا وما نتعلم مع نضال الناس العاملين ضد المستغلين (بكسر اللام) من اجل مساعدة هذه الجماهير المناضلة على انجاز الاهداف التي حددتها تعاليم الشيوعية»(٣).

... «يجب على عصبة الشبيبة الشيوعية ان تجمع بين دراستها وتعلمها وتدربها وبين عمل الفلاحين والعمال ، وذلك من اجل الا تحصر نفسها في المدارس او في قراءة الكتب الشيوعية والكراسات . اذ بالعمل جنبا الى جنب مـع العمال والفلاحين يمكـن للمرء ان يصبـح شيوعيا حقيقيا» (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١ .

(٣) المصدر السابق ص ٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٢ .

أما في خطابه في كونفرنس التثقيف السياسي في ٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ فيقول :

«ان تثقيف العمال والحزب الشيوعي بوصفهما طليعة النضال يجب ان يعتبر مهمتهما الاساسية هي المساعدة على توعية الجماهير العاملة من اجل ان تتخلص من عادات الروتين القديم والطرق القديمة التي ورثناها عن النظام القديم اي عادات الملكية الخاصة التي تشربت بها الجماهير بقوة»(١).

وبعد ان يبين لينين باكثر من مكان في ذلك الخطاب عمق تغلغل وانتشار افكار المجتمع القديم وعاداته واخلاقه وتقاليده في داخل المجتمع الاشتراكي ، ينتهي الى القول :

«ان الجماهير العاملة .. جماهير الفلاحين والعمال يجب ان تنبذ عادات المثقفين القديمة ، ويجب ان تعيد تثقيف نفسها من اجل العمل لبناء الشيوعية . وبدون هذه الطريقة لن يكون ممكنا تنفيذ العمل البنائي » (٢) .

... «بيد ان من الواجب علينا ان ندرك ونتذكر ان دستور الجمهورية السوفياتية تشريعا وعملا ، قائم على اساس ان الحزب يصحح ويخطط ويبني انطلاقا من مبدأ واحد ، وهو مساعدة العناصر الشيوعية المرتبطة بالبروليتارية على تشريب البروليتارية ، بروح الحزب نفسها ، وكسب دعمها ، وفتح اعينها على المكر البرجوازي الذي حاولنا طويلا القضاء عليه » (٣) .

ويقول :

«يجب علينا التغلب على مقاومة الراسماليين لنا بكل اشكالها ليس في المجالين العسكري والسياسي فحسب ، وانما ايضا في المجال الايديولوجي الذي هو الاقوى والاعمق جذورا» (٤) .

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٧ .

ويؤكد لينين على ضرورة جعل الشيوعية مفهومة للجماهير وضمن وعيها بصورة تصبح فيها قضية الجماهير بالذات . ويقول «لقد انجز تحقيق هذه المهمة بشكل ضعيف جدا ، وارتكبت آلاف الاخطاء . ويجب الا نخفي هذه الحقيقة . بيد انه يجب على العمال والفلاحين انفسهم ان يبنوا جهازنا ويحسنوه ، بمساعدتنا ، رغم كل ما فيه الان من ضعف وعدم كفاءة » (١) .

اما في خطابه في مؤتمر روسيا الثاني حول التثقيف السياسي ـ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ . فيقول فيه «لو طهرنا مائتي الف عضو من الحزب سيكون عملا مفيدا ولكنه سيكون عملا بسيطا جدا لما يجب ان نقوم به . اذ يجب على مؤسسات التثقيف السياسي ان تركز كل نشاطها على هذا الهدف . ويجب ان تحارب الامية ولكن محاربة الامية ليست كافية ايضا . اذ اننا بحاجة ايضا للثقافة التي تعلمنا كيف نحارب البيروقراطية والرشوة . وهذه قرحة لا تشفيها الانتصارات العسكرية ولا الاصلاحات السياسية» (٢) .

ثم يحدد ثلاثة اعداء وهم الغرور الشيوعي ، والامية ، والرشوة فيقول عن العدو الاول :

«ان عضوا في الحزب الشيوعي ، لم تعد صياغته بعد ، يتصور ان بامكانه حل كل مشاكله باصدار مراسيم شيوعية ، لهو مصاب بالغرور الشيوعي . فهو يعتقد بان له الحق في التحدث عن نتائج التثقيف السياسي لانه ما زال عضوا في الحزب الحاكم وموظفا في احدى الدوائر الحكومية . ان المسألة هي ان نتعلم كيف ننشر المعرفة السياسية ، ولكننا لم نتعلم هذا بعد. ولم نتعلم بعد كيف نعالج الموضوع معالجة صحيحة» (٣).

من يقرأ كل هذه الفقرات من لينين وكذلك الفقرات من لينين التي تحت موضوع لينين وستالين ، في هذه الدراسة ، فسيخرج بسؤال بعد

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٢) كراسة «لينين حول الشبيبة» ص ٤٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ـ٤٦ .

كل فقرة «أليس هذا ما حققته الثورة الثقافيـة وعبرت عنـه موضوعات ماوتسي تونغ ؟» ، «أليس هذا ما عملت عكسه تماما القيادة السوفياتية الراهنة ؟»

لينين وماوتسي تونغ

اولا ـ لقد انطلق ماوتسي تونغ من موضوعه لينين حـول الحركة الجماهيرية العفوية ولكنه اضاف عليها ان الحركة الجماهيرية العفوية في ظل دكتاتورية البروليتارية تدخل مرحلة جديدة تتغير فيها كيفيا ، وذلك لان الجماهير في ظل الاشتراكية :

أ ـ جزء من قوى الانتاج ضمن علاقات انتاجية اشتراكية .

ب ـ العمل السياسي والتثقيفي الواسع مع الجماهير يجعلها تصبح على قدر من الوعي يمكن أن توصف حركتها العفوية معه ، بالاضافة الى تجربتها النضالية السياسية السابقة ، «بالوعي» اذا ما قيست بالحركة الجماهيرية العفوية قبل انتصار الثورة الاشتراكية سياسيا واقتصاديا .

ج ـ رغم النقطتين (أ و ب) فان الحركة الجماهيرية الثورية العفوية لن تستطيع عمل شيء بدون قيادة الحزب الشيوعي .

اذن ، فان موقف ماوتسي تونغ من هذه القضية ما زال في جوهره هو الموقف اللينيني مع تطوير للينينية في طريقة تقييم الحركة الجماهيرية الثورية العفوية في ظل دكتاتورية البروليتارية ، اذ ان الظروف الجديدة تفترض الثقة بالجماهير اكثر من اي يوم مضى وتفترض الاعتماد عليها **اكثر** من السابق ، وتفترض اطلاق مبادراتها وتشجيعها على ان تنتقـد الحزب والدولة ، وتكون في قلب التغيير والبناء .. بحيث تلعب الدور الرئيسي المباشر في هدم كل مناحي العالم القديم ، وفي ابداع طرق بناء وتشكيل كل مناحي العالم الجديد ، بقيادة الحـزب الذي يجب ان يتبـع خط الجماهير ، ويظل على رأس الحركة الجماهيرية الثورية يزيد من **اندفاعها واستنهاضها** ويضمن لها القيادة الصحيحة والسير في الاتجاه الصحيح ، مع عدم فرض الوصاية عليها او محاولة عرقلة تطورها وكبتـه تحت اية

حجة من الحجج .

د ــ ان الحركة الجماهيرية الثورية العفوية المشربة بافكار الماركسية اللينينية وافكار ماوتسي تونغ في ظل الاشتراكية تستطيع ان تولد افكارا جديدة ونظريات جديدة واشكالا جديدة بالنسبة لهدم العالم القديم بكل مناحيه وبناء العالم الجديد وتنظيمه بكل مناحيه . ولكن تلك الافكار والنظريات والاشكال تكون متفرقة مبعثرة وعلى الحزب تجميعها وتنسيقها وتحويلها الى افكار مفكر بها جيدا ونظريات منسقة متماسكة ثم العودة بها الى الجماهير لتحول الى عمل ولتمتحن صحتها من نتائج التطبيق العملي .

اذن ، فالحركة الجماهيرية الثورية العفوية ، في ظل الاشتراكية ، لدى ماوتسي تونغ ، لا تولد «الاقتصادية» كما كان حالها في زمن ما قبل الثورة . وانما يمكنها ان تولد افكارا جديدة ونظريات جديدة تعلم الحزب نفسه .. افكارا ونظريات متقدمة وملتصقة بالواقع الملموس ولا ينقصها سوى قيادة الحزب لها لتنقيتها وتنسيقها الخ ، ليس هذا فحسب ، فان ماوتسي تونغ يرى ان التطور العفوي للبيروقراطية في الحزب والدولة في ظل الاشتراكية هو الذي يولد «الاقتصادية» العفوية كما دلت التجربة الاشتراكية العالمية في الصين والاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطيات الشعبية . وان اطلاق الحركة الجماهيرية الثورية العفوية في ظل الاشتراكية هو الضمانة ضد «الاقتصادية» «الجديدة» ضد التحريفية العالمية «الجديدة» ، ضد التطور العفوي للحزب والدولة في كل دكتاتورية البروليتارية .

طبعا ان هذا التفريق لا يقلل مطلقا من لينين اذ ان تحليل لينين للحركة العفوية في ظل الراسمالية صحيح تماما . وما من احد يمكنه ان يطلب من لينين ان يرى كل قوانين البناء الاشتراكي والتحول الى الشيوعية دون ان يكون قد عاش التجربة فترة كافية من الوقت . ومع ذلك فان لينين قد تنبأ بما اصبح على يد ماوتسي تونغ فيما بعد نظرية متماسكة متكاملة فهو يقول في «بيان حول العمل بطريقة شيوعية» :

«ان الطبقة العاملة الروسية نجحت في الاستيلاء على السلطة ولكنها لم تتعلم بعد استخدامها» ... «ولكنها ستتعلم اذا شحنت بارادة

التعلم» (١) . ولنتذكر ايضا عبارة لينين الشهيرة : «**كل طباخ سيحكم**» .

اما في خطابه في «المؤتمر الاول لمجالس الاقتصاد الوطني» ايار (مايو) ١٩١٨ ، فقد اوضح ان ما من اشتراكي عاقل يقول ان بامكاننا ان «نصمم اشكال تنظيم المجتمع الجديد وفقا لنموذج معد سلفا ، وبضربة واحدة» وينتهي الى القول ان «الخبرة الجماعيه .. خبرة الملايين .. هذه الخبرة وحدها هي التي ستدلنا على الطريق في هذا المجال» .

من هنا نلحظ ان لينين لم يسحب تحليله حول الحركة الجماهيرية العفوية في النظام الراسمالي على الحركة الجماهيرية الثورية العفوية في ظل الاشتراكية ، واكد ان خبرة الملايين في ظل الاشتراكية هي التي ستدل على الطريق لتنظيم المجتمع الجديد . ولكن الذي جعل نبوءة لينين هذه لا تتحقق في التجربة السوفياتية فيرجع الى عدم اطلاق الحركة الجماهيرية الثورية بعد وفاته . وقد تحققت على يد ماوتسي تونغ حين شحنها بالافكار الماركسية اللينينية واطلقها لتدل على طريق تنظيم المجتمع الجديد.

كما يجب علينا أن نلحظ ان لينين قد اكد ان الحركة الجماهيرية العفوية تبدع اشكالا جديدة في النضال وانها تأتي بالمعجزات في فترات الانعطاف التاريخية . واكد ماوتسي تونغ على ذلك واضاف عليه انها تبدع افكارا ثورية جديدة ايضا وان كانت هذه الافكار مبعثرة غير منسقة ويجب على الحزب جمعها وتنظيرها .

ولنتذكر هنا موضوعتين كان لينين قد طرحهما في «ما العمل» كما راينا سابقا وهما :

ا ــ الموضوعة التي تقول : «بمقدار ما تتسع الحركة الجماهيرية العفوية ، بمقدار ما تزداد الحاجة لمثل هذه المنظمة ، وبمقدار ما يصبح من الواجب ان تكون وطيدة اكثر وراسخة اكثر» . اما ماوتسي تونغ فقد راى توطد الحزب في ظل البناء الاشتراكي يزيد الحاجة الى ضرورة وجود حركة جماهيرية عفوية واسعة ، كما انه اكد ، في الوقت نفسه ، موضوعة لينين بازدياد الحاجة للحزب مع اتساع الحركة الجماهيرية العفوية .

---

(١) كراسة لينين حول الثقافة ص ٥٠ .

ب ــ الموضوعة القائلة «ان المنظمات الجماهيرية على اختلافها يجب ان توجد في كل مكان وعلى اوسع نطاق وتضم اكبر عدد من الجماهير وتقوم بوظائف كثيرة التنوع ما امكن ولكن من الخطأ والضرر ان نخلط بينها وبين منظمة الثوريين او ان نطمس الحد الفاصل بينهما» ... «تركيز الوظائف السرية بيد الحزب في عهد الارهاب والعمل السري لا يعني اطلاقا تركيز جميع وظائف الحركة بيده ، بل يعني ان تشارك الجماهير اوسع فاوسع في مختلف اوجه النشاطات الاخرى التي لا تحتاج الى سرية مطلقة» . لقد سحب ماوتسي تونغ هذه الموضوعة التي نسيها الاتحاد السوفياتي ودول الديمقراطيات الشعبية ، الى مرحلة البناء الاشتراكي وقامت الثورة الثقافية لتترجمها عمليا وتجد لها صيغا تجعلها واقعا حيا ملموسا .

ثانيا : انطلق ماوتسي تونغ من موضوعة لينين حول اهمية الوعي والنظرية الثورية لكل حركة ثورية ، وضرورة نشر الوعي الثوري والنظرية الثورية ، باسلوب مبسط ، لاوسع الجماهير واعادة تثقيفها ، فقد كتب لينين في خطابه لكونفرنس الروسيا حول التثقيف السياسي (تشرين الاول) نوفمبر ــ ١٩٢٠ :

«يجب علينا اعادة تثقيف الجماهير ولا يمكن ان يعاد تثقيف الجماهير الا عن طريق التحريض والدعاية» .

ولكن ماوتسي تونغ انطلق من هذه الموضوعة وقد طورها بحيث اصبحت عملية اعادة تثقيف الجماهير ، في ظل الاشتراكية لا تعتمد فقط على الدعاية والتحريض ، وانما يجب ان يصحب ذلك استنهاض الجماهير عمليا ودفعها للمبادرة مع شعار «دع الجماهير تثقف نفسها بنفسها من خلال الثورة الثقافية» ، «دع الجماهير تتعلم بتجربتها المباشرة كيف تميز بين الصواب والخطأ» «ومن غير المسموح للحزب ان يقوم بالعمل الذي يجب ان تقوم به الجماهير» . ولكن ماوتسي تونغ لم يفصل هذه الموضوعة عن موضوعة لينين اي انه لم يعف الحزب من مهمته باعادة تثقيف الجماهير وقيادتها . فقد طرح القضية بصورة متماسكة متكاملة :

أ ــ الحزب يقوم بعملية تحريض واسعة وتشريب الجماهير بالافكار البروليتارية ومساعدتها على امتلاك المنهج الديالكتيكي (عملية

دعاية وتحريض ـ اعادة تثقيف) .

ب ـ استنهاضها واطلاقها لتعمل بمبادرة واستقلالية ودور الحزب في هذه المرحلة هو المضي قدما باستنهاض كل الجماهير واطلاقها وتشجيعها مع الانتباه الشديد لمبادراتها المستقلة وجمع ما تولده من افكار وما ترسخه من تقاليد نضالية .

ج ـ تجميع تلك الافكار والتجربة الجماهيرية وتلخيصهما وتنسيقهما وتنظيرهما ثم العودة الى الجماهير في عملية دعاية وتحريض ـ اعادة تثقيف ـ وترجمة نتاج الافكار الجديدة والتجربة الجديدة الى عمل تشترك فيه الجماهير العريضة في التطبيق.

د ـ ثم العودة من جديد الى الحركة الجماهيرية الثورية في التطبيق لجمع افكارها المبعثرة الجديدة وتجربتها من اجل تلخيصها وتنظيرها والعودة بها الى الجماهير ثانية وهكذا دواليك في حركة لولبية صاعدة .

ثالثا : انطلق ماوتسي تونغ من الموضوعة اللينينية حول الحزب الطليعي القائد بكل سماته اللينينية ، ولكنه طور تلك الموضوعة في مجال علاقة الحزب القائد بالجماهير في اثناء البناء الاشتراكي وفي اسلوب عمل الحزب ـ اساليب القيادة ـ في مرحلة البناء الاشتراكي مع اعطاء الجماهير الثورية حق التدخل بشؤون الحزب الداخلية ، وحق الاطاحة «بهيئة الاركان» اذا خرجت عن الخط الجماهيري ، اذا فشلت في تقديم قيادة صحيحة ، اذا اتبعت الطريق الراسمالي .

لقد اعطى ماوتسي تونغ معنى جديدا لمفهوم القيادة في ظل الاشتراكية وارسى تقاليد جديدة للعلاقات بين الحزب وبين الجماهير ، وللعلاقات بين قواعد الحزب وكوادره وبين هيئة اركان الحزب . وقد تعرضنا لذلك في حينه .

وطبق ماوتسي تونغ هذا المفهوم الجديد بالنسبة لدولة دكتاتورية البروليتارية ايضا .

فمثلا : ان مسألة قيام الحزب بتعيين لجان المراقبة وتعيين مدراء المشاريع الانتاجية الخ تلك المسألة التي كانت ضرورة في اولى سنوات

انتصار الثورة ، اصبحت مع الثورة الثقافية مسألة غير مسموح بها مطلقا .. لقد اوكلت هذه المهمات للجان والمجموعات الثقافية بالاشتراك مع الحزب على ان يخضع كل ذلك للمراقبة الجماهيرية الواسعة المباشرة مع اشراك الجماهير في بحث اتخاذ اية خطوة ، وارساء نظام جديد للانتخابات وسحب الثقة واعادة الانتخاب الخ . وبكلمة اخرى وضع ماوتسي تونغ افكارا جديدة تتعلق بممارسة المركزية الديمقراطية في ظل دكتاتورية البروليتارية . وممارسة الجماهير لديمقراطية مركزية واسعة تتضمن قيادة الحزب لها مع مراقبتها للحزب وحق انتقادها له واحداث التغيير في كوادره وقياداته وسياسته بمشاركة الحزب .

رابعا : انطلق ماوتسي تونغ من الموضوعة اللينينية بالنسبة لاهمية التأثير الراجع للبناء الفوقي على البناء التحتي ، واهمية النضال على الجبهة الايديولوجية ، وطورها في موضوعته حول ضرورة القيام بثورة في البناء الفوقي لاكمال الثورة السياسية والاقتصادية .. وللتوافق مع البناء التحتي الاشتراكي . وقد كشف القوانين الخاصة للثورة في البناء الفوقي تلك القوانين التي عبرت عنها موضوعاته حول الصراع الطبقي الطويل الامد في ظل الاشتراكية وحول الثورة الثقافية .

واخيرا لا بد من التشديد ، مرة اخرى ، على ان موضوعات ماوتسي تونغ هي استمرار للماركسية اللينينية وتطوير لها ، لا مناقضة لمنطلقاتها الاساسية واسسها النظرية ، بل على العكس ، ان المرء ليجد عشرات الاستشهادات من كتابات ماركس وانجلز ولينين على انسجام تام مع خط التطوير الذي احدثه ماوتسي تونغ في مجال النظرية والتطبيق او في مجال الحزب والتنظيم الجماهيري وتنظيم الدولة والاقتصاد والثقافة .

لقد كشف ماركس وانجلز قوانين المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، وقوانين النظام الرأسمالي والاشتراكية العلمية .

وكشف لينين قوانين النظام الرأسمالي في مرحلة الامبريالية ، وقوانين الاطاحة بالرأسمالية ، والقيام بالثورة الاشتراكية وتأسيس دكتاتورية البروليتارية ، واغنى ما اكتشفه ماركس وانجلز .

وكشف ماوتسي تونغ عن قوانين حرب الشعب الطويلة الامد في

البلدان المتخلفة ، وتحديد قوانين الثورة الديمقراطية الجديدة ، وقوانين البناء الاشتراكي الى جانب تحليل سمات الامبريالية في العصر الراهن . واغنى ما اكتشفه ماركس وانجلز ولينين .

كل هذه هي الماركسية اللينينية' افكار ماوتسي تونغ وهي ارقى ما توصل اليه الفكر الانساني لحل مسألة القضاء على العالم القديم ماديا وايديولوجيا ، وبناء العالم الجديد ماديا وايديولوجيا * .

---

* نعتذر عن نشر الملحق الذي أشير اليه في هذا القسم من الدراسة حول الثورة الثقافية الكبرى لاسباب فنية . ويستطيع القارىء ان يجد هذه الوثيقة في المنشورات الصينية المتعلقة بالثورة الثقافية ، كما يستطيع ان يجدها في كتاب «الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى في الصين» ، منشورات دار دمشق ، ص ٢٩٧ ، مع تحفظنا على بعض الترجمة .

٥٤٨ / ٣٠٠٠

عناوين بعض المراجع المذكورة في هذا الكتاب والتي صدرت باللغة العربية

ص

لينين : بم نبدا ١٨

لينين : خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء ١٨

لينين : ما العمل ١٨

لينين : الاعمال المختارة ــ ٦ مجلدات ٢١

لينين : خطتا الديمقراطية الاشتراكية ٤٣

ستالين : اسس اللينينية ٩٧

روزا لوكسمبرغ : كتابات مختارة ، دار الطليعة ــ بيروت ١٠٠

أ. نيوبيرغ : الانتفاضة المسلحة ــ دار الطليعة ١٠١

انطونيو غرامشي : الامير الحديث ــ دار الطليعة ١٠٣

لينين : ما هي حقيقة اصدقاء الشعب ١٠٩

ماوتسي تونج : المؤلفات المختارة ــ دار النشر باللغات الاجنبية ــ بكين

٥٤٨ / ٣٠٠٠

فهرست

الفصل الاول :
الحزب لدى ماركس وانجلز ٥
الفصل الثاني
مفهوم الحزب عند لينين ١٨
الفصل الثالث :
لينين ومفهوم الحزب لدى روزا لوكسمبرغ وغرامشي وستالين ٩٩
الفصل الرابع :
الحزب الشيوعي الصيني قبل الانتصار النهائي ١٣٣
الفصل الخامس :
خلاصة : عودة الى ماركس وانجلز ١٧٠

هذا الكتاب

لأول مرة ، يقدم كاتب عربي ، على طرق هذا الموضوع الاساسي: الماركسية اللينينية ونظرية الحزب الثوري. ولقد عاد الكاتب الى كل المراجع ذات العلاقة ، وقدمها موضحا ومحللا من أجل أن يعرفنا بنظرية الحزب الثوري في الماركسية ـ اللينينية .

ويجيء هذا الكتاب ، ونحن أشد ما نكون حاجة الى الدراسات التي تعالج قضايا التنظيم . ذلك ان ثورتنا الفلسطينية والثورة العربية عموما تشكوان من نقص فادح في هذا الميدان ، كما ان طلائع شعبنا المصممة على متابعة المسيرة ما زالت تبحث عن تنظيمها الثوري الذي يجعلها قادرة على تحقيق اهدافها .

وبهذا الكتاب يقدم لنا منير شفيق صاحب المؤلفات المعروفة « التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » و « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » و «موضوعات من تجربة الثورة الفلسطينية » ، مرجعا هاما وثقافة لا غنى عنها لجميع التقدميين العرب مهما تباينت اتجاهاتهم .

دار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

الثمن : ٧٥٠ ق.ل.
أو ما يعادلها